البحرين ودعوى ايران

تأليف

احمد محمود صبحي

ماجستير فى الفلسفة
مدرس أول بالعباسية الثانوية باسكندرية

تقديم ومراجعة

الدكتور محمود علي الداود

مدرس التاريخ العربي الحديث بجامعة بغداد
مدير شئون الخليج العربي بوزارة الخارجية العراقية

١٩٦٣

الاهـــداء

الى البـــلد الذى انتـدبت للتـــدريس فيـــه .

والى شعب البحرين الكـريم .

أقـــدم هـــذا الكتــــاب

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

للدكتور محمود على الداؤد

أن أهم المشاكل التى تجابه الجيل العربى المعاصر هى ضحالة اطلاعه على أمته العربية وحقيقة أوضاعها الاجتماعية والاقتصاديه والسياسيه .

ويستقى معظم الشباب العربى معلوماته عن بلدان الوطن العربى من الصحف الاجنبية والمحلية بينما لا زالت الجامعات العربيه تعتبر المصادر الأجنبيه أساسيه فى البحث عن أى موضوع عربى ، يعزى السبب فى ذلك الى ندرة المصادر العربيه فى الجغرافيه العربيه والتاريخ العربى الحديث والاقتصاد العربى والثقافة العربيه ، وقد ساعدت الظروف السياسية فى معظم البلدان العربيه (مع الأسف الشديد) على عزوف عدد لا بأس به من الاختصاصيين العرب عن الخوض فى الشئون العربيه المتعلقه باختصاصاتهم بروح علميه وموضوعيه . أن مستقبل الامة العربيه يتوقف على مدى ادراك الشباب العربى لقضايا أمته ، وهذا يحتم على الجامعات العربية ضرورة الاهتمام بالبحث العلمى لمختلف الشئون العربيه نظرا للحماس العظيم الذى أخذ الطلاب العرب يبدونه فى دراسة ومناقشة القضايا العربيه . وأود فى هذا المجال الاشادة بالدور العلمى العظيم الذى اضطلع به معهد الدراسات العربيه العاليه التابع لجامعة الدول العربيه الذى تعتبر دراساته من المصادر الاساسيه فى الشئون العربيه

ولا بأس من اختلاف وجهات نظر رجال الفكر والاختصاص فى الشئون العربية لأن الغايه من وراء البحث فى الأمه العربية هى مجابهة المشاكل وليس التهرب منها .

وبلدان الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربية هى من أكثر أجزاء الوطن العربى انعزالا عن تفكير الشباب العربى بالرغم من أهميتها البالغة بالنسبة لمستقبل الامة العربيه . وقد تعمد الاستعمار البريطانى عزل هذه المناطق عن التيارات الفكريه العربية من جهة وفصلها عن جسم الأمة العربية ثقافيا وسياسيا واجتماعيا من جهة أخرى . ان الاستعمار البريطانى الذى يستحوذ على آبار النفط الغزيرة الواقعة على جميع الساحل من الكويت الى عدن يستند فى مقاومة تيار القومية العربية على قواعد عسكريه وجوية لتهدد الأمة العربية باسرها . ان الامة العربية مدعوة بكل قواها السياسيه والعلمية الى تفهم قضايا التحرر الوطنى فى هذه المناطق والى الحذر من مكائد الاستعمار البريطانى والى الهجرة الواسعة النطاق التى تتعرض اليها الموانى العربية من العناصر غير العربيه والتى يشجعها الاستعمار البريطانى الذى يريد إطالة بقائه فى مناطق ذات أهمية بالغة من العالم العربى .

لقد سرنى جدا مطالعة كتاب « البحرين ودعوى ايران » للأخ الاستاذ أحمد محمود صبحى الذى كان قد انتدب للتدريس فى البحرين فانتهز فرصة وجوده فى هذا البلد العربى فجمع مادة غزيرة لمعالجة موضوع خطير ليس بالنسبة لسكان البحرين فحسب بل بالنسبة لمستقبل الخليج العربى بإسره . وحبذا لواتخذ شبابنا من الاستاذ (احمد محمود صبحى) مثلا فى التعرف

على الامة العربية وتعريف ابنائها بالأجزاء المهملة من الوطن العربى . . وأعنى بها منطقتى الخليج العربى وجنوب الجزيرة العربيه . لقد طلع علينا البعض من الكتاب العرب فى السنوات الأخيرة بكتب تتضمن تجاربهم فى انجلترا وأمريكا والدول الاسكندنافيه وحبذا لو قام هؤلاء الكتاب أو غيرهم بالتعرف على البحرين وعمان وحضر موت وعدن واليمن فان معلومات الشباب العربى عنها محدودة جدا وأقل من معلوماتهم عن البلدان الاوربيه

ان الشباب العربى المعاصر مدعو الى نبذ الاقليميه والى التطلع لمعرفة بلاده العربيه والسفر الى بعض مناطقها النائية لا للكسب المادى فقط بل لتفهم حقيقة الاوضاع فى تلك المجتمعات . ان الجامعة العربيه مدعوة الى تشجيع البحث العلمى عن البلدان العربيه وكذلك الجامعات والمعاهد العربيه المختلفة لأن العامل الثقافى ـ الاجتماعى هو أهم العوامل التى بامكانها ان تقرب العرب بعضهم من بعض وزيادة تفاهمهم .

ان الادعاء الايرانى حول البحرين العربية لا يشكل خطرا بحد ذاته نظرا لاستناده الى براهين واهية الا ان ارتباط هذا الادعاء بوجود الاستعمار البريطانى فى منطقة الخليج العربى والتعاون بين ايران وبريطانيا فى موضوع تشجيع الهجرة الايرانية الى الساحل العربى . . . هو الخطر الاكبر . ان من الواضح ان الحركة الوطنية فى البحرين مهددة على الدوام بالادعاء الايرانى الذى تسانده السلطات الاستعماريه فى الخليج العربى والمتتبع لإعلانات ايران عن ملكية البحرين يجد ان مواعيدها تظهر دائما عندما تشتد مقاومة الحركة الوطنيه فى البحرين للاستعمار البريطانى .

أن الثورات السياسيه التى حدثت فى الوطن العربى فى الحقبة الاخيرة قد هزت القيم السياسية والمفاهيم التى تستند اليها الرجعية والاستعمار فى الخليج العربى وعلى هذا يصبح التضامن العربى الاقتصادى والسياسى حجر الزاوية فى مستقبل الخليج العربى . ان استقلال مناطق الخليج العربى وازدهارها الاقتصادى يستند الى الاستعمار البريطانى الذى يريد اليوم الظهور بمظاهر جديدة عن طريق معاهدات ذات صيغ وكلمات جديدة . ان ازاحة كابوس الاستعمار البريطانى تقع على كاهل الدول العربيه المتحررة وحدها ، كما ان مستقبل مناطق الخليج العربى من النواحى الثقافيه والعلميه يتوقف كذلك على هذه الدول التى بلغت شوطا كبيرا فى الميادين الحضاريه .

دكتور

محمود على الداؤد

بغداد تموز ١٩٦٢

مقدمه

بعد أن كانت الامة العربية أشلاء ممزقة تتنازعها الدول الاستعمارية وتتحكم فى كيانها أكثر من دولة أوربية حتى كادت الحقيقة الخالدة ، الا وهى وحدة الامة العربية ، تطمس وسط أهواء المستعمرين وحتى كاد اليأس يدب فى النفوس وبدأ الكثيرين يشكون فى أن البلاد الواقعة من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى تكون فيما بينها وحدة ، اذا بالعرب ينفضون فى عزم هذا التدهور الذى أصابهم ليعيدوا وحدتهم ومجدهم .

وكان لكارثة فلسطين الاثر الاكبر فى هز الكيان العربى بأكمله هزا عنيفا فأفاق القوم من سباتهم ليتداركوا الخطر الذى حاق بهم بعد ان اغتصب منهم جزء من صميم الكيان العربى .

وليست كارثة فلسطين هى المؤامرة الوحيدة للدول الاستعمارية لتمزيق الامة العربية فقد سبق ذلك عدة مؤامرات ، منها تسليم فرنسا للواء الاسكندرونة لتركيا سنة ١٩٣٨ بعد أن سلخته من سوريا ، كما أن هناك عدة مؤامرات لاتزال تحدق بالعرب كالقضاء على عروبة كل من عدن والبحرين

هل يظل العرب بعد ذلك كله فى غفله حتى تتم خيوط المؤامرة بكل جزء من أجزائه فلا يفيقون ألا ليجدوا انفسهم وقد سلخ منهم جزء أثر جزء ، اليس من الواجب أن نحبط المؤامرة قبل أن تتم ؟

أن مؤامرة تدبر ضد البحرين لسلخها من الوطن العربى ، اليس من الواجب أن نترجم الشعارات التى نتمسك ونؤمن بها الى لغة الواقع والعمل الجدى

ومشكلة البحرين تشبه من ناحية مشكلة الاسكندرونه حيث سلمتهم الدولة المستعمرة لتركيا دون أن يكون للشعب السورى أو لاهل الاسكندرونه

رأى فى الموضوع أنها تشبه كارثة فلسطين حيث شرد العرب واغتصبت أرضهم فهل ستصبح البحرين احدى الكوارث التى لا نشعر بخطرها الا بعد وقوعها .

ومن ناحية أخرى اعتاد الاستعمار البريطانى ألا يخرج من أرض الا ويخلف فيها مشكلة مزمنه بين دولتين أو عنصرين حتى تظل كلتا الدولتين تتنازعان وتشغل كل منها عن حل مشكلاتها الداخلية والسير فى ركب التقدم هكذا فعل فى الهند تخلف النزاع بين هندوستان وباكستان ومشكلة كشمير وهكذا فعل فى قبرص بين اليونانيين والأتراك ثم كذلك فعل فى الصومال حين اقتطع أجزاء منها وسلمها لكل من كينيا والحبشه

وترمى الامة العربية بعد أن تستكمل أسباب وحدتها الى أن تعيش فى سلام مع جيرانها ولكن مشكلة البحرين ستصبح محور الاحتكاك بين الامة العربية وايران ، ولا يستبعد حينما تستنفد بريطانيا أغراضها من احتلال البحرين أو حينما تجبرها الظروف أن تتخلى عنها ، لايستبعد أن تتنازل عنها لايران أو توعز لايران أن تحتلها بمجرد التخلى عنها تماما كما أوعزت لليهود باحتلال المدن الفلسطينية فى اللحظة التى كان يغادرها الجيش البريطانى المحتل ، ولن تجد ايران قوة محلية تعارضها الا قوة حكامها الحاليين وهؤلاء للاسف لاجيش لديهم على الاطلاق ، وحتى قوة الشرطة ليس أغلبهم أو حتى القليل منهم من أهل البحرين ، حينئذ تقع الواقعة ، فاما أن يدخل العرب من الدول المجاورة فى صراع ومعارك مسلحة مع الايرانيين أو يتركوا البحرين لهم ، ولقد لدغ العرب من جحر الاستعمار أكثر من مرة ، فهل يلدغون مرة أخرى فى البحرين؟

لقد كان الدافع لى الى كتابة هذا البحث أنى طول اقامتى فى البحرين - حيث كنت مدرسا منتدبا من الجمهورية العربية المتحدة - لم أجد كتابا عربيا يتناول مشكلة البحرين أو يعالج أى موضوع عنها من أية ناحية من نواحى

البحث ، هذا بينما اهتم الايرانيون باستيفاء هذا الموضوع حيث وجدت بين المراجع الاجنبية أكثر من كتاب عن البحرين مؤلفه ايرانى ويعالج المشكلة من وجهة النظر الايرانيه .

ولعل أهم هذه المراجع الانجليزيه لمؤلفين ايرانيين كتاب عن البحرين مؤلفه شخصية بارزة كان فى يوم ما ممثلا لايران فى مجلس الامن ولا يزال يمثلها فى معظم المؤتمرات الدوليه خصوصا التى لها طابع قانونى وهو الدكتور فريدون آدميات ، الكتاب يتضمن وجهة نظر ايران واحقيتها فى البحرين ، وهو جزء من رسالة الدكتوراة للدكتور آدميات وهذا يعنى أنه كتاب له قيمته بصرف النظر عن صحة ما جاء فيه لانه مؤلف علمى بمعنى الكلمة وليس مجرد أقوال خطابيه مهوشة . وقد قرأت الكتاب أكثر من مرة وحز فى نفسى ألا أجد كتابا يضارعه فى الاهمية يمثل وجهة النظر العربيه ، فعزمت على أن أقوم بمحاولة متواضعة فى هذا السبيل ، وإن كنت لا أستطيع أن أدعى لنفسى حق تمثيل وجهة النظر العربيه - لاسيما الرسميه - كما يمثل الدكتور آدميات وجهة النظر الايرانيه الرسميه ، فلا أقل من أن أحاول مستغلا ميزتى على الدكتور آدميات أنى عشت ثلاث سنوات فى البحرين وعاشت البحرين فى نفسى ، بينما لا يدل كتابه على أنه قد رآها أو زارها .

ولقد عالجت فى هذا الكتاب مشكلة البحرين مع ايران من كل نواحيها على ما أعتقد النواحى الجغرافيه والجيولوجيه والتاريخيه والحضاريه والاقتصاديه والقانونيه ثم الشعور القوى للشعب ، كما نستشفه من مظاهر التعبير عن قوميته وأعتقد أن هذه النواحى هى العوامل التى يجب أن توضع موضع الاعتبار للحكم على تبعية البحرين ، هل هى عربيه أم فارسيه ، وكان لابد للقارىء أن يلم بفكرة موجزة عن البحرين لذا قدمت المشكلة بتعريف عن البحرين

وأود أن أنبه الى ان الذين يتوقعون منى فى هذا الكتاب أن أزجى المديح الى فرد مخطئون ، والذين يتوقعون أن أهاجم أو أنال من نظام معين كذلك واهمون ، بل إن هذا الكتاب لم يقصد به التهجم على الفرس أو الاستعلاء عليهم فلقد انتهى وولى زمن النعرة العصبيه الكاذبه ، بل حاولت ماوسعتنى المحاولة وفى حدود الامكانيات العلميه المحدودة التى أتيحت لى أن يكون هذا الكتاب علميا دقيقا قدر الامكان ، وأعنى بهـذا أنى أرحب من كل قلبى بأية اقتراحات أو تعليقات أو انتقادات على أى جزء ورد فى هذا الكتاب من أجل اظهار الحقيقة الكاملة لعلى أتدارك خطأ غير مقصود فى طبعة أخرى .

ويلزمنى أن أقدم الشكر خالصا (للاستاذ الدكتور محمود على الداؤد) الذى شرفنى بمقاله الذى استهل به الكتاب كما تفضل مشكورا بمراجعته فضلا عن المراجع التى أرشدنى اليها لاستكمال الموضوع فاستفدت من دراسته العميقة اللازمة عن تخصصه فى دراسة منطقة الخليج العربى .

ولا يفوتنى أن أشكر زميلى وصديق العمر الاستاذ عبد السلام القفاش المعيد بقسم الدراسات النفسيه والاجتماعيه بجامعة عين شمس وذلك لما كان لمناقشاته الطويلة معى فى موضوعات الكتاب من أثر كبير فى كثير من الافكار الواردة به

وأخيرا اذا قدر لهذا الكتاب أن يسهم مساهمة متواضعة فى اقامة صرح القوميه العربيه الشامخ وأن ينبه الاذهان الى الخطر الرابض فقد أدى الكتاب قصارى ما أرجوه له ، والله ولى التوفيق

المؤلف

الباب الاول

تعريف البحرين

الموقع :

فى منتصف الخليج العربى تقريبا ، قرب ساحله الغربى تقع مجموعة من الجزر فى خليج يسمى خليج البحرين ، ويتكون هذا الخليج من النتوء البارز من شبه جزيرة قطر شرقا وساحل الاحساء فى المملكة العربيه السعوديه غربا ، وتبلغ هذه الجزر احدى عشرة جزيرة تتوسطها ثلاث جزر كبيرة وهى جزيرة المنامه وجزيرة المحرق وجزيرة ستره .

وتبعد جزيرة المنامه أو أوال أكبر جزر البحرين عن ساحل المملكة العربية السعوديه مسافة ١٢ ميلا ، كما تبعد عن ايران ١٨٠ ميلا وعن البصرة ٣٣٧ ميلا ، و ٢٠ ميلا عن شبه جزيرة قطر أما عن القاهره فتبعد ١٢٠٨ ميلا
وتقع جزر البحرين على خط طول ٥٠ درجه شرقا وخط عرض ٢٦ درجه شمالا

المساحه :

تبلغ مساحة مجموعة جزر البحرين نحو ٣٠٠ ميلا مربعا منها ٢١٣ ميل مربع مساحة جزيرة المنامه التى يبلغ أقصى اتساع لها ١٢ ميلا وأقصى طول لها ٢٧ ميلا

المناخ :

من الممكن تقسيم مناخ البحرين الى ثلاثة أقسام :

أولا . فى الصيف من يونيو الى آخر سبتمبر بما أن البحرين تقع فى المنطقة المداريه تقريبا أوقريبة من مدار السرطان فأن مناخها فى الصيف يكون شديد الحراره مع ارتفاع فى نسبة الرطوبه نظرا لوقوعها فى الخليج العربى وهو ضحل عند جزر البحرين مما يساعد

على زيادة الابخرة نتيجة شدة الحراره التى تصل الى ٤٥ د . م فى أغسطس ، كما تصل درجه الرطوبه الى أكثر من ٧٥ ٪ ، والحرارة المصحوبه بالرطوبه تبعث على الخمول وتسبب الضيق والسأم وتجعل الفرد يشعر بأن قواه منهمكه فلا يساعد ذلك على قيامه بعمل جدى جسمى أو عقلى غير أن شهر يونيو قد يشذ أحيانا عن هذه القاعدة نظراً لهبوب ريح تسمى الاربعين لانها تهب فى مدة أربعين يوما فى المده من أواخر مايو الى آخر يونيو وهى ريح شماليه بارده تجعل الجو منعشا والطقس محتملا وتنخفض درجة الحراره فيه عند هبوب هذه الريح الى ٣٠ درجه أو أقل من ذلك .

ثانيا - من ديسمبر الى مارس تهب ريح شماليه تعرف باسم ريح الشمال شتاء فتنخفض درجة الحراره الى ما بين ٧ و ١٥ درجه مئويه وتهب هذه الريح من أواسط القارة الاسيويه وشمالها ، أما كمية المطر فلا تزيد عن ٣ بوصه فى السنه ولا ينهمر المطر باستمرار ولكن يحدث أحيانا أن يسقط من المطر فى المرة الواحده نصف أو ربع ما يسقط فى السنه ويكون المطر أحيانا مصحوبا بالرعد والبرق .

ثالثا - فى الربيع والخريف أكتوبر ونوفمبر ابريل ومايو ويكون الجو منعشا لاسيما فى شهرى نوفمبر وأبريل أما فى اكتوبر فقد تمتد موجة الحر اليه كما قد تبدأ هذه الموجه فى مايو ونسبة الرطوبة عاليه فى هذين الشهرين اذ تزيد على ٧٥ ٪ فى المتوسط

المياه فى البحرين :

يحتوى باطن الارض كميات كبيرة من المياه العذبة حيث يعتمد عليها السكان فى الشرب والرى والبحرين غنية بالعيون البحريه ، كما أنها غنيه بالعيون البريه غير ان العيون البحريه التى تنبع فى الخليج أكثر عذوبة واقل فى كمية الاملاح واكثر نقاء ويعتمد عليها الغواصون فى اخذ ما يلزمهم من الماء اثناء موسم الغوص دون حاجه الى الرجوع الى الجزيرة ولا يقل عدد هذه العيون عن

٢٥ ينبوعا اما العيون البريه تقرب من ٢٠٠ عين وقد حفرت لها مجارى لتوزيعها على الارض المنزرعه وبعض هذه العيون يستخدم كحمام للسباحة مثل عين عذارى وتتفاوت نسبة الاملاح فى هذه العيون وليس بالبحرين انهار أو ترع .

الزراعه

المساحة المنزرعة فى البحرين محدودة لا تكاد تكفى حاجة السكان من المواد الغذائيه الرئيسيه ومن اهم العوامل التى تعرقل انتشار الزراعة ما يأتى :-

١) انصراف الاهالى الى الاشتغال بشركة البترول مفضلين العمل بها عن العمل الزراعى

٢) نقص الخبرة الزراعية والكفاءة الفنيه

٣) وسائل الرى والصرف بدائية لاسيما ان التربة تحوى كمية كبيره من الاملاح

٤) وجود المياه الباطنية قرب سطح الارض يضعف جذور النبات ولا يساعد على تغلغلها فى التربة

ومع ذلك فيبدو ان عناية الاجداد بالزراعة كانت اكثر من عناية الاحفاد اذ تذكر الكتب القديمه انه كان بالبحرين انواع كثيره من التمر وكان يزرع بها الرمان والتين والموز والخوخ والمشمش والكمثرى والنبق والليمون واللارنج والتوت والقثاء واللوز ، ومن الخضروات الباذنجان والبامية والطماطم والفجل وغير ذلك أما الآن فالبساتين قفراء ليس بها سوى النخيل والرمان واللوز وقليل من الخضروات ويبدو ان تدهور الزراعه راجع الى السبب الاول الذى ذكرناه وهو انصراف السكان الى الاشتغال بشركة البترول بالاضافة الى السياسه المرسومة بالشركة التى تحرم حفر اى بئر للماء الا بعد استئذان شركة البترول بدعوى ان حفر الآبار المائيه يؤثر على استخراج البترول كما وضعت الشركة العراقيل فى سبيل حفر الآبار وزراعة الارض حتى تتوفر الايدى العاملة اللازمه

للعمل فى الشركة ، ولما كانت شركة البترول حاصلة على امتياز التنقيب فى جميع اراضى البحرين فان انتشار الزراعة يعرقل عمل التنقيب بالاضافة الى السياسة الاخرى المرسومه التى ترمى الى اجبار البحرين على استيراد حتى المواد الغذائية الضرورية فتصبح سوقا للبضائع الاجنبيه

اما عن الحيوانات ففيها الابل والبقر والضأن والماعز والغزال والارانب البريه غير انها تعتمد على استيراد مايلزمها من ماشيه

الصناعه :

لايوجد بالبحرين الا بعض الصناعات البدائيه يقوم بها فرد بمفرده او بعض افراد قلائل ولا تستخدم فيها الا الالآت والادوات البسيطة واهم هذه الصناعات صناعة الاوانى الفخاريه واستخراج الجص وصناعة المديد (نوع من الحصر) وصناعة السفن الشراعية الصغيره والشراع وقطع الاحجار من قاع البحر فى المناطق الضحله لاستخدامها فى البناء وبعض الصناعات الدقيقه المعدنيه كالصياغة وصيانة السيارات .

ومن اهم الصناعات التى كانت موجوده والمزدهره فى البحرين استخراج اللؤلؤ ، ولكن هذه الحرفة فى طريقها إلى الاندثار فبينما كان عدد السفن التى تخرج للغوص لاتقل عن ٢٠٠٠ سفينه منذ اكثر من ثلاثين عاما اذا بها لا يزيد عن ٥٠ سفينه فى الوقت الحاضر ، وبينما كان نصف سكان البحرين تقريبا يعتمدون فى حياتهم على الغوص لم يسجل اى شخص فى تعدادى سنة ١٩٥٠ ، ١٩٥٩ انه يعتمد على الغوص كحرفة يكتسب منها ، ويرجع تدهور هذه الحرفه التى كانت تعتمد عليها البحرين الى ما يأتى

١) الكساد العالمى سنة ١٩٣٠ . فمنذ ذلك التاريخ بدأ كساد تجارة اللؤلؤ .

٢) ظهور اللؤلؤ الصناعى الذى روجت له اليابان والذى يقل فى تكاليفه وثمنه

عن اللؤلؤ الطبيعى وقد وجه اللؤلؤ الصناعى بانتشاره ضربة قاصمة الى تجارة اللؤلؤ الطبيعى برخص اسعاره

٣) كانت طبقة المهراجات فى الهند من اكبر عملاء هذه التجارة ولكن القضاء على هذه الطبقة بعد استقلال الهند سنة ١٩٤٧ حرم تجارة اللؤلؤ من اهم سوق لها

٤) اكتشاف البترول — الذى وجه الغواصين الى تفضيل العمل بشركة البترول حيث العمل الدائم طوال العام والاجر الثابت والمخاطر اقل .

ويبدأ موسم الصيد او استخراج اللؤلؤ فى مايو وينتهى فى اكتوبر

البترول

فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ منحت حكومة البحرين الى الميجر فرانك هولمز الذى كان يمثل احدى الشركات البريطانيه حق التنقيب عن البترول ولكنه فشل فى العثور عليه ، فاشترت شركتا كاليفورنيا وتكساس الامريكيتان المندمجتان تحت اسم كالتكس حق الامتياز سنة ١٩٣٠ خصوصا بعد ان عجزت الشركة البريطانيه عن العثور على البترول او القيام بنفقات الصرف ، ولما كانت الاتفاقيات والمعاهدات المبرمه بين بريطانيا وبين حاكم البحرين لاتخول له حق منح امتياز التنقيب عن البترول او البحث عن الفحم او اى نوع من انواع الاستثمار الا لشركة بريطانية فقد تم الاتفاق على ان يتم تسجيل الشركة الامريكية فى كندا ، ومنح البريطانيون امتيازات خاصه من ناحية الوظائف فى الشركة ، وتم حفر اول بئر فى البحرين سنة ١٩٣٢ وتشمل ابحاث الشركة كل اراضى الجزيرة ومياهها الاقليميه ومدة الامتياز ٥٥ عاما من سنة ١٩٤٠ .

وتعتبر كمية المستخرج من البترول ضئيله بالنسبة لبعض الدول العربيه

كالكويت والعراق والمملكة العربيه السعوديه بل ان كمية البترول المستخرج من البحرين اقل مما يستخرجه الاقليم المصرى .

وكانت حصيلة الحكومه على الزيت المستخرج ٣،٥ روبيه على الطن الواحد ولكن زادت هذه الحصيلة حتى اصبحت ٥٠ ٪ من صافى الارباح سنة ١٩٥٣ والاحصائيه الآتية توضح حصيلة الحكومة من البترول فى السنوات الاخيرة

السنة	حصيلة الحكومة بالروبيه	السنه	حصيلة الحكومه بالروبيه
١٩٤٠	٢،٦٢٥،٠٠٠	١٩٥٥	٢٠،٠٠٠،٠٠٠
١٩٤٥	٣،١٠٠،٠٠٠	١٩٦٠	٣٨،٠٠٠،٠٠٠
١٩٥٠	٥،٠٠٠،٠٠٠		

ويعتبر البترول من اهم مصادر الدخل للحكومة وتستوعب الشركة واسمها شركة نفط البحرين واختصارها بابكو (١) عددا كبيرا من الايدى العامله من عمال وموظفين من جنسيات مختلفه

وللبحرين معمل كبير لتكرير البترول يعتبر ثانى معمل فى الشرق الاوسط بعد عبدان وفيه يكرر البترول الآتى من المملكة العربيه السعوديه الذى يعبر الخليج العربى بأنابيب تحت المياه

التجارة

تتمتع البحرين بموقع جغرافى ممتاز مما جعلها مركزا تجاريا هاما فى جميع عصور التاريخ اذ انها تتوسط الخليج العربى من ناحية حيث ترسو فيها

السفن ، كما انها مركز تجارى بين الشرق والغرب ، حتى بعد حفر قناة السويس لم تتأثر البحرين كثيرا اذ لازالت لها اهميتها التجاريه بالنسبه لبلدان الخليج مما جعلها اهم مركز لتجارة الترنسيت (العبور) بالنسبه للساحل الغربى للخليج حيث المملكه العربيه السعوديه والكويت وقطر ، اما واردات البحرين التى تستهلكها فتشمل المواد الغذائية والأرز والقمح والسكر والشاى والبن والفاكهه والمأكولات المحفوظة والماشية والمنسوجات القطنية والحريرية والصوفية

السكان

يرجع اصل سكان البحرين الى قبائل من شبه جزيرة العرب وضفاف الخليج ، واهم القبائل عتبه ومنها الاسرة الحاكمة والساده والدواسر وغيرهم ممن اضطرتهم الى الهجره ظروف الحياه الاقتصادية او السياسية او المذهبية وذلك على مر عصور التاريخ طالما ان البحرين بعيده عن مركز الخلافة فى العالم الاسلامى

وقد نزح الى البحرين عدد كبير من الايرانيين فى العهود المختلفة التى خضعت فيها البلاد لحكم الفرس كما حدث فى عهد الدولة الصفوية ايام الشاه عباس الاول الصفوى ثم نادر شاه فى القرن السابع عشر

وظلت البحرين ملجأ لهجرات كثيره من شبه الجزيرة العربية وايران والعراق بل ومن افغانستان وبلوخستان والهند

كما ان اكتشاف البترول ساعد على هذه الهجره حيث فتحت ابواب العمل على مصراعيها فأصبح بها عدد من الاوربيين والامريكيين الذين يعملون بشركة نفط البحرين

وفى تعداد النفوس سنة ١٩٥٩ بلغ مجموع سكان البحرين ١٣٥ ، ١٤٣ نسمه موزعين حسب الجنسيات الآتيه

الجنسيه	العدد	الجنسيه	العدد
رعايا البحرين	١١٨٧٣٤	رعايا الجمهورية العربيه	١١٤
عمانيون ومسقطيون	٧٣١٤	يمنيون	٤٩٢
		قطريون	٢٤٢
هنود	٤٠٤٣	كويتيون	٥٥
ايرانيون	٤٢٠٣	بريطانيون	٢٥١٤
باكستانيون	٢٢٨٣	جنسيات أوربيه مختلفة	١٦٠
سعوديون	١٦٠٥	أمريكيون	١٥١
لبنانيون	١٤٤	جنسيات أخرى	١٠٨١

وكان عدد السكان سنة ١٩٤٠ حوالى ٩١ الف نسمه وفى سنة ١٩٥٠ كان عددهم ١٠٩،٦٥٠ نسمه

ويمكن ارجاع الزيادة العامة فى السكان فى البحرين الى كل من :

١) الزياده الطبيعيه : زيادة المواليد على الوفيات

٢) الزيادة غير الطبيعيه : الناتجه عن الهجره الى البحرين

ويتبين مما سبق ان كثافة السكان تبلغ ٤٨٠ شخصا لكل ميل مربع غير ان هذا التوزيع ليس منتظما فقد نجد عشرة اشخاص فى الميل المربع وقد يتجمع اكثر من ١٠ آلاف فى الميل المربع وخاصة فى اهم المدن اذ يتركز حوالى ٦٥٪ من السكان فى مدن المنامه والمحرق والحد ، بينما عدد سكان القرى لا يزيد على ٤٥ الف نسمه

وتبلغ نسبة عدد الاجانب ٢٧٪ من السكان وهى نسبه مرتفعة تكون

احدى المشكلات الرئيسيه فى البحرين اذ أن ارتفاع نسبة الايرانيين من الاجانب كان من عوامل مطالبة ايران بضم البحرين واعتبار سكانها جميعا ايرانيين واذا اضفنا الى ذلك ان عددا كبيرا سجلوا انفسهم فى التعدادات العامة على انهم بحرينيون بينما هم ينتسبون الى جنسيات اخرى ، وذلك طمعا فى الحصول على الجنسية البحرينية للاستقرار فى البحرين والاقامة فيها ، واذا عرفنا ان سجلات المواليد غير معروفة فى البحرين وان طبيعة البلاد تسمح بالدخول اليها خلسة من ايةجهة من سواحلها ، واذا اضفنا الى كل ذلك ان قيود الهجرة الى البلاد لم يعمل بها الا من وقت قريب ادركنا خطورة ازدياد الاجانب فيها ، ومما يزيد المشكلة تعقيدا ان عددا كبيرا من سكان البلاد الاصليين يهاجرون منها الى المملكه العربيه السعوديه للعمل فى شركة ارامكو بالظهران حيث مستوى الاجور اعلى وقد بلغ عدد هؤلاء ٦٠٠٠ بحرينى سنة ١٩٥٩ ، كل ذلك مما يهدد كيان البحرين ومقومات شخصيتها العربيه

وقد عملت السلطات البريطانيه التى تملك شؤن الهجرة والاقامة على فتح باب الهجرة الى البحرين للايرانيين والهنود والباكستانيين الذين يعملون فى الوظائف الكتابيه فى دوائر الحكومة وشركة البترول بينما قيدت الهجرة بالنسبه للجنسيات العربيه مما أدى الى استفحال المشكلة

وينقسم السكان الى طائفتين كبيرتين السنه والشيعه وهم يتقاسمون عدد السكان مناصفه تقريبا ، وكان يستخدم لفظ البحارنه باطلاقه على شيعة البحرين ومعظمهم يشتغل بالزراعة وبشركة البترول ويسكنون القرى وهؤلاء من العرب الخلص بالرغم من ادعاء إيران انهم إيرانيون لمجرد انهم من نفس المذهب الدينى لمعظم سكان إيران

ونظرا لعدم الاختلاط أو التزاوج بين الطائفتين فان التقسيم الجنسى لسكان

البحرين يتمشى تماما مع التقسيم الطائفي فيمكن تقسيمهم الى ما يأتي :

أولا : السنيون

١) عرب سنه ـ من سكان البلاد الاصليين يقطنون البحرين من مئات السنين

٢) عرب سنة ـ هاجروا الى البحرين منذ منتصف القرن الثامن عشر سعيا وراء الرزق خصوصا لصيد اللؤلؤ والتجارة ، ومنهم الاسرة الحاكمة وأهم هذه القبائل عتبه والدواسر والساده وآل بنى على وبنى ياس وهم مهاجرون من نجد والاحساء وقطر

٣) عرب الهولة ـ وهم قبائل بنى كعب الذين يقطنون الساحل الايرانى وهم عرب بالرغم من انهم يسكنون سواحل ايران هاجروا الى البحرين بعد ان اخضع الشاه رضا بهلوى اقليم عربستان وعمل على اضطهاد العرب والقضاء على شخصيتهم القوميه .

غير ان الطائفتين الاولى والثانيه يشكلون أغلب السنة فى البحرين وان كان هناك من الطائفة الثالثة من وصلوا الى مراكز هامة فى المجتمع البحرينى خصوصا عن طريق التجارة ولا يشك فى اخلاصهم كعرب

ثانيا : الشيعة ـ ومن الممكن تقسيمهم الى ثلاثة أقسام وهم :

١) البحارنة ـ وهؤلاء من سكان البلاد الاصليون استوطنوا البحرين فى عصور مختلفة فرارا من الاضطهاد الدينى والسياسى ايام الامويين والعباسيين وبعضهم ترجع اقامته فى البحرين الى ابعد من ذلك

٢) شيعه من القطيف والاحساء نزحوا الى البحرين بعد ان خضعت هذه المناطق لنفوذ الوهابيين فى القرنين التاسع عشر والعشرين .

٣) شيعة من ايران وهؤلاء قلة نزحوا الى البحرين أثناء الغزو الايرانى للبحرين فى القرن السابع عشر وسواء أكان سكان البلاد من السنه أو الشيعه فمعظمهم عرب يتعصبون لعروبتهم ولا يقل الشيعه فى تعصبهم للعروبة عن السنه

والشيعه نادرا ما يتجاورون فى السكنى ، فالقرى الشيعية لايسكنها أحد من السنة كما ان القرى السينة لا يسكنها أحد من الشيعه اذ يكفى ان تسأل شخصا عن محل اقامته حتى تعرف ان كان سنيا أو شيعيا طالما انه لا يسكن العاصمه التى تجمع بين الطائفتين وأن كانت كل طائفة تتركز فى احياء خاصة بها وقد يرجع عدم التجاور فى السكنى الى ان سكان القريه الواحدة غالبا ما تجمعهم صلة القرابة أو النسب وطالما لا قرابة ولا مصاهره بين السنه والشيعه فلا مبرر لوجود غريب بين سكان قريه كلهم اقارب وأصهار ، وقد يكون من عوامل ذلك أيضا ذلك الصراع الدامى الرهيب الذى كان يحدث كثيرا حتى مطلع القرن العشرين بين السنه والشيعه حيث كان يختل الامن وتقوم المعارك فى وحشية بالغه خصوصا فى مواسم الشيعه ومآتمهم . وقد خف هذا الصراع الآن ان لم يكن قد انقضى تماما

أهم مدن البحرين :

١) المنامـــه :

العاصمة وتمتد أكثر من ميلين على الساحل وتقع فى الراويه الشمالية الشرقيه من جزيرة المنامه أوال ـ ويبلغ عدد سكانها ٦٠ ألف نسمة ويتركز بها الاجانب خصوصا من الايرانيين والهنود والباكستانيين وبها دوائر الحكومه كما ان بها ميناء البحرين ـ فهى مركز لالتقاء الواردات والصادرات والتوزيع لامارات الخليج كلها وتتركز بها الشركات التجاريه والمصالح .

٢) المحـــرق :

وتقع فى جزيرة المحرق وكانت العاصمة السابقه للبلاد حتى سنة ١٩٢٢

حيث انتقلت العاصمة الى المنامه وذلك لان المحرق لاتقع فى الجزيره الرئيسيه ولا يزال يسكن بها كثير من أفراد الاسرة الحاكمة وعدد سكانها حوالى ٣٤ ألف نسمه ومعظم سكانها ان لم يكن جميعهم من العرب السنه ويصل بين المحرق والمنامه جسر يبلغ طوله واحد وربع ميل وقد أخذت قيمة المحرق تتضاءل كمدينة تجاريه بعد ان اكتشف البترول فى الجزيرة الرئيسيه وتضاءلت تجارة اللؤلؤ وتركزت الشركات والمصارف والمؤسسات التجاريه فى العاصمه ، والمحرق مطار البحرين المدنى والحربى

٣) الحد

ويبلغ عدد سكانها حوالى ٦ آلاف وكلهم من العرب السنة الذين ينتسبون الى قبائل السادات وآل بنى على الذين هاجروا من السعوديه وكان سكانها يشتغلون بالغوص وصيد الاسماك ولا تزال للحد أهمية خاصه من هذه الناحيه

٤) الرفاع :

على بعد ١٢ ميلا جنوب المنامة تقع قريتا الرفاع الشرقى والرفاع الغربى وفى الاخيرة قصر الحاكم ومساكن معظم أفراد اسرته وخدمه . أما الرفاع الشرقى فيشتغل سكانه بشركة البترول

وبالبحرين عدد آخر من القرى أهمها ستره وبها معمل تكرير البترول وميناء تصديره وعوالى وهى مدينة أسستها شركة البترول لموظفيها الاجانب من الانجليز والامريكيين وبهامساكن مبنيه على طراز أمريكى كما أن بها كل وسائل الراحه للموظفين الاجانب كالنوادى والسينما وحمام السباحه والمساكن كلها مجهزه بتكييف الهواء

الوضع السياسى للبحرين

البحرين أماره لها شبة استقلال داخلى ، كالعلاقات الدوليه وإقامة مفوضات وسفارات فتتولى أمرها بريطانيا بموجب المعاهدات والاتفاقيات التى فرضتها بريطانيا على البحرين فى ظروف مختلفة ، وحتى الشئون الداخليه فليس لها مطلق التصرف اذ كان يعاون الحاكم حتى سنة ١٩٥٧ مستشار بريطانى له مطلق السلطه فى كل الدوائر وقد حل محله بريطانى آخر يحتل مركز سكرتير عام حكومة البحرين ، كما أن بعض الدوائر بها مديرون بريطانيون

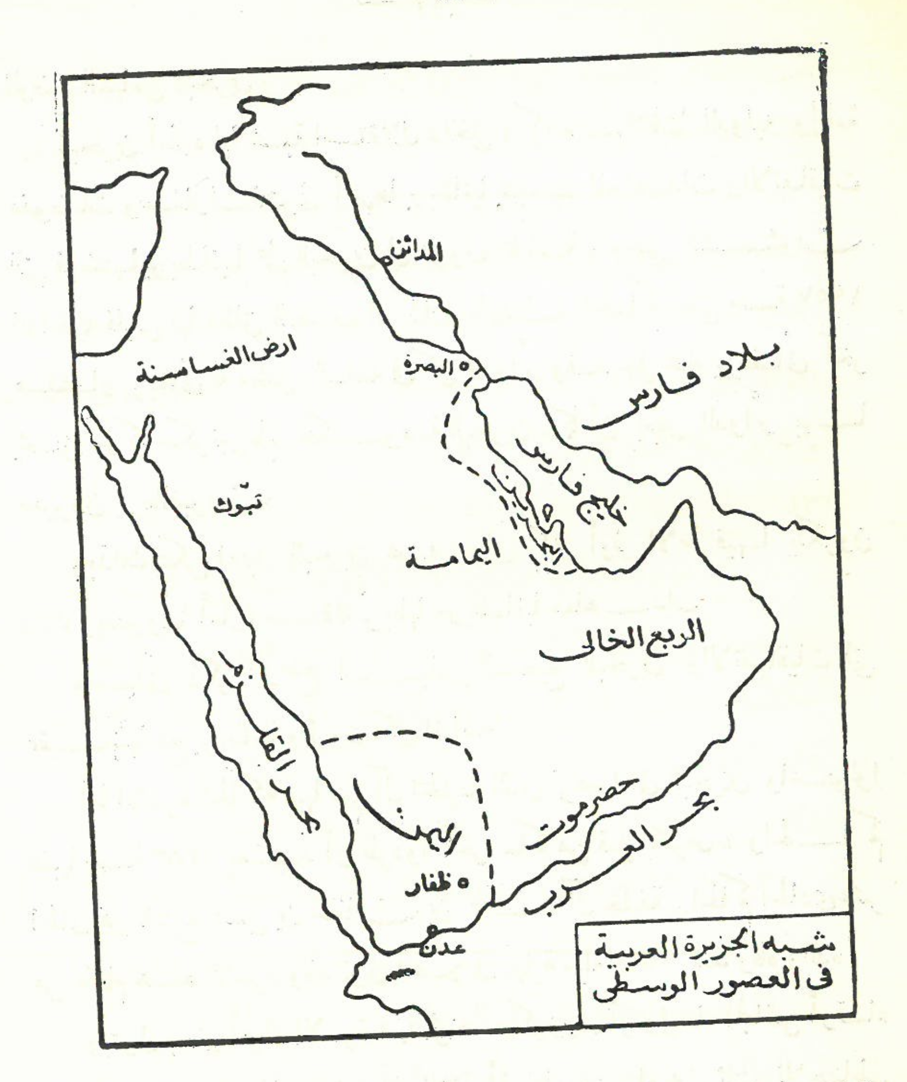
وبذلك يمكن اعتبار البحرين محميه ، وإن كان أولو الامر فيها ينكرون ذلك ويعتبرونها أمارة مستقلة تربطها ببريطانيا معاهدات

وسيأتى ذكر الوضع السياسى الصحيح للبحرين والاتفاقيات التى عقدتها مع بريطانيا وظروف كل اتفاقيه

أما الاسرة الحاكمة فيها فهم آل الخليفه الذين نزحوا الى البحرين واستولوا عليها سنة ١٧٨٣ بعد أن طردوا آخر حاكم من قبل الفرس ، والحاكم الحالى هو الشيخ عيسى بن سلمان بن حمد آل خليفة ، الحاكم الحادىعشر من حكام هذه الاسره وقد تولى الحكم فى نهاية سنة ١٩٦١ بعد وفاة والده

ويتولى بعض أفراد الاسرة مراكز هامه كوزراء أو رؤساء المجالس أوقضاه

والدخل من البترول يتوزع الى ثلاثة أقسام متساويه ـ ثلث للاحتياطى ويوضع فى البنك البريطانى بلندن ، وثلث كمخصصات للاسرة الحاكمة والثلث الباقى يكون ميزانية دوائر أومديريات الحكومه المختلفه التى تنفق فى المشروعات وهى تبلغ حوالى ٤ مليون استرلينى . وأهم هذه الدوائر السكرتاريه العامه وكانت تسمى المستشاريه ودوائر الجمارك والمعارف (التربيه والتعليم)



شبه الجزيرة العربية في العصور الوسطى

كانت البحرين تطلق على الساحل العربي لخليج فارس مما يلي البصرة حتى شبه جزيرة قطر اختصت الجزر بهذا الاسم من قبيل اطلاق الكل على الجزء الأهم

جزيرة المحرق
المحرق
المنامة
أم الشجر
أم الشجيرة
عالي
سترة
عوالي
الزلاق
عسكر
جو
دور
أم النعسان
جده
أم الصبان
رأس البر
خليج البحرين

مقياس الرسم
بوصة لكل خمسة أميال

المصطلحات
مدينة
قرية
طرق رئيسية
مرسى للبواخر
مستنقعات

جزر البحرين

والكهرباء والماليه والقضاء والشرطه والصحه والاشــغال العامه والجوازات

الحـــاله العلميه

كانت الثقافه العلميه حتى سنة ١٩١٩ وقفا على الكتاتيب الملحقه بالمساجد لتعليم الدين ومبادىء الحساب واللغه العربية ـ وفى الســنة المذكوره أقيمت أول مدرسه ابتدائيه مدنيه ثم تابع انشاء المدارس وزيادة الاقبال على التعليم حتى أصبح بها مدرســتان ثانويتان وثالثه للصناعات وأصبح عــدد تلاميذ المدارس ٠٠٠و١٠ تلميذ، ٥٠٠ تلميذه فضلا عن حوالى ٥٠ طــالب وطــالبه يتلقــون العلم بالخارج والاحصائيه الآتيه تبين تطــور التعليم فى الثلاثين سنه الاخيرة

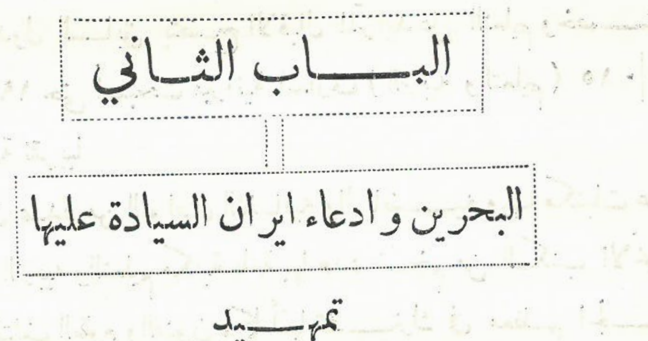
السنه	ميزانية التعليم بالروبيات	عدد التلاميذ والتلميذات
١٩٢٨	٠٠٠و٣٠	٦٢٠
١٩٣٣	٠٠٠و٤٨	٨٢٧
١٩٣٨	٥٠٠و٦٤	١٩١٧
١٩٤٣	٠٠٠و٢٤٣	٢٢٥٣
١٩٤٨	٠٠٠و٧٥٢	٣٦٧٣
١٩٥٣	٠٠٠و٨٢١و٢	٦٩١٨
١٩٥٨	٠٠٠و٠٠٠و٦	١٤٣١٦
١٩٦٢	٠٠٠و٠٠٠و٧	٠٠٠و١٥ تقريبا

ومن الجدول الســابق يتضح الاقبال المتزايد على التعليم وخصــوصا منذ ســنة ١٩٥٠ حتى أصبحت ميزانية المعارف (التربيه والتعليم) ١٥ ٠|٠ من الميزانيه العامــة تقريبا

وبالبحرين عــدد من النوادى الثقــافيه والرياضــيه وبها مكتبات علمــيه كما أن لمديرية التربيه والتعليم مكتبة عامة بها عدد ضـخم من الكتب الانجليزية والعربيه فى مختلف العلوم والفنون، كما أنها تشـــترك فى معظم الجـــرائد والمجلات العربيه والانجليزية

وتبلغ النسبة العامه للتعليم فى البحرين ٢٠٪ والنسبه العامه للتعليم بين الذكور حوالى ٣٠ ٠/٠ هذه المعلومات لاغنى عنها للتعرف على أحوال البحرين





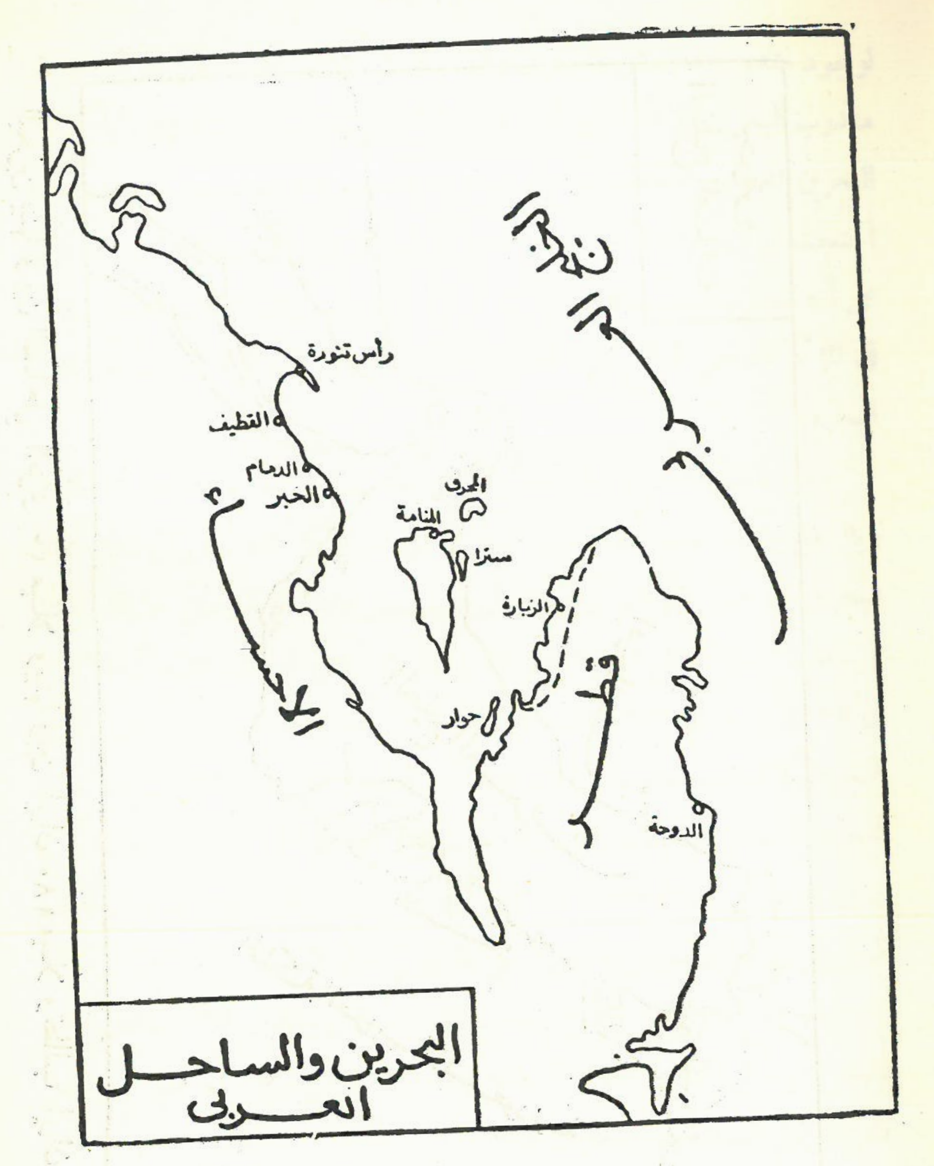
الباب الثاني

البحرين وادعاء ايران السيادة عليها

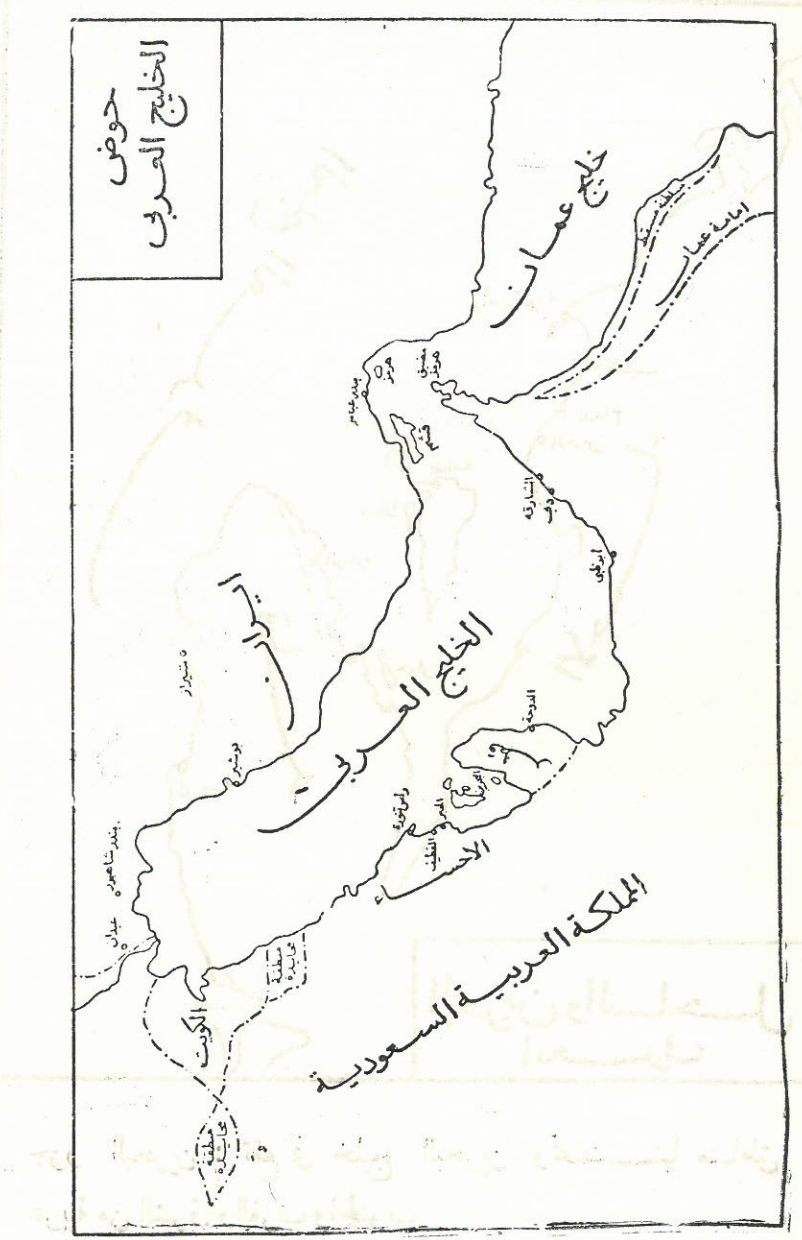
تمهيد

منذ أوائل القرن التاسع عشر تقريبا لم تدع ايران فرصة الا وطالبت فيها بضم البحرين اليها باعتبارها جزءا لا يتجزأ عنها وأقليما تابعا لها ، طالبت ايران بريطانيا منذ أن بدأت توقع معاهداتها واتفاقياتها مع شيوخ البحرين واحتجت على كل اتفاقية أو معاهدة أبرمت مع حكام البحرين لأن فيها اغفالا بحق ايران كما تدعى ، وحتى حينما وقعت المملكة العربية السعودية معاهدة جده سنة ١٩٢٧ مع بريطانيا : التى تتضمن العلاقات الودية بين السعوديين وبين أمراء الكويت والبحرين وقطر الذين تربطهم ببريطانيا معاهدات احتجت ايران على هذه المعاهدة التى تعترف فيها المملكة العربيه السعودية بالكيان المستقل لهذه الامارات

واحتجت ايران على التنقيب عن النفط فى البحرين ، وحينما بدأ تسويقه ادعت ايران لنفسها الحق فى ايرادات النفط - كذلك حينما ظهر اسم البحرين فى وثيقة المساعدة الفنية للتطور الاقتصادى للدول المتخلفة اقتصاديا التى تنشرها الامم المتحده على أن البحرين ضمن البلدان التى تحتاج الى مساعدة فنية ، اعترضت الحكومة الايرانية على اعتبار البحرين ضمن الدول أو الامارات التى لها كيان مستقل ، واحتجت ايران فى المؤتمر العالمى للبريد



جزر البحرين : تقع فى خليج البحرين وتحتضنها مناطق عربية من الشرق والغرب والجنوب



البحرين بينها و بين الساحل العربي ١٢ ميلا و بينها و بين ايران ١٨٠ ميلا وتطالب ايران بها !!

لوجود مندوب مستقل بالبحرين وهـددت بالانسحاب من المؤتمر ان ظل مندوب البحرين الامر الذى اضطره الى الانسحاب ، وحينما دعت باكستان البحرين للمجلس الاقتصادى للدول الآسيوية فى ديسمبر سنة ١٩٤٩ احتجت ايران وأعلنت عدم اشتراكها فى المؤتمر لحضور مندوب البحرين على أنه مندوب مستقل والغيت دعوة البحرين ، وفى أغسطس سنة ١٩٥٠ فى المؤتمر الصحى العالمى فى اسطنبول كان موقف ايران عدم دعوة البحرين .

ومن ناحية أخرى أعلن نائب ايرانى يسارى جائزه قدرها ٥ ملايين ريال لمن يستطيع أعادة جزر البحرين الى ايران كما كادت ايران تعين ممثلا للبحرين فى مجلس النواب ولم يقف فى سبيل ذلك الا ان مثل هذا الممثل لم ينتخب انتخابا مباشرا من شعب البحرين ، كما وافق البرلمان الايرانى بالاجماع فى ٢٥ أبريل سنة ١٩٥٨ بضرورة العمل على تحقيق سيادة ايران على البحرين كما أعلنت السلطات الايرانيه أن الخطابات والبرقيات الصادرة الى البحرين ستعامل معاملة البرقيات والرسائل الداخلية فى الاجور ، واعترضت ايران فى فبراير سنة ١٩٥٨ حينما أثيرت بين دول المعسكر الغربى مسألة ضم البحرين الى حلف بغداد وساومت على التزاماتها تجاه الغرب

والواقع أن ايران لم تدع مناسبة منذ قرن ونصف الا وطالبت فيها بالبحرين ، فهل البحرين اقليم انتزعته بريطانيا من ايران أو بمعنى آخر هل لايران حق السيادة على البحرين ؟

للاجابه على هذا السؤال لابد من بحث النواحى الآتيه :

١) النواحى الجغرافيه والجيولوجية وأصل التسميه
٢) الناحيـة التاريخية

٣) الناحيـــة الحضاريه .
٤) الناحيـــة القانونية .
٥) الناحيــــه الاقتصاديه .
٦) الاتجاه العام للسكان ، أو الرغبه الحقيقيه لشعب البحرين

وعلى ضوء هـــذه العوامل يمكن تحديد مدى حق ايران فى المطالبة بالبحرين وصحة ادعائها أو كذبه كاقليم تابع لها

والواقع أن تبعية اقليم ما لدولة أصبحت من أهم مشاكل النصف الثانى من القرن العشرين وذلك بعد ان انحسرت موجة الاستعمار الغربى عن الشرق وأصبحت كل دوله تبحث عن ممتلكاتها التى فقـــدت وضاعت والتى انتزعتها منها دولة أخرى .

ولم يقف الاستعمار الغربى عند حد انتزاع الاقاليم والدول بضـــمها الى ممتلكاته بل أنه بموجب اتفاقيات ومعاهدات انتزع بعض الاقاليم وضمها الى دول أخرى كضم لواء الاسكندرونه الى تركيا واجنادين التابع للصومال الى الحبشه

ولا شك ان نزاع الدول حول بعض الاقاليم يؤدى الى تدهور العلاقات السياسيه بينها كالنزاع الذى كان قائما بين ايطاليا ويوغسلافيا حول تريستا وكالنزاع بين تركيا واليونان حول قبرص .

وحينما تثار مسألة البحرين بشكل جدى ستكون احدى نقط الخلاف الشديد بين ايران والدول العربية

وأن اقامتى فى البحرين للعمل كمدرس منتدب بها أتاحت لى فرصة دراسة هذه المشكلة عن قرب وتلمس الحقائق فيهـا لا سيا أن بعض تلك الحقائق قد تاهت بين بطون الكتب اما لانها زيفت واما لعدم وفرة المصادر والمراجع بها وكثير من الحقائق التى تمت فى التاريخ القريب قد التمست أسبابها من أشخاص أحياء يرزقون

(الفصـــل الاول)

أولا (أ) العامل الجغرافى

وبالبحرين مجموعة من الجزر يحتضنها الساحل العربى من الشرق والغرب والجنوب حيث أنهـا تقـع فى خليج البحرين الممتد داخل الساحل العربى بين ساحل الاحساء وشبه جزيرة قطر.

وتبعد البحرين عن ساحل الأحساء مسافة ١٢ ميلا عند أقرب نقطة منه أما عن ايران فانها تبعد مسافة ١٨٠ ميلا ، ولذا فان العامل الجغرافى لا يؤيد دعوى ايران فى مطالبتها بحق السيادة على البحرين وحين تذكر العوامل التى تحدد تبعية اقليم ما لدولة فانه لايمكن اغفال العامل الجغرافى كأحد العوامل الهامة .

بل أن معظم الدول فى العصر الحديث تتجه الى أن تحدد مياهها الاقليمية بمسافة ١٢ ميلا على الاقل ، وهـذا يعنى أن البحرين تكاد تدخل فى نطاق المياه الاقليميه للملكة العربية السعودية ، ولاأعنى بذلك تبعيتها للمملكة العربية وانما المقصود أنه اذا كانت المملكة العربيه راضية بخضــوع البحرين لحكم مستقل عنها فانها لن تقبل أن يمتد النفوذ الايرانى عبر الخليج بأكمله لتطل ايران على الساحل العربى من خـــلال فرض سيادتها على البحرين هـذا فضـــلا عن أن جزر البحرين كما سبق أن أشرت تقع فى خليج البحرين لا فى الخليج العربى مباشرة وأن شعوبا عربيه تحتضن هـــذه المجموعه من الجزر من ثلاث جهات

ولما كان العامل الجغرافى لا يقبل الجدل أو التزييف فى الوقائع كما يحدث فى الوقائع التاريخيه مثـــلا ، فان المصـــادر الايرانيه والجهات الرسميه فيها

تعمد الى أن تقلل من شأن العامل الجغرافى بكافة الوسائل

ولعل أهم المراجع الايرانية التى عالجت مشكلة البحرين بأسهاب هو الكتاب الذى ألفه الدكتور فريدبون آدميات فى كتابه (١) : جزر البحرين دراسة قانونيه ودبلوماسيه حول النزاع الايرانى البريطانى . حيث يتعرض المؤلف لاحتجاج ايران على معاهدة جده المعقودة بين بريطانيا والملك عبد العزيز ابن سعود سنة ١٩٢٧ لأنها تنص على خضوع البحرين وبعض امارات الخليج لحماية بريطانيا ، تقول وجهة النظر الايرانية الرسميه فى احتجاجها أن اقليما يفصله عن الارض الرئيسيه بحر أويسكنه عناصر مختلفه أو لغة مغايرة لا يمنع من أن يكون تابعا للدولة وأن بريطانيا على الاقل آخر من تنكر هذه الحقيقة وأن الحقائق الجغرافية والعنصرية يمكن الاخذ بها فقط فى حالة اذا ما وجدت دولة أخرى تطالب بضم هذا الاقليم وتريد أن تبرر مطلبها بضم المقاطعة الجديدة وأن العلاقات الاقتصادية والعنصرية لهذه الجزر قد تطورت الى أكثر مما تطورت اليه دولة متحضرة مستقلة

وهذا النص يفيد عدم اعتراف ايران بأهمية الحقائق الجغرافية والعنصرية معا ، هذا الى ما انساقت اليه حينما أرادت عن طريق غير مباشر أن تشبه سيطرتها على البحرين بسيطرة بريطانيا على مناطق تبعد عنها جغرافيا وتختلف عنها عنصريا متناسية السيطرة الاستعماريه التى تعرضها بريطانيامدعية وجهة نظر فى غاية الخطورة حينما تقرر أن الحقائق الجغرافية والعنصريه لا يؤخذ بها الا ان وجدت دولة أخرى تنازع ايران هذه السيطرة ومع افتراض ان الوهابيين أو العمانيين أوالعرب من شبه الجزيرة لم يطالبوا بالبحرين فى يوم ما فان هذه الحجة الخطيرة تتجاهل تماما مشيئة الشعوب فى المناطق صغيرة المساحة أن تحدد وضعها بنفسها دون أن تخضع لسيطرة دولة كبرى تجاورها وتريد ان تبتلعها

ويستعرض الدكتور آدميات لابحاث فى القانون الدولى ليقلل بها من شأن

---

(١) Fereydoun adamyat Bahrain Islands Ategal and diplomatic Study of the British Iranian Controversy

العامل الجغرافى فيذكر أن أوبنهايم فى كتابه القانون الدولى الجزء الاول الطبعة السادسة يقرر أنه يعتبر جزءا من الدولة أى جزء من الكرة الارضية يخضع لسيادة الدولة ، وبما يقوله كلفو «لاعبرة بالموقع أو المسافه فى تقرير تبعية اقليم ما لدولة . ثم استدل آدميات على ذلك بأن محكمة العدل الدوليه انكرت الحقيقة الجغرافية فى النزاع بين بريطانيا وفرنسا حول السيادة على جزر مينكايرز واكرهوس Minôuiers Ecrehos فى الخليج البريطانى مع قربها من الساحل الفرنسى على أساس أن التسمية بريطانية كما ان الحقائق التاريخية تؤيد أنها مقاطعة بريطانية

واذا كانت الحقيقة الجغرافية وحدها لا تكفى اذا لم تؤيدها وتسندها وقائع التاريخ واحداثه نظرا لاهمية الحقائق التاريخية فان الجزر المذكورة لا تبعد عن بريطانيا بعد المسافه بين ايران والبحرين كما لا تقترب من الساحل الفرنسى بنفس النسبة التى تقترب فيها جزر البحرين من الساحل العربى .

ويثير حكم محكمة العدل الدولية نقطة هامة وهى أهمية التسمية فى الاستدلال على تبعية الاقليم للدولة فهل البحرين لفظ فارسى ؟

ولا يمكن اغفال العامل الجغرافى كعامل هام فى تحديد تبعية الاقليم للدولة ومعظم الدول التى تقلل من أهمية العامل الجغرافى لها ميول استعماريه تماما كما كانت تنكر فرنسا أهمية البحر الابيض كحد فاصل بينها وبين الجزائر وتذهب الى القول ، ان البحر الابيض يخترق فرنسا باقليميها فرنسا والجزائر كما يخترق نهر السين باريس . ! !

وايران بالذات آخر دولة يجب أن تقلل من اهمية العامل الجغرافى اذ انها استولت على اقليم عربستان وسكانه من العرب وضمته اليها واسمته خوزستان ولا حق يسندها فى ذلك الا العامل الجغرافى فقط مع ان هذا الاقليم لا يفصله عن العراق وهى دولة عربية اية فواصل طبيعية اوجغرافية

العامل الجغرافى اذ الايعطى ايران اى حق فى البحرين

(ب) العامل الجيولوجي

اذا كانت اهمية العامل الجغرافى ترجع الى ان الدول كثيرا ما يحددحدودها
فواصل طبيعيه كالجبال او البحار او الأنهار فان العامل الجيولوجى له نفس
الاهميه كعامل طبيعى ، وقد يكون مستغربا ان تعتبر التغييرات الطبيعية
للقشرة الارضية من العوامل الطبيعية التى تتدخل فى النزاع حول تبعية اقليم
ما لدولة ، ولكن فى النزاع حول البحرين بالذات تشير الابحاث الجيولوجيه
الى ان جزر البحرين كانت جزءا من الساحل الشرقى للجزيرة العربية وان
الجزر المتناثرة المتلاصقة فى قاع البحرين وفوق سطحه بين البحرين والساحل
العربى المقابل دليل ذلك

وان موضوع تكون ونشوء الارض له اهميتة لفهم الحضارات والمدنيات
التى نشأت وارتقت على يد هذه الشعوب ، لأن ارتقاء الحضارة مرتبط
ارتباطا وثيقا بالارض ، اذ لايمكن للطاقة البشرية ان تنتج حضارة ما إلا على
الارض ، وتاريخ تكون ارض البحرين مرتبط ارتباطا جيولوجيا بشبه الجزيرة
العربية وتمتد اصل ارض البحرين فى اعماق التاريخ الجيولوجى الى العصر
الجليدى القديم المسمى جنتز حيث كانت المنطقة كلها جليديه لااثر للحياة
فيها ثم مرت عليها ادوار جليدية حتى .بردت القشرة الارضية ورافق ذلك
حدوث طوارىء جيولوجية .برزت على اثرها شبه الجزيرة العربية ومنطقة
الخليج الى حيز الوجود وذلك منذ ٢٥٠ الف سنه

وفى نهاية العصر الحجرى القديم لم تكن جزر البحرين ولا الجزر
الاخرى المتناثرة على شاطىء شبه الجزيرة قد اخذت مكانها فى الخليج بعد اذ
كانت عباره عن جزء غير منفصل من شاطىء شبه االجزيرة العربية ، وفى اوائل
العصر الحجرى الحديث حدثت طوارىء جيولوجية فى باطن الارض فانفصلت
جزر البحرين والجزر الاخرى بالقرب من الكويت واخذت مكانهافى الخليج

ولم تكن جزيرة المحرق قد انفصلت عن الجزيرة الرئيسية أوال ، وذلك
منذ ١٥٠ ألف سنة تقريبا ، ثم خضعت هذه الجزر لعوامل طبيعية
مختلفة وأمطار ورياح وعواصف وزلازل وحرارة ورطوبة ومد وجزر حتى
ظهرت الى خريطة العالم فى شكلها الحاضر ، ويرى العالم الايطالى «كيتيان» فى
كتابة « دراسة تاريخ الشرق » بأن جزر البحرين كانت قبل انفصالها عن شبه
الجزيرة أصلح الاقاليم لاقامة الانسان ثم تطورت طبيعية الارض بعد
العصر الجليدى الاخير وأخذت تربتها فى الاضمحلال بيطء حتى قضى على
العمران فيها واضطر أقوام الى المهاجرة كما اضطر آخرون الى تعود حياة البداوة
وقد لاحظ الرحالة الجيولوجى «بريتون» الذى قام برحلة دراسية سنة
١٨٥٤ الى قطر والاحساء والبحرين والكويت ونجد تشابها جيولوجيا
كبيرا بين رأس جنوبى جزيرة أوال وخلجان شاطىء قطر وبين رأس شمال
غربى الجزيرة نفسها بالقرب من قلعة الرتغال وخليج الظهران فى الاحساء
وبعد دراسته وجد أن الطبقات الرسوبية من الاصداف والمرجان
المتحجرة تنخفض فجأة فى المناطق المذكورة على ساحل قطر والاحساء وتعلو
فى المناطق المقابلة لها على شاطىء البحرين مما يدل على أنها مكملة لبعضها
البعض ، وقد نشرت المجلة الجغرافية الاهلية فى فبراير سنة ١٩٤٤ أن جزر
البحرين كانت بمثابة رصيف قارى لساحل شبه الجزيرة وأنها انفصلت
نتيجة حركات القشرة الارضية فى العصور الجيولوجيه المختلفة ، والجزر
المتناثرة المتلاصقة فى قاع البحر وفوق سطحه بين البحرين والساحل العربى
المقابل للشرق والغرب دليل ذلك وأن أرخبيل البحرين مرجانى التكوين
باستثناء التلال المركزية فى أوال

العامل الجيولوجى اذا يتدخل كعامل طبيعى يحدد تبعية البحرين للساحل
العربى . لا . لايران

ج ـ أصـــل التسمية

فى النزاع على جزر منكيرز واكرهوس بين بريطانيا وفرنسا أشارت محكمة العدل الدولية فى حكمها على أنها تابعة لبريطانيا لان أسماء هذه الجزر بريطانيه

فلماذا سميت البحرين بهذا الاسم ؟ وهل لهذه التسمية دلالة اثنولوجيه يمكن أن تتخذ دليلا فى تبعية البحرين ؟

الواقع أنه لايوجد تفسير واحد مجمع عليه عن سبب أطلاق لفظ بحرين على هذه المجموعة من الجزر ، ولعل أهم تأويل لهذه التسميه أن هذه المجموعة من الجزر يحيط بها ماء مالح من ناحية وفى جوفها ينابيع ومياه عذبة فهذا ماء مالح وذلك ماء عذب ولكنهما لايختلطان فيكون هذا التأويل قريبا من المقصود من الآية القرآنية « مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان » (١) وقد كان لفظ البحرين يطلق قديما على الساحل العربى بأكمله من الكويت الى القطيف بما فى ذلك مجموعة جزر البحرين ثم اختصت هذه الجزر بهذا الاسم وذلك من قبيل ما تداولت عليه السنة الناس من اطلاق العام على الخاص الاهم كاطلاق لفظ مصر على القاهرة أو الشام على دمشق ولقد كانت جزر البحرين التى كانت تسمى أوال أهم بقعة فى هذه المنطقة

اذا كانت تسمية هذه المنطقه كلها باسم واحد فذلك لانها كانت تكون على مر عصور التاريخ وحدة جغرافيه واقتصـــاديه بل وسياسيه فى كثير من الاحيان ، فهى بهذا تكون جزءا لاينفصل عن الجزء المقابل من الساحل العربى

وهناك عدة تأويلات أخرى تفسر سبب التسمية ، منها أنه يفصلها عن

(١) وكذلك الآية : وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجوراً « الفرقان آية ٥٣ »

الساحل العربى البحر وعن الساحل الايرانى بحر ، والتعسف ظاهر فى هذا التفسير طالما أن الذى يفصل ويربط البحرين بكل من المملكة العربية السعودية وايران بحر واحد هو الخليج العربى

وهناك أيضا تفسير آخر بأن لفظ بحرين كان سابقا بحر عين أى بحر من العيون العذبة نظراً لكثرة الينابيع العذبة فى هذه الجزر ثم بعد تحريف أصبحت بحرين ، ولكن هذا التأويل يتطلب إلغاء حرف «ع» وهو حرف غير موجود فى النطق الاجنبى للكلمة ، فهذا التأويل اذاً ظاهر فيه أنه تأويل أوربى بعيد عن الحقيقة والتعسف ظاهر فيه لانه لو كان أصل الكلمة بحر عين لوجب ان يكون بحر عيون بصيغة الجمع لا للمفرد

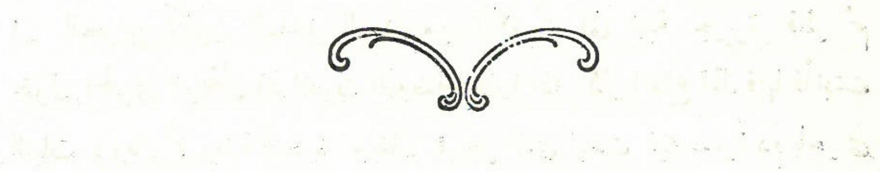
وقد اشار المؤرخون العرب القدماء الى اصل تسمية البحرين اذ يقول الامام شهاب الدين الحموى فى كتابه « معجم البلدان » فى اشتقاق البحرين وجهان الاول انها مأخوذة من بحرت الناقة اذا شققت اذنها والبحيرة المشقوقة الاذن عن قوله تعالى «ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا واصلة ولا حام» واما انها مأخوذة من قول العرب قد بحر البعير بحرا اذا اولع بماء فأصابها منه داء ، اى يبدو لو صحت هذه التسمية ان الابل كانت تتزود بماء بعد رحلة طويلة شاقة فى صحراء قاحلة حتى قد يصيبها الاعياء هذا على اساس ان البحرين تكون الساحل العربى من الكويت الى شبة جزيرة قطر ثم يقول الحموى «ويقال قد ابحرت الروضة ابحارا اذا كثر انقاع الماء فيها فأنبتت النبات ، وقال للروضة البحرة ويقال للرجل الذى ليست فيه صفرة دم باحرى وبحرانى ، قلت هـذا كـله تعسف لايشـــبه أن يكون اشتقاقا للبحرين والصحيح عندنا ما ذكره أبو منصـــور الأزهرى قال انما سمـوا البحرين لأن فى ناحية قراها بحيرة على باب الاحساء وقرى هجر بينها وبين البحر الاخضر (١)

(١) البحر الاخضر المقصود به الخليج العربى

عشرة فراسخ

من ذلك يتبين أن البحرين كانت تكون دائماً جزءا من الساحل العربي وأن أصل التسمية مهما اختلفت الآراء فيه فهو تسمية عربية صميمة تشير الى أصل سكانها العرب ، والواقع أن أى فرد عادى يسمع عن النزاع بين العرب والفرس حول البحرين تتملكه الدهشة والاستغراب أن يكون بلد اسمه عربي يطالب به الفرس اذ ليست التسمية مجرد اطلاق لفظ على بلد أو اقليم لانه غالبا ماتنبىء عن أصل السكان وعنصرهم فحين توضع الحجج للفصل فى النزاع فان التسمية لها قيمتها ووزنها لترجيح كافة العرب .

وكما أن هناك بعض قرى فى البحرين لها أسماء فارسيه مما يدل على سيطرة الفرس على البحرين حقبة من الزمن ، فان تسميه الجزر كلها بلفظ عربى صميم لايمكن ان نمر به دون اعتبار ، فحينما تذكر قرية باربار وقلعة الديوان أو قلعة نادر شاه سيذكر أن الفرس احتلوا البحرين فى زمن ما ، وحينما تذكر قلعة البرتغال يذكر معها الاحتلال البرتغالى ، وحينما يذكر لفظ البحرين وعشرات من الأسماء العربيه الصميمة للقرى والمدن الهامة سيذكر مع ذلك الاصل العربي الصميم لهذه الجزر ولسكانها من قديم الزمان



الفصل الثانى

(ثانيا) العامل التاريخى

بين جميع العوامل التى توضع موضع الاعتبار للحكم على تبعية اقليم ما لدولة ، يعتبر العامل التاريخى من أهم هذه العوامل وأجلها شأنا ، وما من دولة تدعى سيادتها على اقليم ما الا وتحاول أن تستخلص من أحداث التاريخ ووقائعه ما يؤيد حجتها ويدعم وجهة نظرها حتى اليهود حينما اغتصبوا الارض المقدسة بحثوا بين سجلات التاريخ ونقبوا ليثبتوا أن فلسطين كان سكانها كانوا فى يوم من الأيام من بنى إسرائيل ، ولما كان لوقائع التاريخ كل هذه الأهميه كانت سجلات التاريخ للاسف الشديد محل تزييف وتحريف وتغيير وتبديل ، لقد سخرته كل دولة لصالحها فطمست حقائقه وزيفت وقائعه

وبالنسبة للبحرين خاصةً ومنطقة الخليج عامة لم يعرف التاريخ تزييفا لحوادثه وطمسا لوقائعه كما عرفت هذه المنطقة ، أن أى باحث يحاول التدقيق والبحث المحايد العميق يجد نفسه فى ظلام دامس لا يكاد يتبين واقعة واحدة لم تلمسها يد التزييف من المغرضين ، لقد وصل تغيير الوقائع الى تغيير أسماء المناطق حتى كادت الخرائط الجغرافية تعترف بالوقائع المشوهة ألم يسمى ساحل عمان باسم ساحل القرصنة ثم أصبح اسمه ساحل الهدنة لأن البريطانيين شاؤوا له هذه التسمية ؟ ألم تعتبر بحرية عمان قائمة على القرصنة وبدخول البريطانيين فى خليج حلوا النظام محل الفوضى وقضوا على تجارة الرقيق وتوقفت الحروب بين القبائل ! ! .

أن تاريخ الخليج عامة والبحرين خاصة سواء فى التاريخ القديم أو الوسيط أو الحديث لم تتناوله بالتفصيل يد المؤرخ المحايد فاما مراجع أوربية أو بالاحرى بريطانية كتبها المقيمون البريطانيون وهؤلاء يمثلون دولتهم ويدافعون عن سياستها الاستعمارية واما مراجع ايرانية لاتخلوا من روح العنصرية والشعوبية

وبين المؤلفات الايرانية والبريطانية أهمل العرب للأسف الشديد تدوين تاريخهم وتسجيل أحداثه اهمالا يكاد يكون تاما فلا يكاد يوجد كتاب واحد باللغة العربية عن هذه المنطقة (١)

وكان على من يريد أن يعرف تاريخ البحرين فى عصوره المختلفة أن يجمع كل هذه الكتب المغرضة وأن يبحث فى تاريخ كل عصر على حدة فى هذه المراجع المتباينة معتمدا على أن تباين الاهواء هو الذى يفضح كذب المغرضين هذا فيما يتعلق بالتاريخ الحديث اما عن تاريخ العصرين القديم والوسيط وعلى قدر ما وصلت إليه عقول المؤرخين وعلمهم بمناهج البحث فقد كانوا أقرب الى الحياد والنزاهة فى الرأى وان لم تخلوا كتبهم من الأساطير والخيالات والاخطاء التى ترد الى نقص الوسيلة وقلة الوثائق والاعتماد على الرواية

ولقد عبر تشمبر لين فى مذكرته التى رد بها على احتجاج ايران على معاهدة جده سنة ١٩٢٧ عبر عن غموض تاريخ البحرين بقوله أن تاريخ قبل سنه ١٥٠٧ كان غامضا حيث استولى عليها العرب والفرس والمغول كما اجتاحها فوضى القرون الوسطى (٢)

هناك صعوبة أخرى فى استخلاص الوقائع اذ من المعروف أن الوضع السياسى لاى دولة طوال العصرين القديم والوسيط لم تكن محدده

١) اللهم الا كتاب (التحفة النبهانيه لمؤلفه الشيخ محمد النبهانى وهو ليس مؤرخا

٢) كتاب جزر البحرين لفريدون آدميات ص ٢١٣

قومية محدده أو الرغبه الطبيعية لسكان الاقليم ، والبحرين بالذات كبلد صغير له موقعه الجغرافى الهام فضلا عن أهميته الاقتصادية تناوبت عليها عهود وخضعت لتيارات سياسية مفروضة عليها وليست منبثقة من رغبة شعبها ، ولذا يتطلب الامر تبيان الدوافع الحقيقية التى سيرت أحداث التاريخ للتعرف عما اذا كانت متمشية مع رغبة سكان البحرين أم لا

لقد خضعت البحرين لموجات من المد والجزر بين كل من العرب فى قطر ومسقط وعمان والاحساء وبين الفرس فى الساحل الشرقى للخليج فهل خضوع البحرين لسيطرة قوة أجنبية يمكن أن يعتبر دليلا على تبعية البحرين للدولة الغازيه مهما طالت فترة الغزو والسيطرة ؟ أنه يجب التمييز بين دولة مالكه شرعية وبين دولة غازيه تمارس سلطتها بالقوة والذى يحدد هذا التمييز رغبة السكان من ناحية والدوافع التى حدت الدولة المسيطرة الى الغزو ومدى المصالح المشتركة التى تربط بين الاثنين من ناحية أخرى

لا نعرض لتاريخ البحرين اذا لغرض الدراسة التاريخية البحتة وانما لكى نلقى أحداث التاريخ ضوأ على هذه المشكلة فتحدد لنا ما للفرس وما للعرب ، الأمر الذى يجعلنا نطيل فى عرض فترات من التاريخ حيث يكون الاحتكاك بين الفرس والعرب حول البحرين على أشده ونعرض عن فترات أخرى غير ذات موضوع فى بحثنا هذا

وليس التاريخ عرضا لسير ملوك أوحكام والاشادة ببطولتهم

وأمجادهم ، لأن أحداث التاريخ تسيره عوامل أبعد من ذلك أثرا وأعمق غورا ، وهذه العوامل الاقتصادية والاجتماعية والدينية والسياسية ستسهم بدورها فى اظهار الحقيقة الكاملة فى هذا الموضوع المعقد الشائك

ولسنا من الذين يمسخون أحداث التاريخ ويشوهونه لابراز بطولة معينة كما لن يدفعنا تعصب دينى او مذهبى اوعنصرى الى التحيز برأى او التعصب ضد دولة لان أهم صفات الباحث النزاهة فى الراى والتجرد عن الهوى والمصلحة



(١) العصور القديمة

اذا رجعنا الى التاريخ القديم لنتعرف على أصل شعب البحرين نجد المراجع القليلة التى عالجت هذا الموضوع تذكر ان البحرين من عرب ثمود الذين نزحوا من اليمن فى الألف الثانية ق . م وعبروا الصحراء واستقروا فيها نظرا لشظف العيش بين تلك القبائل ، كما تدل المخطوطات البابلية ان سفن السوماريين كانت تزور جزيرة تلمون أو دلمون لشراء البلح والبرنز والتوابل والخشب ، وأن تلمون التى تشير اليها المخطوطات البابلية على انها واقعة فى منتصف البحر الأسفل هى البحرين وكانت تلمون عاصمة لامبراطورية هامة وكان يحكمها فى وقت ما الملك اوبرى ، الذى كان نفوذه ممتدا على طول الساحل العربى لخليج فارس وان هذا الملك كان معاصرا للملك الاشورى سرجون الثانى (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق . م) وانه فى عهده بعد ان حمل اليه الأخير مع رسله بعض حطام مدينة بابل كأنذار بتخريب البحرين او دلمون ان لم تخضع له خضعت البحرين لحكم الأشورين ومنذ ذلك الوقت ظلت البحرين خاضعة للدولة التى كانت قائمة فيما بين النهرين (١)

ومن ذلك يتبين ما يأتى :

١) ان اول هجرات الى البحرين ذكرت فى التاريخ كانت من قبائل من شبه الجزيرة العربية .

٢) ان البحرين كانت خاضعة لحكام مستقلين يبسطون سيطرتهم على الساحل العربى اى ان الاتصال الوثيق الذى تقرره المصالح الأقتصادية كان بين البحرين ومناطق الساحل العربى وظل الأمر على ذلك حتى تدخلت

---

1 Dr.AbbasFaruoghy : TheBahrein islands , a contribution to the study of power politics in the persiaGn'f

قوات الاشوريين تلك القوة التى ذكرتها المصادر التاريخية عن هذا الزمان البعيد انها اول قوة من خارج المنطقة تفرض سيادتها على البحرين وتخضعها لسيطرتها طوال مدة ازدهار الحضارة الاشورية فى بلاد ما بين النهرين

الامبراطورية الفارسية :

قامت بعد ذلك امبراطورية الفرس التى اصبحت اول قوة فى زمن ما من ازمنة العصور القديمة وبازدياد قوة الفرس اصبحت البحرين القاعدة البحرية فى الأسطول الفارسى الذى كان يتزود من مياه الينابيع العذبة بالبحرين فى رحلاته الطويلة الى الهند ولقد امتد النفوذ الفارسى غربا حتى وصل الى شواطىء البحر الأبيض كذلك البحر الأحمر وتعتبر هذه الفترة هى بداية سيطرة الفرس على البحرين اى ان هذه السيطرة كانت ضمن سيطرة تلك الامبراطورية الكبيرة التى امتدت من الهند شرقا الى البحر الأبيض ومصر غربا

الاسكندر الأكبر :

ولكن هذه الامبراطورية الضخمة لم تصمد طويلا بعد هزيمة الفرس على يد الاسكندر وبانهيار الامبراطورية الفارسية انهار نفوذ الفرس فى كل الأقاليم التى كانوا يحتلونها بما فى ذلك البحرين وكما يقول الدكتور عباس الفاروجى وهو فارسى الأصل « انه بسقوط الامبراطورية اختفت قوة البحرية الفارسية وترك سكان الخليج وشأنهم » (٢)

احتلال الفرس للبحرين اذا كان قائما على القوة العسكرية وليس هناك ادنى دليل على ان البحرين قد اندمجت تماما فى القومية الفارسية ولو كان الأمر كذلك لما زال النفوذ الفارسى بانهيار الامبرطورية

2 Dr.AbbasFaruoghy : TheBahrein islands , a contribution to the study of power politics in the persian Gulf

وتحاول وجهة النظر الفارسية فى موضوع تبعية البحرين أن تجعل بداية التاريخ لهذه المنطقة منذ اتساع الامبراطورية الفارسية فى عهد كورش وقمبيز فى القرن الثامن قبل الميلاد لتجعل هذه السيطرة بداية الخيط فى المشكلة متجاهلة بذلك أحداثا أبعد حينما فرض الاشوريون سيطرتهم عليها بل متناسية ما هو أهم من الاستيلاء والسيطرة وهو القبائل الزاحفة التى استقرت واستوطنت الجزر فى الألف الثانية قبل الميلاد ، أن بداية تاريخ البحرين يبدأ من هجرة عرب ثمود من شبه الجزيرة الى البحرين لا منذ عهد الدولة الكيانيه فى فارس ، ان جميع مصادر التاريخ لا تذكر شيئا بالمرة عن ادنى صلة بين الدولة البشدارية التى حكمت ايران مدة ٢٤٥٠ عاما حتى قامت الدولة الكيانية فى اول القرن الثامن قبل الميلاد فالهجرات كانت من شبه الجزيرة والحكام إما من البحرين وتخضع لسيطرتهم بعض مناطق الساحل العربى على الخليج أو من هذا الساحل العربى وتخضع البحرين لنفوذهم ، اى أن تبعية البحرين كانت للساحل العربى وهو أمر اقرب الى الصحة والعقل لقرب البحرين منه وبعدها عن الساحل الفارسى ثم لبعد مناطق الساحل الفارسى نفسه عن الحكومة المركزية فى وسط فارس حيث سلاسل عالية من الجبال تحول دون الاتصال القوى بين حكومة فارس المركزية وبين مناطق بساحل ايران على الخليج فضلا عن البحرين ، هذا فى عصر لم تكن طرق المواصلات قد مهدت أو تطورت بعد

حتى من الناحية التاريخية التجارية لم تذكر المصادر التى تناولت التاريخ القديم لهذه المنطقة أدنى صلة تجاريه بين البحرين وفارس بل كانت التجارة إما مع بابل كما تدل المخطوطات البابلية وإما مع الدولة الفنيقية على

ساحل البحر الابيض كما تدل على ذلك الآثار المكتشفة فى البحرين التى تشبه الى حد كبير آثار الفنيقيين فى لبنان ، ولو كانت البحرين تابعة لاقليم فارس لوجب أن توجد علاقة اقتصادية وتجارية على نطاق واسع ولكن المصادر لاتشير الى مثل هذه العلاقة فضلا عن أنها متعذرة من الناحية العملية

وفى البحرين عشرات الآلاف من القبور المنتشرة على شكل قباب قد شاهدها هيرودوت منذ اكثر من ٢٣٠٠ سنة ، كتب عنها يقول « ان اهالى المناطق المجاورة كانو ينقلون موتاهم الى قبور لهم فى جزيرتى تيروس (المنامة والمحرق) فى موا كب مقدسة » . فهل يعقل ان ينقل الناس موتاهم الى منطقة تابعة لدولة أخرى ؟

الهجرات العربية مرة أخرى فى القرن الثالث الميلادى :

جذبت ثروة مناطق الخليج التى كانت تكتسبها نتيجة التجارة المزدهرة جذبت القبائل العربية فى اليمن فى القرن الثالث الميلادى ويذكر الطبرى ان القبائل العربية هاجرت من الحجاز واليمامة والمناطق المحيطة بالبحر الاحمر وان المد العربى استمر شمالا وان كان قد لقى مقاومة من ملوك الفرس ولكن بعد انهيار نفوذ الفرس استمر المد العربى حيث اسس العرب فى الشمال ولاية الحيرة

اما الاصفهانى فى كتابه الاغانى فيذكر ان المهاجرين من اليمن بقيادة مالك واخيه عمرو وابن اخيهما زهير غزوا البحرين بعد ان هزموا النباتيين (شعب ارامي من الكلدانيين) وقد لحقتهم بعض القبائل العربية من قبيلة أياد (عياد) من الحجاز وهى احدى القبائل التى تمت بصلة القرابة الى مالك ، وانه قد تألفت هذه القبائل وكونوا تحالفا اقسموا

فيه على تبادل المنفعة وقد استشارت هذه القبائل عرافة هى اخت مالك فاخبرتهم ان البحرين ستكون لهم تنوخ (أو مناخ) حتى يأتى غراب فى قدميه حلقات مرفرفا على شجرة نخيل ويصيح قائلا « حيره . . حيره » فاتبعوه وان هذه القبائل المهاجرة اطاعت نبوءة العرافة فأقاموا فى البحرين ولحقت بهم قبائل اخرى وسموا التنوخيون حتى رحلوا عنها الى الشمال على حدود العراق وأسسوا مدينة الحيرة

ويذكر ارنولد ولسون فى كتابه الخليج الفارسى (١) انه فى عهد ملوك الطوائف قامت عدة ثورات وحروب فى بلاد ما بين النهرين وان عرب النهرين انتهزوا الفرصة الاستيلاء على ارض اكثر خصوبة وربما واتوا فى موجات متوالية حيث طردوا الاراميين من كلدا واستقروا فى وادى الفرات الاسفل

الغزو الفارسى مرة اخرى:

حينما قامت الدولة الساسانية فى القرن الثالث الهجرى احتل اردشير احد ملوك هذه الاسرة البحرين نظرا لأن ملكها ساتيرن كان يهاجم المناطق المحيطة بفارس وانه بعد ان حطم قلعة البحرين واستولى على كنوزها قفل راجعا الى فارس بعد ان جعلها تحت امرة ابنه سابور الاول

غير ان العرب من البحرين مؤيدين من القبائل العربية فى الحسا والقطيف واليمامة انتزعوا الجزيرة واغاروا على ساحل فارس ولكن الجيش الفارسى بقيادة سابور هاجم العرب الذين كانوا قد استقروا فى بلاد مابين النهرين ، اما اهل البحرين فقد لاحقهم جيش الفرس حتى احتل الجزر ثم الساحل العربى ، وامعن سابور فى القتل فى قبيلة عبد القيس

ونقب أكتاف الاسرى وربطهم بالحبال حتى سماه العرب ذى الاكتاف وبذلك
خضعت البحرين لحكم الفرس ثم الحقت بعد ذلك تحت سلطان
ملوك الحيرة الذين كانوا يحكمون هذه المناطق مخولين من قبل الاكاسرة

ويوضح الطبرى هذه الفترة فى كتابه تاريخ الأمم والملوك (٢) بقوله
شاع أن الفرس ملكوا طفلا فى المهد فطمعت فى مملكتهم الترك والروم
وكانت بلاد العرب أدنى البلاد الى فارس وكانوا أحوج الامم الى تناول
شيء من معايشهم وبلادهم لسوء حالتهم وشظف عيشتهم فسارجمع كبير
منهم فى البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين حتى أناخوا
على سواحل فارس وغلبوا اهلها على مواشيهم وحروثهم
ومعايشهم واكثروا الفساد فى تلك البلاد فمكثوا على ذلك من
أمرهم حينا لا يغزوهم أحد من الفرس لعقدهم تاج الملك على طفل
من الاطفال وقلة هيبة الناس له . . . فلما بلغ أشده سار بجنوده
الى العرب بفارس فأوقع بمن انتجع بلاد الفرس من العرب وهم
غارون وقتل منهم أبرح القتل وأسر أعنف الاسر وهرب بقيتهم ثم
قطع البحر فى أصحابه فورد الخط واستقرى بلادالبحرين تقيل اهلها ولا
يقبل فداء ولا يعرج على غنيمة ثم مضى على وجهة هجر وبها ناس من اعراب
تميم وبكر بن وائل وعبد القيس فأغشى فيهم القتل وسفك فيهم من الدماء سفكا
سالت كسيل المطر

من ذلك يتبين ان القبائل المغيرة على سواحل فارس من البحرين سواء
أكانوا من شبه الجزيرة او من الجزر كانوا من العرب مدفوعين بعوامل
اقتصادية وانهم احتلوا سواحل فارس وان اغارة سابور الثانى سنة ٣١٠
ـ ٣٧٩ كانت رد فعل لجرأة القبائل العربية على سواحل فارس وانتقام منهم

حيث أعمل فيهم سفك الدماء ونقب أكتاف الأسرى وربطهم بالحبال ولايمكن
أن يعد ذلك ألا سيطرة قائمة على غزو مسلح بقصد ارهاب هذه القبائل المغيرة
واخضاعها والقضاء عليها أن امكن ، وقد امتد نفوذ الفرس منذ عهد سابور فى
القرن الثالث الميلادى وما بعده إلى بلاد الجزيرة فى العراق بل امتد الى
اليمن وعدن .

وقد عين سابور فى بادىء الأمر على المناطق التى غزاها مرزبانا من الفرس
ليحكمها حكما مباشرا ، غير أنه بعد ذلك ترك نظام الحكم للحكام العرب بشرط
دفعهم الجزية .

ولم تشر المصادر التاريخية التى تناولت هذه الفترة من الزمن إلى حدوث
هجرات من الفرس إلى البحرين حتى تفقد البحرين عروبتها ويقضى على شخصيتها
وتندمج فى بلاد فارس وتضيع مقوماتها وتتلاشى فى حضارة الفرس بل ظلت
القبائل العربية هى نفس القبائل التى تسكن شبه الجزيرة العربيه .

وليس أدل على أن حكم الفرس طوال الدولة الساسانية من القرن الثالث الميلادى
حتى قيام الاسلام لم يكن مستقرا فى المناطق التى غزاها بما فى ذلك البحرين ليس
أدل على ذلك من أن العرب تمردوا فى عهد بهرام الخامس واستقلوا وامتنعوا عن
دفع الجزية ولم يعودوا إلى حكم الفرس ثانية ألا فى عهد كسرى أنوشروان حين
هزم الروم وأخضع لهيبته كل البلاد المجاورة ومنها بلاد العرب وذلك من سنة
٥٢٦ إلى سنة ٥٧٢ (١)

تعقيب:

لما كان التاريخ القديم يمثل أهم فتره توضح أصل السكان، ولما كانت الحقيقة
التاريخية بالذات تعتبر أهم الحقائق لاتصالها الوثيق بالنواحى العنصرية والاثنولوجية

لكن لابد من أن نعرض وجهة النظر الفارسية وأدلتها لتدعيم دعواها :

١) تجعل وجهة النظر التاريخية بداية تاريخ البحرين منذ القرن السابع قبل الميلاد حينما اتسعت امبراطورية الفرس وسيطروا على منطقة الشرق الاوسط متجاهلة بذلك تاريخا أبعد من ذلك حينما نزح العرب إلى البحرين واستوطنوها فى الالف الثانية قبل الميلاد كما يعترف بذلك الدكتور عباس فاروجى فى كتابة تاريخ البحرين .

٢) تعطى وجهة النظر الفارسية أهمية كبرى لاعتبار البحرين قاعدة للبحرية الفارسية حين غزاها الاسكندر ليس هناك من ينكر ذلك ولكن البحرين كانت ضمن نطاق امبراطورية كبيرة من حـــدود الهند شرقا إلى البحر الأبيض غربا ولا يمكن أن يتخذ ذلك دليلا على أن البحرين جزء لايتجزأ من فارس ، وإلا فعلى إيران أن تطالب أيضا بعدن واليمن ومصر والعراق لان كل هذه المناطق كانت فى نطاق الامبراطورية الفارسية .

٣) تعتبر المصادر الفارسية أن بداية احتكاك العرب للفرس هو القرن الثانى الميلادى حيث يذكر الدكتور آدميات أن بداية هجرة العنصر العربى إلى البحرين سنة ١٩٠ ميلادية نتيجة الحاجة والظروف الاقتصادية والاجتماعية ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين الفرس والعرب (١) غير أن تاريخ العرب فى البحرين أبعد من هذه الفترة كما يذكر الطبرى ، مما يدل على أن سكان البحرين كانوا دائما من العرب (اذ لما كثر أولاد معد بن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب وما جاور بلادهم من تهامة وما يليهم ، فرقتهم حروب وقعت بينهم وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارق الشام وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين وبها جماعة من الأسد كانوا نزلوا فى دهر

1 - F. Adamyat: The Bahrain Islands ص٧

عمران بن عمرو من بقايا بنى عامر وهو ماء السماء بن حارسه ... وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمروا ابنا فهم بن تيم اللاه بن أسد ... ومالك بن زهير بن عمرو فى جماعة من قومهم والحيقار بن الحيق بن عمير ... ولحق بهم خطفان بن عمرو ... وزهر بن الحارث ... فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب وتحالفوا على التنوخ وهو المقام وتعاقدوا على التوازر والتناصر فصاروا يدا على الناس وضمهم اسم تنوخ وأصبحوا كأنهم عمارة من العمائر ، وتنخ عليهم بطون من عمارة ابن لخم ودعى مالك بن زهير جزيمة الابرش بن مالك ... وكلمة تنوخ كلها واحدة وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الاسكندر وفرق البلدان بينهم)

وكانت البحرين طوال عهد الدولة الساسانية الا فى فترات كثيرة كزمن حكم سابور الثانى وزمن كسرى العادل ـ كانت تابعة لولاية الحيرة التى كان يحكمها المناذرة ، وحقيقة أن المناذرة كانوا خاضعين للفرس ويرسلون الجزية سنويا لكسرى ، الا أن منطق الأمور يقتضى ان لو كانت البحرين معتبرة جزءا لا يتجزأ من فارس أو اقليما متمما لها لوجب أن تخضع مباشرة لحكومة فارس المركزية ، ولو كان سكان العرب او اغلبيتهم من العجم لما سمح الفرس ان يدفع هؤلاء الجزية لملك الحيرة وهو من العرب ليبقى هذا جزءا لنفسه ويرسل الباقى لملك الفرس ، ثم لو كانت هذه التبعية لامارة الحيرة تعطى لايران حقا فى المطالبة بالبحرين لوجب ان تطالب اولا بولاية الحيرة اى بمنطقة شط العرب .

الفصل الثالث

ب ـ عصر الاســلام

أوفد النبى أحد صحابته وهو العلاء عبد الله بن عماد الحضرمي يدعو شعب البحرين للاسلام ، فاستجاب لهــذه الدعوة حاكمها المنذر بن ساوى التميمى كما استجابت لهـا القبائل العربية ، أما الذين رفضوا الاسلام فقد قبلوا الجزية على أنفسهم اذا قاسمهم العلاء الحضرمى غلاتهم من الحب والتمر وكتب بينهم كتابا (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ماصالح عليه العلاء بن الحضرمى أهــل البحرين صالحهم على أن يكفونا العمل ويقاسمونا التمر فمن لايفى بهذا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وعاد العلاء إلى مكة يحمل إلى الرسول البشرى كما يحمل معه من الغلات والدنانير مالم يأت النبى منه قبله ولا بعده .

من ذلك يتبين أن لو كان للفرس نفوذ مباشر فى البحرين أو كانوا يمارسون السلطة والسيادة عليها كجزء لايتجزأ عن دولتهم لما كان يصح ان يمر هذا الحادث الخطير دون ان يثير الفرس على الدولة الاسلامية الناشئة ، أليس امرا خطيرا ان قبائل تخضع ـ كما تدعى فارس ـ لدولة الفرس تدفع الجزية لدولة جديدة ناشئة هى الدولة الاسلامية ويعلن اهلها اسلامهم مع حاكمهم ويستجيبون لدعوة رسول من قبل النبى ولايتعرض الحاكم للعزل ولا القبائل للتأديب ، هذا فى الوقت الذى رفض فيه كسرى دعوة الاسلام ومزق رسالة النبى حين جاءته ! هل يمكن الحكم بعد ذلك ان البحرين كانت فى عهد الدولة الساسانية تابعة لدولة الفرس تبعية جزء من اقليم الدولة للحكومة المركزية فيها !

ووقعت بعد ذلك احداث حين ارتدت بعض القبائل عن الاسلام مع المرتدين بعد وفاة النبى، وتولى حكم البحرين المنذر بن النعمان الذى انتخبته القبائل المرتدة

واليا عليها معلنة انها تريد الملك فى آل المنذر ، وهى عبارة تدل على ان القبائل العربية كانت لها الأمر والكلمة الفاصلة فى اختيار حاكمها من ناحية وعلى انها لم تكن مجرد أقلية تسكن الصحارى فى الخيام او ان سكان المدن والقرى فى البحرين كانوا من الفرس على نحو ماتدعى وجهة النظر الايرانية (١) .

عود إلى الاسلام :

عادت قبائل عبد القيس من نفسها إلى الاسلام دون قتال وقد دعى الجارود بن عمرو رؤساء القوم وكبارهم وسألهم : هل كان لله انبياء فيما مضى ؟ قالوا نعم قال لهم « اين هم الآن ؟ قالوا ماتوا وقال الجارود ولقد مات محمد كما ماتوا واشهد الا اله إلا الله وان محمدا عبده ورسوله وتشهد القوم معه وعادوا الى الاسلام .

اما قبيلة بكر بن ربيعة فقد بقيت مرتدة عن الاسلام ، وقد استمال رئيسها بعض القبائل الاخرى ، وكان قتال عنيف بين المسلمين والمرتدين من اهل البحرين اضطر معه المسلمون إلى التحصن باحدى الحصون حتى بادر ابو بكر الصديق بتسيير جيش تحت امارة العلاء الحضرمى الذى قاتل المرتدين شهرا حتى انتصر عليهم وعادت البحرين كلها إلى حظيرة الاسلام .

وهكذا تكون البحرين تحولت مرة فى عهد النبى إلى التسليم بسلطة الدولة الاسلامية الناشئة بمحض ارادتها واختيارها ودون الرجوع فى ذلك إلى دولة فارس ! وتحولت مرة اخرى إلى حظيرة الاسلام حينما دخلتها جيوش المسلمين وغزتها بالقوة لحرب المرتدين .

ولم يكن تحول سكان البحرين من دياناتهم السابقة من وثنية ونصرانية ومجوسية إلى الاسلام مجرد تحول دينى حتى يقال ان الدولة ذات السيادة

Dr. F, Adamyat: The Bahrain Islands P,6

لاتتدخل فى أمور العقيدة الخاصة برعاياها، اذ كان الاسلام فى ذلك الوقت دينا ودولة ، سلطة روحية وزمنيه، وليس أدل على هذه التبعية من أن الذين لم يقبلوا الاسلام دفعوا الجزية لنبى المسلمين أو خليفته فضلا عن حرية العقيدة كانت مفقودة فى دولة الفرس ولم يكن من طبع أكاسرة الفرس أن يتهاونوا فى أمر تغيير العقيدة لاسيما أن بعض الذين أسلموا كانوا من المجوس .

وجميع المؤرخين الذين تناولوا عصر الاسلام اعتبروا أن أول احتكاك المسلمين بالفرس كان فى عهد أبى بكر الصديق حين غزت جيوشه ولاية الحيرة ، ولم يشر أى كتاب فى التاريخ الاسلامى ان بدء احتكاك العرب بالفرس كان حينما وافقت القبائل العربيه فى البحرين على دفع الجزية لنبى المسلمين ، أو حتى حينما غزت جيوش المسلمين جزر البحرين لقتال المرتدين، ومعروف أن الواقعتين كانتا قبل فتح خالدبن الوليد لولاية الحيرة ، وأن دل على هذا الاجماع من المؤرخين على شىء فانما يدل على أن دخول البحرين فى حظيرة الاسلام وغزوها لم يكن احتكاكا بالفرس ، ومن البداهة أن هذا يعنى أنها لم تكن تابعة للفرس على اى وجه من الوجوه التى تسمح بادعاء الملكية والتبعية ، ثم ان تعاقب الولاة دون راى امبراطور الفرس حتى سارت الأمور للعلاء الحضرمى وهو ليس من بين مواطنى البحرين بل قائد غزاها بالقوة لينشر دينا جديدا ويخضعها لدولة غير دولة الفرس يدل على ان البحرين كانت تتمتع باستقلال يكاديكون تاما ولاتشوبه شائبة اللهم الا دفع الجزية وهو امر كانت تضطر له الدول الصغرى لتكفى نفسها شر استعباد دولة قويه تهددها .

فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب :

عندما انتهى العلاء من حرب المرتدين ولاه ابو بكر عليها سنة ١١ هجرية (٦٣٢ م) حتى مات ابو بكر وتولى عمر الخلافة فأقره عليها ، وفى عهد عمر خرجت الجيوش الاسلامية لفتح العراق والشام ونالت انتصارات باهرة وكان سعد بن

أبى وقاص يفتح العراق وكانت تابعة لفارس فرغب العلاء بن الحضرمى فى المشاركة فى هذه الفتوحات وهو عامل على البحرين ، ففكر فى ركوب البحر وعبور خليج فارس لفتح مقاطعة اصطخر فى فارس ، ولما كان عمر بن الخطاب لا يأذن لأحد بركوب البحر فقد دبر العلاء الأمر سرا بدون استئذان الخليفة فجمع جيشا من المسلمين من أهل البحرين وعبر بهم الخليج ونزل على سواحل فارس حيث قاتلوا الفرس قتالا شديدا غير أن الفرس حاصروهم من كل جانب وحالوا بينهم وبين الرجوع إلى السفن ولم ينقذ المسلمين من أهل البحرين إلا جيش أرسله عمر بن الخطاب بقيادة والى البصرة وعزل عمر بن الخطاب العلاء الحضرمى عن ولاية البحرين وعين مكانه عثمان بن العاص .

وتعتبر محاولة الغزو البحرى لفارس أول محاولة بحرية للمسلمين وأول أسطول حربى لهم كما تدل هذه المحاولة الجريئه على التبعية التامة من شعب البحرين للحكومة الاسلامية الجديدة وعدم خضوعهم للفرس وفى ذلك يعترف الدكتور عباس فاروجى بقوله بأن عمر بن الخطاب اتخذ البحرين قاعدة للجيوش التى وجهها لحرب الفرس (١) ولم تكن محاولة شعب البحرين غزو فارس قائمة على أساس دينى فحسب ، وأن كان نشر الدعوة الاسلامية هو الغرض الأسمى ، اذ كانت جميع الجيوش الاسلامية التى سيرها أبو بكر وعمر جيوشا عربية بحته ، بمعنى أنه لم تكن المرحلة التى استخدمت فيها جيوش اسلامية من غير العرب لتوسيع رقعة الاسلام ونشر الدين قد حانت بعد ، فمحاولة غزو البحرين لفارس لم تكن مجرد محاولة اسلامية ولاهى توسع اسلامي فحسب ، انما هو توسع اسلامي عربى فى فى آن واحد وموجة من موجات المد العربى لاقتلاع السيطرة الفارسية والتوغل العربى فى فارس نفسها .

---

(1) Dr. A, Faraughy: The Bahrein islands P, 54

في عهد الأمويين :

خضعت البحرين للدولة الأموية سنة ٤١ هجرية (٦٦١م) وكان تقسيم الدولة الأموية يقضى بأن يكون للعراق والى مركزه الكوفة ويخضع لهذا الوالى أمراء من قبله منهم أمير البصرة وكانت البحرين تابعة لأمير البصرة ، ويدعى آدميات فى عرضه لهذه الفترة ان الخلفاء الأمويين والعباسيين أبقوا على الحالة الراهنة من حيث تبعيتها لفارس ، وهذه مغالطة كبيرة اذ لم تكن البحرين تابعة لفارس منذ دخول الاسلام اذ وليها العلاء الحضرمى منذ حرب الردة حتى عزله عمر بن الخطاب على أثر محاولته غزو فارس بحرا دون استئذان الخليفة ثم وليها عثمان بن ابى العاص فى بقية عهد عمر ثم عبد الله بن قيس الفزارى فى عهد عثمان وكل هؤلاء ولاة يخضعون مباشرة للخليفة ولا يخضعون لسيطرة احد من الولاة ولم يكن من المعقول ان تعطى البحرين لوالى فارس وهى مفصولة عنها بحرا ، ولم يكن لوالى فارس اى اسطول بحرى حتى تكون له السيطرة على الجزر ولم تكن البحرين كذلك تابعة لوالى فارس فى عهد الأمويين .

ولم تكن البحرين بعيدة عن مسرح الفتن والحوادث والاضطرابات التى شاعت فى الدولة الأموية ، اذ اصبحت ملجأ للمذاهب المتمردة على الخليفة الأموى من شيعة وخوارج نظرا لبعدها عن مقر الخلافة فى دمشق مما جعل سيطرة الخلفاء التامة عليها متعذرة ، ولذا قامت فى البحرين عدة حركات انفصالية قادها الخوارج منهم حركة ابى طالوت وهو من قبيلة بكر بن وائل سنة ٧٢ هجرية وهى حركة مذهبية وسياسية وذلك فى عهد عبد الملك بن مروان ، ولكن المهلب بن ابن صفرة القائد الاموى اخضعها بعد ان حاول غزو البصرة سنة ٧٣ هجرية (٦٩٢م) كما قامت حركة اخرى فى عهد هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هجرية (٧٢٣م) بقيادة مسعود بن ابى زبيدة ونصب الاشعث بن عبد الله الجارودى مكانه فحكم هذا الأخير البحرين تسعة عشر سنة حتى اعاد الأمويون غزوها .

من ذلك يتبين أنه فى فترات خضوع البحرين للدولة الأموية كانت خاضعة لوالى البصرة وفى فترات تمردها وثورتها وانفصالها كانت خاضعة لحكام محليين إما من نفس أهل البحرين أو من القبائل التى لجأت اليها فرارا من الأمويين وفى كلتا الحالتين كان الولاة من العرب ولم تكن للحركات الانفصالية فى البحرين أدنى اتصال بفارس .

في عهد العباسيين :

فى سنة ١٥١ هجرية (٧٧٤م) جهز أبو جعفر المنصور جيشا لغزو البحرين تحت قيادة عقبه بن سليم فسار نحوها وقتل عاملها الأموى سليمان بن حكيم العبدى واحتل البلاد واستولى على خزائنها وأرسل الأسرى إلى بغداد حيث قتل المنصور بعضهم .

وكان التقسيم الادارى والسياسى فى الدولة الاسلامية فى عهد بنى العباس كما كان فى عهد بنى أمية يجعل البحرين تابعة لوالى البصرة اذ يقول الحموى فى كتابه معجم البلدان (١) : « البحرين من أعمال العراق ... وفى عهد بنى العباس سيروا البحرين وعمان واليمامة عملا واحدا » . كما يذكر الدكتور حسن ابراهيم فى كتابه تاريخ الاسلام السياسى (٢) أن الدولة العباسية كانت تنقسم سياسيا إلى عدة ولايات هى :

١ ـ الكوفة والسواد ١ ـ البصرة وأقليم دجلة والبحرين وعمان
٣ ـ الحجاز واليمامة ٤ ـ اليمن ٥ ـ الاهواز ويشمل كوزستان وسستان
٦ ـ فارس ٧ ـ خراسان ٨ ـ الموصل ٩ ـ الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان ١٠ ـ مصر وأفريقيا ١١ ـ السند .

(١) شهاب الدين بن أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى : معجم البلدان ج ١ صفحة ٥٠٦
(٢) الدكتور حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ صفحة ٢١٥

ويسترعى الانتباه فى بداية الدولة العباسية أن لو كانت البحرين تابعة لفارس فى عهد الأمويين او كان هناك ادنى صلة ، لوجب ان تكون البحرين من اول الولايات التى ثارت على الدولة الأموية ، اذ من المعروف ان الدولة العباسية قامت على اكتاف الفرس ، وكانت فارس اول ولاية إسلامية تخلصت من الحكم الأموى هى وخراسان واعلن فيها حكم العباسيين ، ولكن العباسيين قضوا على الأمويين فى سنة ١٣٢ هجرية بعد هزيمة مروان الثانى فى موقعة الزاب الأكبر واعلن قيام دولة العباسيين ، ومع ذلك ظلت البحرين خاضعة للوالى الأموى حتى ارسل لها ابو جعفر المنصور جيشاً سنة ١٥١ هجرية اى بعد تسعة عشر عاما من قيام الدولة العباسية فكيف لم تشارك البحرين او الفرس الذين كانوا بها ــ لو كان اهلها من الفرس ــ كيف لم يشاركوا اخوانهم فى فارس وخراسان تمردهم على الدولة الأموية مع كثرة من كان بالبحرين من الشيعة والخوارج الناقمين على الأمويين المتمردين على الحكم الأموى اكثر من مرة طوال عهد هذه الدولة ؟ ان تبعية البحرين لفارس لو كانت لاقتضت ان تكون البحرين من اول الولايات الثائرة مع فارس للتخلص من الأمويين .

ثم استتب الأمر للدولة العباسية وكان للفرس النصيب الأكبر فى هذه الدولة التى قامت على اكتافهم ، وبالرغم من ذلك فلم يستخدم الفرس نفوذهم وسلطانهم لدى الخلفاء ليلحقوا البحرين بولاية فارس .

وهكذا يكون ماذكره ادميات من ان الادارة قبل الاسلام ظلت كما هى بعده من حيث تبعية عمان والبحرين وسائر جزر الخليج لفارس وانها كانت تكون وحدة سياسية لا اساس له من الصحة ، ففى اول عهد العباسيين عين سليمان اخو عبد الله السفاح واليا على البصرة والبحرين

وعمان وفى عهد المأمون عين داوود بن ماسجور واليا على البصرة وكور دجلة واليمامة والبحرين (١) .

ولم تكن البحرين تحكم مع فارس إلا فى عهد الهادى والرشيد بالاضافة إلى عمان حيث كان يحكمها محمد بن سليمان ثم يحيي البرمكى ولكن هذا التقسيم كان يرجع إلى ازدياد نفوذ البرامكة ولم يكن تقسيما طبيعياً فى النواحى الادارية والسياسية ، وليس أدل على هذا أنه بمجرد أن انقلب الرشيد عليهم حتى عادت البحرين تابعة لوالى البصرة حيث وليها داود بن ماسجور .

حركات التمرد ضد الدولة العباسية وصلتها بالبحرين :

أولا ــ حركة صاحب الزنج :

هو على بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد قيس ، فارسى الأصل ، كان يدين بمذهب الخوارج ، وكان يدعى أيضا أنه من نسل الامام على بن أبى طالب ، راعته حياة البذخ والترف حينما اتصل بحاشية الخليفة العباس ، وحياة الظلم والاضطهاد التى كان يعانيها الزنوج والعبيد من أفريقيا ، فاستطاع أن يستغل كل ذلك وأن يستميل الساخطين على العباسيين لأسباب اقتصادية ومذهبية مما فعمل على استمالة الزنوج ودعاهم إلى التحرر من الرق والالتفاف حوله ، فتركوا سادتهم وانضموا إليه وكانت بدايه هذه الحركة حول منطقة البصرة ، ولكن حركته امتدت وانتشرت فشملت جنوب العراق والاحساء ثم استولى على البحرين سنة ٢٤٩ هجرية (٨٦٣م) .

وقد فشل العباسيون فى اخماد هذه الحركة بادىء الأمر إذ انهزمت جيوش الخليفة المعتمد اكثر من مرة الأمر الذى جعل هذه الحركة تنتشر حول منطقة البصرة وتدوم واحد وعشرين عاما حتى تمكن المعتمد من القضاء عليها سنة ٢٧٠ هجرية (٨٨٣م).

(١) المرجع السابق جزء ٢ صفحة ٧٤ .

ولقد كان صاحب الزنج فارسي الأصل ولكن دعوته لم تكن صدى للشعوبية بقدر ما كانت رد فعل للحياة الاجتماعية السيئة من ناحية، ولأسباب دينية وسياسية من ناحية أخرى، والواقع أن معظم الحركات الدينية التي كان رؤساؤها يدعون النبوة ويدعون إلى مذهب جديد ويمسخون الاسلام مسخاً كان القائمون على هذه الحركات عن غير العرب وتفسير ذلك عند نيكلسون في كتابه في التصوف الاسلامي أنها رد فعل من ديانات قديمة راسخة ضد دين جديد غازي.

وسواء استجاب شعب البحرين لحركة صاحب الزنج أو أنه استولى على البحرين قصرا فان الأمر لم يكن يتعلق بالفرس أو التبعية لفارس، وانما نفوس ساخطة ومبادىء متمردة لاسباب اجتماعية واقتصادية ومذهبية وسياسية ولقد كانت البحرين لبعدها عن مقر الخلافة ملجأ لمثل هذه المذاهب والطوائف الخارجة.

ولو كانت حركة الزنج قد لقيت انتشارا بين الناس لأسباب عنصرية يقصد بها استثارة الفرس ضد العرب للتخلص من سيطرتهم فان حركة صاحب الزنج قد استمالت الزنوج وبعض العرب.

ثانيا — حركة القرامطة:

اجتاحت الدولة العباسية تيارات سياسية وفكرية عديدة، حتى أصبح الخليفة لايكاد ينتهي من اخماد فتنة حتى تقوم له فتنة أخرى، وقد وجد دعاة هذه الفتن في سوء الحالة الاقتصادية التي كان يعاني منها عامة الشعب مرتعا خصيبا لجذب الناس إلى صفوفهم، والواقع أن العامة قد عانوا كثيراً من البؤس والشقاء سواء كان ذلك راجعا إلى حياة الترف والبذخ التي كان يحياها الخلفاء وحاشيتهم وما يصحب ذلك دائما من تفشي الرشوة والفساد وانتشار الظلم أو كان راجعاً إلى استنزاف موارد الدولة في سبيل القضاء على الحركات الانفصالية التي لا تكاد تخمد حتى تثور، وحركات

بعضها راجع لأسباب دينية وسياسية معا كالشيعة والخوارج وحركات أخرى مردها إلى النعرة العصبية كالشعوبية التي أقامت الدولة الظاهرية من سنة ٢٠٢ إلى سنة ٢٥٩ هـ (٨١٧ — ٨٧٢ م) في فارس ثم أضطرار المعتصم إلى الاستعانة بالجند الأتراك وما اشاعه هؤلاء بدورهم من فساد وسوء استغلال.

كل هذه التيارات السياسية والفكرية وما صحبها من سوء الحال غذت فتنا قامت تحت أسم الخلاص والعدل الشامل فكانت حركة صاحب الزنج احدى هذه الحركات التي أثارت الزنج وكل للطوائف الأخرى المهضومة ضد الدولة العباسية والحوار المقتبس من قصة الثائر الأحمر حمدان قرمط لعلى أحمد با كثير هذا الحوار الذي يصوره صاحب القصة بين حمدان قرمط الفلاح وبين عامل احد الاقطاعيين المسمى أبن الحطيم الذي يعمل حمدان في أرضه والذي يقول:

« لولا بلادة هؤلاء الفلاحين لما استطاع مثلك أن يستمتع دونهم بثمرات كدهم فيقيم في مثل هذا القصر متقلبا في أعطاف النعيم وهم يكدحون طول نهارهم في الشمس ويبيتون في الأكواخ من الجوع يتضورون » فيرد عامل الاقطاعي بقوله: هذا مايقوله صاحب الزنج لاصحابه العبيد ومن هذه الفتن التي قامت بدعوى تحقيق العدل الشامل أي أن تكون الأرض كلها ملكية مشاعة يشترك فيها الناس جميعاً لا يحتجزها أحد دون احد ولايكون بين الناس غني وفقير من هذه الفتن حركة القرامطة وحين قامت هذه الحركة كان الخليفة العباسي يعمل على كسر شوكة الجنود الأتراك الذين إستفحل امرهم وكان يحاول القضاء على فتنة يعقوب الصفار في سجستان ثم اذا كان قد تخلص منذ قليل من حركة صاحب الزنج في البصرة.

كانت الدولة العباسية إذا قد دب فيها الضعف والفساد، فأصحاب الاراضي قد اتخذوا لهم عصابات لحمايتهم وفرض نفوذهم بالقوة على الناس

وبالرشوة للولاة وبعض الفلاحين بدورهم قد انتظموا في حركات العيارين
بدعوى محاربة طغيان المال والحرب على الأغنياء لصالح الفقراء .

واستغلت حركة القرامطة قيام حركة صاحب الزنج قبلها فنشر دعاتهم بين
الناس أن الله قد آذن بظهور الحق على أيديهم فسلط على الناس صاحب الزنج
وأصحابه عقابا لهم على ما سكتوا على الظلم ورحمة بهم ، لان صاحب الزنج هذا
سيقوم لهم بهدم هذا النظام القائم على الجور والسلطان حتى إذا فرغ من
ذلك أهلكه الله لظلمه حتى يقيموا هم نظامهم الجديد القائم على العدل الشامل ، ولما
كانت نفوس الناس تواقة للخلاص فان دعاة الحرب أشاعوا أن الامام المعصوم
سيظهر وشيكا لينشر العدل ويرفع الظلم ويملأ الأرض رخاء ورفاهية ولقد كانت
فكرة الامام المعصوم أو المهدى المنتظر قد رسخت فى عقول الناس رسوخ اليقين
لا لأنها فكرة تمثل الخلاص ونهاية الظلم فحسب ولا لمجرد أنها إحدى أفكار
الشيعية الذين عانوا من العنات والاضطهاد بل لأن النظام القائم كان يستند
إلى تأييد أو سكوت المذهب السنى على أقل تقدير يقول جستاف جروونباوم
فى كتابه حضارة الاسلام (١) « وقد أفضت المظالم الاجتماعية الصارخة وتأييد
الاسلام السنى للنظام القائم أيا كان والموقف السياسى الذى لم يبرح يزداد
على كر الزمان سواء أفضى كل ذلك إلى استمرار تتبع الاسماعيلية
والحركات المتصلة بها بالنفوذ القوى حتى القرن الثالث عشر وكان دأب
الحكومات على إفقار البلاد هو المعين الأكبر الذى ينهل منه مذهب الشيعة
الثورى ... وكان الناس على استعداد للسير وراء أي زعيم يبشر بالأمل فى
العبارات الدينية التى تحض على انتظار الفرج والتى لها فعلها فى النفوس ،
وكانت التقلبات السياسية بين موالاة لبعض الطوائف أو عصف لبعضها الآخر
بيد أن الحركة عمرت اطول مما عمر سخط الناس الذى دام قرونا من الزمان »

(١) جستاف جروونباوم: حضارة الاسلام ترجمه عبد العزيز توفيق جاويد (الألف كتاب).

وهكذا انتشرت دعوة القرامطة وقويت وعجزت جيوش الخليفة العباسى
المكتفى القضاء عليها بل هزمت جيوشه أمام القرامطة الذين انتزعوا من العباسيين
عمان والاحساء والبحرين سنة ٢٨٦ هجرية ووصلت فتوحاتهم شمالا الى بادية
الشام كما غزوا الحجاز ودخلوا مكة وقتلوا الحجاج واقتلعوا الحجر الأسود من
مكانه وحملوه إلى الاحساء .

ولقد كان معظم دعاة هذه المذاهب المتفرقة والحركات الخارجة من غير
العرب ، وليس الأمر اعتزازا بالعرب أو اعلاء شأنهم على حساب القوميات
الأخرى ، ولكنهم بما جبلوا عليه من حياة الفترة والبساطة ما كانت تستهويهم
عقائد معقدة ومذاهب فلسفية بعضها يرتد إلى اصول يونانية او زردشتية او
مسيحية ، ان العرب حينما انتقلوا من الوثنية للاسلام لم يترك الاسلام فى نفوسهم شيئاً
من عقيدة سابقة لأنهم حملة لواء هذا الدين الجديد ، لم تفرضه عليهم دولة اخرى ،
حقيقة ان بعض العادات القبلية التى كانت فى الجاهلية قد تركت آثارا ظهرت
بعد الاسلام ، ولكن فيما يختص بالعقيدة لم يحمل العرب حقدا لاشعوريا ضد
الدين الجديد ، بعكس الأمر لدى الفرس الذين كانوا يدينون من قبل بدين
راسخ ثابت لمدى آلاف السنين ثم وجدوا انفسهم يدخلون إن طوعا وان كرها فى
دين الاسلام ، لم يتغلغل الاسلام تماما فى نفوس بعضهم حيث كان هذا البعض
يحمل عداء لاشعوريا وحقدا دفينا ضد هذه القوة الجديدة ، كما لم تكن
ديانتهم القديمة قد زالت تماما من نفوسهم كأى دوافع لاشعورية تنتهز فرصة
ضعف الرقيب للظهور والتعبير عن نفسها انتهزت آثار المجوسية والزردشتية فرصة
سوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فظهرت عند هؤلاء الدعاة إلى مذاهب
وآراء جديدة تمسخ الاسلام مسخا ولقد كان حمدان قرمط زعيم القرامطة
من اصل فارسى ولا يعنى هذا ان جميع معتنقى المذاهب كانوا من غير العرب اذ
ان الظروف الاجتماعية والاقتصادية السابق ذكرها قد جعلت هذه المذاهب
تجد صدى وقبولا فى نفوس كثير من العامة الذين عانوا من الظلم والاضطهاد .

يقول الدكتور حسن ابراهيم فى كتابه تاريخ الاسلام السياسى انتشرت الدعـوة على يد الحسن بن بهرام الملقب بأبى سعيد الجنـابينى وكان فارسى الأصل والتف حوله الأعراب لأنه مناهم ملك الأرض كلهـا وقد امتد نفوذه على البحرين واليمامة ... وفى عهـد الخليفة المعتضد خاف من خطر القرامطة فعـزل العباس بن عمروا عن ولاية فارس واقطعه اليمامة والبحرين ولقد طـالت مدة حكم القرامطة من سنة ٢٨٦ هجرية إلى سنة ٤٥٠ هجرية (٨٩٩م ـ ١٠٥٧م) .

وحين يعرض الدكتور آدميات لهذه الفترة يتخذ الأصل الفارسى لحمدان قرمط زعيم القرامطة باستيلائه على البحرين سندا يبرر به دعـواه ، ويعتبر أن حركة القرامطة لم تكن إلا ثورة فارسية ضد حكم العرب ، وأن سيطرة الخلفاء قد زالت على البحرين منذ سنة ٨٩٩ ميلادية ولم يعد بعد ذلك للخليفة العباسى سلطة روحية حيث لايعتقد الشيعة بها وردا على ذلك .

١) لم تكن حركة القرامطة تهدف إلى ثورة الفرس ضد العرب لانها ضمت بعض الأعراب وإنما كانت دوافعها اقتصادية واجتماعية .

٢) لم تقم هذه الحركة من فارس ولم تنتشر بها ولا سيطرت عليهـا ولـكنها بدأت من الكوفة وانتشرت فى شبه الجزيرة العربية والبحرين بينما الحركات الشعوبية كلها ظهرت فى فارس .

٣) لو أن انتزاع القرامطة للبحرين والمناطق الأخرى التى استولوا عليهـا يعنى نهاية سلطان الخليفة العباسى لهذه المناطق فلما إذا لايتخـذ الدليل نفسه ويعتبر استيلاء الخليفه على البحرين بعد ذلك وتخلصهم من سلطان الفرس دليلا على نهاية حكم الفرس فى البحرين ، ولم يعتبر الدكتور آدميات كل الاتفاقيـات التى وقعها شيوخ البحرين غير قانونية لأنها صادرة عن حكام قبائل متمردة على السلطة المركزية فى ايران على حد زعمه ؟ انه هنا يكيل بمكيالين مع الفرق فى

الحالتين فسلطة الخليفة العباسى سلطة دينية وزمنية على كل أنحاء العالم الاسلامى بصرف النظر عن طوائفه ومذاهبه واختلاف مذهب الخليفـة عن مذهب أغلبية سكان البحرين لو أفترضنا أن غالبية سـكان البحرين كانوا آن ذاك من الشيعة ـ لايعنى زوال سلطته الزمنية عليهم فمتى كان اختلاف مذهب المحكومين عن الحاكم يلغى سلطته عليهم ؟

٤) وقد أثبت الدكتور آدميات افتقار أدلته التاريخية الى أى سند تاريخى موثوق به ومجافاة ماذكره للواقع فضلا عن العقل حـين ادعى أن القرامطة حينما غزوا مكه أخذوا من ضمن ما أخذا مع الحجر الأسود عصا موسى وقرن الكبش الذى فدى به اسماعيل (١) وهذه أول مرة يذكر فيهـا شيئا فى أى كتاب من كتب التاريخ عن الاحتفاظ بعصـا موسى وقرن الكبش فى مكة بالذات إلى عصر العباسيين (٢) .

تمرد شعب البحرين على القرامطة :

من سنة ٤٥٠هـ إلى سنة ٦٣٣هـ (١٠٥٨ ـ ١٢٣٦م) كانت البحرين مسرحا للفتن بين امراء القرامطـة طوال مدة حكمهم فلمـا دب الضعف فى دولتهم ثار عليهم ثلاثة من الأمراء هم : ١ ـ عبد الله العيونى فى الاحساء ٢ ـ يحيى بن العياش فى القطيف . ٣ ـ أبو البهلول فى البحرين ، وهو العوام بن محمد بن يوسف الزجاج وقد كان عاملا على الخراج فيها ولما ثار أبو البهلول على القرامطة

---

1 - Dr, F. Adamyat : Bahrain Islands P,7

(٢) فى كتاب السيوطى تاريخ الخلفاء وامراء المؤمنين ـ دون سائر كتب التاريخ ـ ان قرنى الكبش الذى فدى به اسماعيل كان معلقا فوق الكعبة حتى محـاصرة إبن الزبير فى مكة وضرب الكعبة بالمنجنيق زمن عبد الملك بن مروان فافتقد او احترق وقد رأيت ان انقل رواية السيوطى اما عصا موسى فالشيعة لاثنى عشرين يعتقدون انها لدى امامهم المستور ـ ووراثة عن أئمتهم المعصومين ـ من جملة ما ورثوا من معجزات النبيين وهذا يدخل فى نطاق العقائد لا التاريخ (ينظر كتاب الكافى للكلينى واثبات الوصية للسعودى) .

أرسلوا له جيشا ولكنه انتصر عليهم وأعلن استقلال جزيرة البحرين عنهم وبذلك استقلت البحرين استقلالا تاما وتخلصت من وطأة القرامطة .

وتدل ثورة شعب البحرين على أن حركة القرامطة لم تلق استجابة تامة بين سكان البحرين وأن استيلائهم عليها كان بالقوة العسكرية فما ان وهنت هذه القوة حتى تخلصوا منها .

أرسل زكريا بن يحيى بن العياش جيشا إلى البحرين سنة ١٠٨١ ميلادية — بعد أن استقل بالقطيف واستخلصها من القرامطة — حيث انتصر على أبى البهلول وضم البحرين إلى القطيف غير أن ذلك لم يدم طويلا إذ استطاع العيونيون أن يهزموه ويستولوا على القطيف والبحرين معا وبذلك أصبح ساحل الاحساء كله مع البحرين وحدة سياسية قائمة بذاتها .

وقد استمرت البحرين تحت حكم العيونيين أكثر من مائة وخمسين عاما ويشهد الأدريسى الذى زار البحرين سنة ١١٥٤ أنه كان يحكمها رئيس مستقل وكانت مستقرة كثيرة الخيرات لها نظم حسنة فى الادارة والحكم ، وكان العيونيون يدينون بالولاء للخليفة العباسى فى بغداد مباشرة .

ومرة أخرى يلغى الدكتور آدميات فترة أطول من مائة وخمسين عاما من تاريخ البحرين حين يعتبر أنها خرجت من حكم القرامطة إلى الفرس حين قامت حركة انفصالية أخرى فى فارس عن الدولة العباسية هى حركة الديالمة (سنة ٣٢٢هـ إلى ٣٢٨هـ) (٩٣٤ إلى سنة ٩٤٠ ميلادية) الذين سيطروا على فارس وكرمان وخوزستان وامتنعوا عن دفع الجزية للخليفة .

وهنا خلط واضح فى التاريخ اذ أنه أثناء قيام حركة الديالمة فى فارس لم يكن نفوذ القرامطة قد انتهى بعد فى البحرين والاحساء اذ أن هذه الحركة قامت سنة ٣٢٢ هجرية (٩٣٤م) بينما لم ينته نفوذ القرامطة إلا سنة ٤٥٠ هجرية .

حقيقة أن مرداويج السلمى قد تحالف مع القرامطة ضد الدولة العباسية ولكن لم يحدث أن كان للديالمة وهى حركة شعوبية أى نفوذ على البحرين بل أن دولة الديالمة لم تعمر وكانت من أقصر الدويلات عمراً .

يقول الدكتور ابراهيم حسن فى كتابه تاريخ الاسلام السياسى نقلا عن صاحب الفخرى « وفى أيامه أى فى عهد الخليفة الراضى سنة ٣٢٢ هجرية (٩٣٤م) عظم امر مرداويج بأصفهان وهو رجل خرج بتلك النواحى وقيل انه يريد ان يأخذ بغداد وينقل الدولة إلى الفرس ويبطل دولة العرب ولكن ورد الخبر فى ايام الراضى بأن غلمان مرداويج اتفقوا عليه وقتلوه .

وهكذا يتضح انه منذ نهاية الدولة الساسانية وقيام الاسلام لم يحدث ان مارس الفرس اية سلطة على اى وجه من الوجوه على البحرين وذلك إلى نهاية حكم العيونيين فيها سنة ٦٣٣ هجرية اى مدة اطول من ستة قرون ، واما الحركات الانفصالية بدافع من الشعوبية التى قامت فى فارس فى عهد الدولة العباسية كحركة ابى سلمة الخلال التى قضى عليها ابو عبد الله العباس ثم تمرد ابى مسلم الخراسانى حيث قتله ابو جعفر المنصور ثم ازدياد نفوذ البرامكة فتخلص منهم الرشيد ثم سائر الحركات الأخرى بعد ذلك كالصفارية والسامانية والديالمة لم يحدث ان مارست إحدى هذه الحركات أى نفوذ على البحرين طوال حكم الدولة العباسية ولو كان شعب البحرين فى ذلك الوقت من الفرس أو يميل إلى الفرس أو كانت البحرين تابعة لفارس لكان من المحتم أن تجد هذه الحركات صدى لها فى البحرين ولكن هذا لم يحدث .

وفى سنة ٣٣٤ هجرية استولى بنو بويه على بغداد وانعم الخليفة العباسى على احمد بن ابى شجاع بلقب معز الدولة اعترافا منه بسطوته بل وذكر اسمه فى خطبة الجمعة مع اسم الخليفة فى العراق وفارس وصك اسمه على العملة بل استطاع أن يعزل الخليفة وان يعين مكانه آخر ، مارس بنو بويه كل هذه السلطة واستطاع عضد الدولة سنة ٣٦٧ هجرية ان يضم إلى سلطانه مختلف الدويلات

الصغيرة المجاورة فى فارس والعراق واصبحوا اعظم حكام فى الدولة الاسلامية وإن كانوا قد أبقوا على الخليفة العباسى حتى لايثيروا السنة عليهم لأنهم من الشيعة وبالرغم من هذا كله لم يمارس بنوبويه أدنى سلطة على البحرين إذ كانت لم تزل بعد تحت نير القرامطة ثم تحت حكم العيونيين الذين مارسوا السلطة بالفعل فاعترفوا اسما بالسلطان الخليفة العباسى كما فعلت كل الدول المستقلة فى ذلك الحين كالحمدانية والطولونية فى العصر العباسى الثانى.

وهكذا كان تاريخ البحرين مرتبطا دائماً طوال مدة حكم العباسيين بتاريخ شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقى منها على وجه الخصوص فلم تقم حركة أو دولة فى الاحساء إلا وامتد نفوذها إلى البحرين ولعل هذا من عوامل اطلاق تسمية واحدة على هذه المنطقة كلها وهو اسم البحرين، ولعل هذا مما يؤكد الوحدة السياسية والاقتصادية بين البحرين والساحل العربى فى تلك العصور.

البحرين فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر:

حينما ضعفت دولة السلاجقة قامت عدة دويلات فى المناطق التى كانوا يسيطرون عليها ومن هذه الدويلات أسرة الزنجيين التى سيطرت على المناطق الساحلية فى فارس والجزر التابعة لها، وفى سنة ٦٣٣ هجرية استطاع أبو بكربن سعد الزنجى أن يستولى على البحرين ورفض فى الوقت نفسه الخضوع لدولة الأتابكة فى فارس أو ارسال الجزية اليها، فكانت تصله الجزية من البحرين إلى جزيرة قيس ولم يكن يعترف إلا بالسلطة الاسمية للخليفة العباسى.

ولما كانت اسرة الزنجيين تخشى على نفوذها من الأتابكة فى فارس فقد تحالف أبو بكر الزنجى مع حاكم هرمز على أن يكون لملك هرمز السيادة

على قيس والبحرين فى مقابل أن يكون أسطول هرمز تحت تصرف أبى بكر الزنجى، كل ذلك دون أدنى سيطرة للحكومة المركزية فى فارس ولما قتل حاكم قيس مالك بن سلطان أصبحت البحرين تحت الحكم المباشر لملك هرمز الذى فض التحالف بينه وبين أسرة الزنجيين ورفض أن يرسل اليهم ثلثى دخل الجزر وذلك سنة ١٢٢٩م، أما فارس فلم تقم لها قائمة حتى تباشر سلطانها على الأجزاء الساحلية بعد أن اجتاحتها جحافل المغول.

غير أن البحرين لم تخضع لحكم الزنجيين ولملك هرمز مدة طويلة اذ شهد القرن الرابع عشر سجالا من الحروب بين حاكم قيس من ناحية وحاكم القطيف على الساحل العربى من ناحية أخرى.

وفى بداية القرن الخامس عشر اتحدت البحرين مع القطيف والاحساء تحت حكم الشيخ ابراهيم المالكى وظلت كذلك إلى ان غزاها العمانيون بقيادة عمرو بن الخطاب.

وهكذا ظلت البحرين تتنازعها هرمز من ناحية وكل من الاحساء وعمان من ناحية اخرى حسبما تتفوق إحدى القوتين وذلك طوال القرن الخامس عشر حتى احتلها البرتغاليون.

جـ البحرين والاستعمار البرتغالى

كان العرب القاطنون فى عمان والبحرين ارباب التجارة فى الشرق فى القرن الخامس عشر، وكانت مسقط وهرمز مفاتيح المحيط الهندى من جهة الخليج العربى، وكانت البحرين نقطة تجارية هامة، كما كانت هرمز مركزا سياسيا للخليج اذ تتبع لها مسقط والبحرين والقطيف كما كان لها مركز تجارى

هام اذ كانت تشتهر ببيع الحرير والعاج واللؤلؤ والجوهرات والملابس المطرزة والخيول العربية ، وكانت بذلك تكون السوق الرئيسية للبضائع والتجارة ومجمع تجار الشرق ، وكان مركز العرب على ساحل الخليج لايقل عن مركز البنادقة فى البحر الأبيض ، من اجل هذا كله اتجهت اليها انظار البرتغاليين بعد ان ثبتوا اقدامهم فى الهند فتقدموا اليها بأسطولهم بقيادة الفونسو البوكرك وتمكنوا من الاستيلاء عليها وبذلك سيطروا على تجارة الخليج وعلى المكوس والجمارك التى كانت تجمعها هرمز .

وما ان سيطر البرتغاليون على هرمز حتى انفصلت عنها البحرين ، إذ انتهز مقرن حاكم الاحساء الفرصة واستولى عليها ، ولما طالب البرتغاليون ملك هرمز سنة ١٥٢١م بان يدفع الاتاوة السنوية له عن البحرين رفض بحجة ان البحرين قد انفصلت عنه مما جعل البرتغاليون يفكرون فى السيطرة المباشرة على البحرين .

وارسل البرتغاليون حملة مشتركة مع ملك هرمز وتصدى لهذه الحملة حاكم الاحساء ولكن البرتغاليين اكتسحوا كل مقاومة واحتلوا البحرين سنة ١٥٢١م .

ومن ذلك يتبين ان البحرين كانت مركز صراع بين هرمز من ناحية وبين الاحساء من ناحية اخرى ثم هى مهددة بالاحتلال البرتغالى ، وان هرمز بدورها كانت تتمتع باستقلال تام عن الحكومة المركزية فى إيران ، وانه بمجرد سقوط هرمز فى قبضة البرتغاليين انفصلت عنها البحرين .

وقد اراد البرتغاليون بعد احتلالهم للبحرين ان يضمنوا ولاءها لهم فعينوا عليها حاكما فارسيا سنيا وهو بدورة يتخذ لنفسه وزيرا من نفس الطائفة ،

وغرضهم من ذلك ان الحاكم الفارسى السنى يختلف فى جنسه عن سكان البحرين العرب ، كما يختلف فى مذهبه عن عدد كبير من سكانها الشيعة فتضمن البرتغال بذلك انه لن ينضم إلى صفوف الشعب ضدها ، ومن ناحية اخرى يختلف الحاكم الفارسى السنى عن الاسرة الحاكمة فى إيران وهى شيعية فلا يحاول الانضمام إلى إيران .

ولقد كان العالم الاسلامي تتنازعه قوتان ، قوة الدولة العثمانية والتى تمثل مركز الخلافة السنية وقوة الدولة الصفوية فى ايران التى تمثل مركز الخلافة الشيعية وكانت البحرين من مراكز احتكاك القوتين إذ تحاول كل منهما السيطرة عليها فكون الحاكم فارسياً يضمن عدم تحالفه مع الأتراك وكونه سنيا يضمن عدم تحالفه مع الايرانيين .

ومن هذا يمكن ان نستخلص ان سكان البحرين كانوا من العرب وان نسبة كبيرة فيهم كانت تدين بالمذهب الشيعى وان الصراع بين الاتراك والايرانيين حولها كان يرجع إلى عوامل مذهبية .

وقد استمر حكم البرتغاليين للبحرين حتى سنة ١٦٢٢ غير ان حكمهم طوال قرن كامل لم يكن مستقرا إذ قامت فى البحرين عدة ثورات للتخلص منهم نظرا للسياسة الخرقاء التى كانوا يتبعونها وما فرضوه على الشعب من ضرائب حتى ان عدد السنوات التى باشروا فيها سيطرة كاملة على البحرين لاتزيد على اربعين عاما .

د — الاحتلال الفارسى للبحرين

كان السبب المباشر لطرد البرتغاليين من البحرين هو مسلك حاكم البحرين

من قبل البرتغالى وكان قريبا لملك هرمز فقد قتل حاكم البحرين سنة ١٦٠٢ أحد تجار اللؤلؤ من أهل البحرين الأغنياء طمعا فى ثروته ولكن شقيق القتيل استطاع أن يكتسب ثقة الحاكم ثم أن ينتقم لأخيه ويستولى على القلعة واسم هذا الحاكم الجديد ركن الدين بن مسعود .

ولما كان هذا التصرف يثير عليه حاكم هرمز من قبل البرتغاليين ، ولا قبل له بمحاربته ، فقد طلب ركن الدين حماية حاكم شيراز الفارسى فارسل هذا قوة استولت على البحرين باسم شاه ايران .

فى سنة ١٥٨٠ كانت البرتغال قد اتحدت مع أسبانيا تحت حكم الملك فيليب ، واحتج ملك أسبانيا على الاجراء الذى اتخذته فارس ، ولكن الشاه رد على الاحتجاج بأن الاستيلاء على البحرين كان ضد حاكم هرمز وليس ضد الأسبان ، فما كان من حاكم هرمز من قبل إيبريا إلا أنه استعد لاستعادة البحرين ولكنه فشل فى الاستيلاء عليها ، وكان من جراء هذا الفشل أن تجرأت فارس على استرداد املاكها التى كانت البرتغال قد استولت عليها فاستولى الله وردى خان على بوشير سنة ١٦٠٣ وكانت تابعة لحاكم هرمز ، ولكن الشاه خشى نتيجة هذا التصرف من حاكم شيراز فأمره بالانسحاب واعادة البحرين وبوشير إلى البرتغال ولكن الله وردى خان تجاهل أمر الشاة الذى كان واقعاً تحت ضغط ايبريا لاسترداد مافقدته .

ولما كان الغزو البرتغالى قد وجه انظار بريطانيا إلى اهمية الخليج كطريق هام للهند فانها تعاونت مع الفرس فى سنة ١٦٢٢ لطرد البرتغال من هرمز اقوى معاقلهم فى الخليج تماما كما تعاونت مع تركيا ضد فرنسا حينما استولت الأخيرة بعد ذلك على مصر سنة ١٧٩٨ اى ان هدف بريطانيا الا تزاحمها قوة اجنبية لهم

فى الخليج ، وفى مقابل هذه المساعدة حصل البريطانيون على امتياز تأسيس وكالة تجارية لهم فى بندر عباس .

ولم يبطل الفرس الضرائب الفادحة التى كانت البرتغال قد فرضتها مما أدى إلى حدوث اضطرابات فى البحرين سنة ١٦٢٩ وارسل وجهاء البحرين من الشيعة يطلبون مساعدة الشاه عباس فأرسل اليهم من أبطل الضرائب وفرض العدل وقد حاول البرتغاليون سنة ١٦٤٥ استعادة هرمز والبحرين ولكن الاسطول العمانى الناشىء شتت شملهم .

كان من نتيجة انسحاب البرتغال من الخليج وجود فراغ عسكرى فى السيطرة البحرية على الخليج ، ولم تكن بريطانيا قد شغلت هذا الفراغ بعد ، لأنها لم تكن تملك القواعد العسكرية فى مياه الخليج نفسها ، بالاضافة إلى أنه بعد طرد البرتغال لم يكن هناك مايبرر تدخلها العسكرى السافر فى الخليج ، أما هذا الفراغ فى القوة البحرية فقد ملأته قوة عمان ، إذ اندفعت القبائل من باطن الصحراء طالبة عيشاً أكثر رغدا مما تغدقه عليها الصحراء القاحلة وتكونت قوة عمان البحرية للاشتغال بالتجارة وصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ وفى سنة ١٦٢٤ كان الامام ناصر بن مرشد اليعربى قد تولى زمام الأمر فى عمان وتخلص من نفوذ هرمز التى كانت لها السيطرة عليها قبل دخول البرتغاليين وأثناء سيطرتهم فكون دولة قوية على طول ساحل عمان هى دولة عمان التى أصبحت اكبر قوة بحرية فى الخليج بقية القرن السابع عشر منذ انسحاب البرتغاليون من هرمز سنة ١٦٢٢ ثم طوال القرن الثامن عشر .

وفى سنة ١٧٠٠ استولى الامام سيف بن سلطان على البحرين ولما كان هو واتباعه من الخوارج فقد فر عدد كبير من شيعة البحرين إلى القطيف كما لجأ بعضهم إلى سواحل إيران .

ولما كانت هذه الحركة من امام مسقط تثير فارس لأسباب مذهبية فأنها أرادت أن تخلص البحرين من سيطرة العمانيين ، ولكن فارس كانت أضعف من أن تجارى قوة عمان البحرية التى كانت أقوى بحرية فى الخليج ، ولذا اضطرت فارس أن تستعين بقوة أجنبية علها تنجدها من قوة عمان .

أستعان الفرس بالشركات الاوربية كشركة الهند الشرقية البريطانية ولكن هذه الشركات كانت تسعى وراء الربح المادى ولم تكن مرحبة بالدخول فى مغامرات عسكرية قد تزيد خسائرها على أرباحها ذلك أن الشاه أرسل سنة ١٧٠٧ بعثة برئاسة مرزا ناصر إلى بومباى للاستنجاد بها وبعثة أخرى إلى باتافيا للاستنجاد بهولندا .

ولما كانت بريطانيا حريصة على ألا تزاحمها قوة أوروبية اخرى فى الخليج فانها وعدت الشاه باسطول بحرى لتأديب عرب عمان فى مقابل الا تطلب فارس معونة هولندا وعلى ان يكون ذلك بعد انتهاء الحرب بينها وبين اسبانيا التى كانت مندلعة فى ذلك الحين .

ولما كان الفرس فى امس الحاجة إلى معونة عاجلة ، ولما عجزوا عن الحصول عليها من بريطانية ، استداروا إلى فرنسا التى قبلت العرض وتم ابرام معاهدة صداقة بين فارس وبين فرنسا فى ٧ سبتمبر سنة ١٧٠٨ تنص على ان تمد فرنسا فارس بكل الامدادات ووسائل النقل لاحتلال عمان .

ولما لم ينفذ الفرنسيون الاتفاقية بالسرعة التى كان يرغبها الشاه فانه امر السفير الفارسى ان يطلب مقابلة الملك لويس الرابع عشر حيث عقدت اتفاقية اخرى تعطى لفرنسا امتياز اكثر اذ نصت المعاهدة على ان تمد فارس جيشا

مكونا من ٣٠ ألف جندى وعندما يتم احتلال مسقط يسمح ببقاء حامية فرنسية فيها وأن تشارك فرنسا فارس مناصفة فى إيراد لؤلؤ البحرين ، ومع ذلك فان فرنسا لم تنفذ شروط المعاهدة .

اتجهت فارس إلى جوا سنة ١٨١٨ للاستعانة بالبرتغاليين وحينما شرع هؤلاء فى معاونة الفرس لاستعادة نفوذهم المفقود أثار هذا التصرف بريطانيا فساعدت امام عمان ، ولما لم تكن البرتغال قد قدمت مساعدة كافية ، ولما عجز الفرس عن الاستعانة بأية قوة أجنبية ضد عمان فانها دخلت فى مفاوضات مباشرة مع امام عمان تم على أساسها شراء فارس للبحرين مقابل ٨٠٠٠ تومان (التومان كان يساوى نصف جنيه استرلينى) فدخلتها جيوش فارس سنة ١٧١٨ (١) .

من ذلك يتبين أن احتلال الفرس بعد شرائها من مسقط لم يكن لاسترداد اقليم تابع لفارس وإنما كان لاسباب مذهبية طالما أن كثيرا من سكان البحرين من الشيعة بينما المحتلون العمانيون من الخوارج وكانت الاسرة الصفوية فى إيران هى المدافعة عن حقوق الشيعة فى العالم الاسلامي .

ولم يكن السبب المذهبى وحده هو الذى حدا بفارس أن تستعين بقوات أجنبية كالبرتغاليين أو البريطانيين أو الهولنديين او الفرنسيين ضد العمانيين وإنما كان للعامل الاقتصادى ايضاً اثره فى إغراء كل قوة اجنبية فى احتلال البحرين باعتبارها اشهر مصايد اللؤلؤ فى العالم على الاطلاق وليس ادل على هذا من اغراء فارس فرنسا حتى تساعدها على احتلال البحرين

Dr. A, Faroughy: The Bahrein islands P, 54

بنصف ايراد اللؤلؤ فى البحرين ، ولقد كان تجار اللؤلؤ فى البحرين مجبرين على رفع أثمن اللالىء إلى ملك فارس شخصياً ، وهكذا كانت تبعية البحرين لفارس فى الفترة التى سيطرت عليها الأخيرة تبعية المصلحة لطرف واحد أو تبعية الاحتلال والقسر والاستعمار لان التبعية الطبيعية انما تكون قائمة على المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة والمساواة التامة فى الحقوق والواجبات ولم يكن الأمر كذلك أثناء الاحتلال الفارسى للبحرين ، والمصلحة الوحيدة التى كانت تعود على بعض سكان البحرين هى حماية الشيعة منهم من القبائل الأخرى التى تدين بمذاهب مخالفة وهى مصلحة طائفية أقرب إلى الضرر بالمصالح الحقيقية للشعب إذ أثارت التعصب المذهبى بين الطائفتين الكبيرتين السنة والشيعة وأحالت البلاد إلى فوضى وخراب .

وقد كان أول حاكم للبحرين بعد أن اشتراها الفرس هو الشيخ جباره حاكم مدينة تلهرى على الساحل الفارسى ، وهو شيخ قبائل الهولة على الساحل الفارسى كما كان قائدا لأسطول بحرى فى الخليج ، حيث لم تكن حكومة فارس المركزية تملك أسطولا خاصا بها ، وانما كانت الأساطيل تابعة للقبائل التى تنعم باستقلال جزئى عن الحكومة المركزية .

ولو كان سكان البحرين من الفرس لما اختار الشاه أن يولى عليهم حاكما عربيا من قبائل الهولة ، وهى قبائل لم تكن تدين بالولاء التام لسلطة الشاه إذ ما ان استقر الشيخ جبارة فى البحرين حتى أعلن استقلاله عن حكومة فارس .

وفكر الشاه فى الاستيلاء على عمان منتهزا الفوضى الداخلية التى تعرضت لها ولكنه لم يكن يملك أسطولا قويا ، ولذا حرض الفرس على الأسطول

الفرنسى أن ينقلهم ووافقت فرنسا على أن يكون لها حق التملك لايراد لؤلؤ البحرين وكان ذلك سنة ١٧٢١ .

كل هذا مما يؤكد أن الفرس لم يكن لهم عند سقوط الدولة الساسانية أدنى سيطرة بحرية على الخليج . يقول الدكتور صلاح العقاد فى كتابه الاستعمار فى الخليج الفارسى(١) أن الفرس اشتهروا من غابر الزمان بخوفهم من حياة البحار وأن بعض المؤرخين العرب قال ليس من الخليج شىء فارسى إلا اسمه وعلى ذلك فان ذيوع اسم الخليج العربى الآن جاء موافقا لحقيقة جغرافية ثابتة .

ولم تتمكن فارس من تنفيذ خطتها باحتلال مسقط بسبب الثورة الأهلية التى اجتاحت أفغانستان وامتدت إلى فارس نفسها فانسحب الجيش المستعد للغزو إلى أصفهان .

ولما وصل نادر شاه إلى عرش فارس سنة ١٧٣٦ اتجه تفكيره إلى غزو عمان فأرسل وزيره لطيف خان يطلب من الوكالة البريطانية فى بندر عباس أن تمده بالسفن اللازمة فأحالته هذه إلى حكومة الهند التى قبلت بعد طول مماطلة أن تمده بأربع سفن وهكذا رفرف العلم الفارسى لاول مرة على اسطول حربى بحرى منذ سقوط الدولة الساسانية (٢) .

إتجه الاسطول الفارسى لانتزاع البحرين وكيس من الشيخ جباره الذى كان قد استقل بهما ولم يعترف بالانقلاب الذى قام به نادرشاه ووصل به إلى

(١) الدكتور صلاح العقاد : الاستعمار فى الخليج الفارسى ص٦ .

2-A, Faroughy: The Bahrain Islands P,68

عرش ايران وانتهز الاسطول فرصة غياب الشيخ جبارة للحج فى مكة واستولى على البحرين سنة ١٧٣٦ وتولى الشيخ نصر من قبيلة أبى ماهر الايرانية حكم البحرين .

غير أن هذا الغزو الفارسى لم يستقر لان بحارة الأسطول الفارسى كانوا من أتباع الشيوخ المستقلين ولم يكونوا خاضعين تماما للحكومة المركزية فى أصفهان ، فتعرضت البحرين لغزو من عمان بقيادة سيف بن سلطان سنة ١٧٣٨ وهرب كثير من شيعة البحرين للمرة الثانية إلى القطيف وسواحل فارس فتعرضت للخراب حتى يقال أنه كان بها ٣٦٠ قرية ومدينة ولم يتبق منها إلا ٦٠ قرية مهدمة (١).

غير أن نادرشاه استعاد البحرين مرة أخرى سنة ١٧٣٩ ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ اغتيل نادرشاه سنة ١٧٤٧ فاستقل بها عرب الهولة مرة أخرى ثم الشيخ نصر آل مدكور شيخ بوشير وهو عربى من أصل عمانى .

نستطيع أن نستنتج خلال الفترة من ١٦٠٢ حتى سنة ١٧٨٣ النتائج الآتية :ـ

أولا : أن الحكم للفرس لم يكن مستقراً بل أن مجموع فترات حكمهم لايتعدى ٩٠ سنة خلال أكثر من قرن ونصف .

ثانياً : أن غزو الفرس للبحرين من قبل الأسرة الصفوية أو من قبل نادرشاه لم يكن عن إيمان حكام فارس بأن البحرين جزء لايتجزأ عنها ، وإنما كان

1- IBelgrave ' welcome to Bahrain p,90

الغزو جزءا من الصراع المذهبى بينهم وبين الأتراك السنيين الذى كانوا محتلين لشبه الجزيرة العربية ويهددون البحرين عن طريق شيوخ الاحساء والقطيف بالاضافة إلى تهديد العمانيين الخوارج.

ثالثا : أما فى عهد نادرشاه فقد كان الدافع لاحتلال البحرين أن الشيخ جبارة حاكمها منذ سنة ١٧١٨ كان قد أعلن استقلاله عن فارس ولم يعترف بالانقلاب الذى قام به نادر شاه ووصل به إلى العرش على انقاض الدولة الصفوية وكان للشيخ جبارة وهو من عرب الهولة على الساحل الفارسى للخليج نفوذه بين تلك القبائل العربية فكان لابد من إخضاعها للسلطة المركزية فى أصفهان باخضاع شيخها ورئيسها الذى أعلن العصيان ، هذا بالاضافة الى أن حملة نادرشاه على البحرين كانت جزءا من خطته للقضاء على العمانيين الذين كانوا يحتلون فى آخر عهد الدولة الصفوية وأثناء الاحتلال الأفغانى لايران بعض المناطق والجزر الفارسية ولم يكن فى الامكان القضاء على العمانيين وسيطرتهم فى الخليج ثم مهاجمتهم فى عقر دارهم الا باتخاذ البحرين قاعدة لهذه العمليات الحربية باعتبارها أقرب الجزر للساحل العربى .

رابعاً : ولقد كان للعامل الاقتصادى أثره الهام فى رغبة ايران فرض سيطرتها على البحرين والاستيلاء على ثروتها والحادثة الآتية تدل على ذلك:

كان حاكم الاحساء الشيخ الجابرى قد استطاع أن يفرض سلطانه على البحرين فى سنة ١٦٩٩ ، وكان سىء السيرة ، واذ قد سمع بجمال امرأة وزيره فأراد أن يتصل بها وأبعد الوزير فى مهمة لاحد الأمراء ، وأرسل الى زوجته برغبته فى زيارتها فلما علمت بمقدمه قدمت له فى بيتها احدى الجوارى على أنها زوجة الوزير بينما اختفت هى ، فلما تحقق الحاكم مما حدث بعد

ذلك ثار غضبا بعد مباراة بينه وبين وزيره فى الشطرنج وقتل الوزير وخشيت المرأة على نفسها فهربت الى الاحساء وهناك أمرت صائغـا أن يصوغ لهـا صحنا من فضة ويجعل فى وسطه نخـلا من ذهب طول الذراع مثمراً ذلك النخل بالجواهر الفاخرة قدمته هدية للشاه عباس الثانى الصفوى لتغريه بأرض البحرين ونخلها وثمارها وأن هذه الهدية ماهى الا تميمـة تعلق فى صدور الأطفال بالبحرين فكان أن أرسل الشاه عباس الثـانى الصفوى حمـلة أستردت البحرين من الشيـخ الجبارى (١).

ومهما يـكن من صدق هـذه الرواية فانها تدل على أن رخاء البحرين وخصوبة تربتها وشهرتهـا بمصايد اللؤلؤ كانت عامـلا رئيسيا فى طمع فارس فى احتلالها .

وهكذا تـكون ظروف احتـلال الفرس للبحرين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر فضلا عن كونها احتلالا قائما على الغزو المسلح كاحتلالهم لمناطق أخرى فى العراق وغيرهـا راجعة لعوامل ليس من بينها اعتبار حـكام ايران أن البحرين جزء لا يتجزأ من أراضى فارس .

(١) التحفه النبهانيه لمؤلفه محمد خليفه النبهاني ـ صفحه ٨٤

الفصل الرابـع

العصر الحديث فى البحرين

دخـول آل خليفة البحرين .

التيارات السياسيـة فى الخليج فى الربع الأخـير من القرن الثامن عشر

أولا ـ المد الفارسى : حيث كانت حكومة فارس فى فترات قوتهـا تحاول بسط سيطرتها ونفوذها على البحرين .

ثانيـا ـ الغزوات من عمـان والطائف : وذلك بايعـاز ومناصرة الدولة العثمانية التى كانت ترغب فى بسط نفوذها على الخليج من ناحية والعداء المتصل بين الدولة العـثمانية والدولة الفارسية من ناحية أخرى ، ولمـا كانت الحدود التركية الايرانية محل احتكاك دائم كذلك كانت البحرين محل احتـكاك بين القوتين ، ولا شك أن العـامل الاقتصادى من العوامل الفعـالة فى اجتذاب القبائل العربية من المناطق القاحلة فى جوف شبه الجزيرة العربية إلى الخيرات والثروات فى البحرين .

ثالثـا ـ النفوذ البريطـانى المتزايد فى الخليج : حيث أصبحت بريطانيا الدولة الأوربية ذات النفـوذ السائد فى الخليج فى أواخر القرن الثـانى عشر بعـد أن تخلصت من منافسة البرتغـاليين والأسبان والهولنديين كما تخلصت من مضايقة الفرنسيين بعدهزيمة الأخيرة فى حرب السنين السبع (سنة ١٧٥٦ـ١٧٦٣م)

وجلاؤها عن الهند وأصبحت نهاية النفوذ الفرنسى فى المياه الشرقية مسألة وقت أما بريطانيا فقد كانت تبحث عن قاعدة ترتكز عليها فى الخليج لتباشر سيطرتها .

بين هذه التيارات التى كانت تتجاذب مناطق الخليج تحالف فى منتصف القرن الثامن عشر ثلاثة فروع من قبيلة من أعظم القبائل شأنا وعراقة فى شبه الجزيرة العربية فى إقليم نجد وهى قبيلة بنى عتبة ، تحالفت فروع هذه القبيلة : آل صباح وآل خليفة وآل جلاهمة على أن يعاونوا بعضهم بعضا ، ويناصر بعضهم البعض ووزعوا الأعمال فيما بينهم فكان لآل صباح الشؤون الادارية والرئاسة ولآل خليفة الشئون التجارية ولآل جلاهمة الشئون البحرية واتجهت هذه الفروع للعمل فى التجارة وبناء السفن وصيد السمك واستخراج اللؤلؤ غير أن الحلف بينهم لم يدم طويلا بعد أن استقروا فى الكويت وأصبح لآل صباح نصيب الأسد فى توزيع الأرباح ، فكان أن تحلل آل خليفة من الحلف واتجوا جنوبا ليجربوا حظهم فى شبه جزيرة قطر .

هرب محمد آل خليفة شيخ الأسرة إلى الزبارة بعد أن حاول آل صباح القبض عليه للاختلاف فيما بينهم ، وفى الزبارة زاول آل خليفة صيد اللؤلؤ وبنوا لانفسهم قلعة فيها برج للمراقبة خوفا من هجوم آل صباح عليهم ولكن موت شيخ آل صباح سنة ١٧٦٢ قلل تهديد هذه الأسرة له فاستمروا فى مزاولة تجارتهم .

وكان آل خليفة يأتون جزيرة البحرين لشراء اللؤلؤ منها فكانت العلاقات التجارية قائمة بين الزبارة والبحرين إلى أن حدث خلاف بين آل خليفة وجماعة من البحرين أدت إلى قتال بينها فاستغاثت الجماعة بحاكمهم

الشيخ نصر آل مدكور فجهز هذا أسطولا تولى قيادته بنفسه وسار بهم إلى قطر لمحاصرة الزبارة وطلب من أهلها سبى نسائهم وأطفالهم وخدمهم جميعاً وإلا وضع فيهم السيوف حتى يفنو عن آخرهم ، فعظمت الشروط على أهل الزبارة واقتتل الجمعان وأسفر القتال عن هزيمة جيش نصر آل مدكور وولى الأدبار وتبعه آل خليفة إلى البحرين حيث أستولى عليها أحمد بن محمد آل خليفة الملقب بأحمد الفاتح .

أما الشيخ نصر آل مدكور فقد استنجد بفارس غير أن الأمور لم تكن مستقرة للاسرة القاجارية الجديدة حتى تكلف نفسها مشقة نجدة شيخ بوشهر

أما المراجع الايرانية فانها تصور هذه المرحلة الحاسمة من توطيد الحكم العربى فى البحرين بهذه الصورة : أن محمد آل خليفة ألح على شيخ بوشهر أن يدع له حكم الجزيرة مقابل دفع الجزية لامير شيراز وأن محمد آل خليفة أصبح حاكما على البحرين والزبارة تحت حماية الفرس مقابل دفع الجزية لفارس .

وليس لهذه الدعوى نصيب من الصحة لان حاكم بوشهر الشيخ نصر آل مدكور كان يزاول السلطة بنفسه على البحرين فلا مبرر لان يتنازل عنها لغيره.

ثم تصور المصادر الايرانية أن الشيخ أحمد الفاتح قد امتنع عن دفع الجزية وقبض على محصل الضرائب الفارسى الأمر الذى جعل الأسطول الفارسى يظهر أمام الزبارة مما أضطر احمد الفاتح إلى الاسراع لدفع الجزية وتجديد ولائه للعرش الايرانى ثم عاد فأعلن عصيانه مرة أخرى وأرسل حاكم بوشهر أسطوله فغادر احمد آل خليفة البحرين ولجأ إلى الزبارة وعرض مرة أخرى المفاوضة ودفع التعويضات اللازمة فرفض عرضه وعين أبنه حاكما على البحرين.

ولكن آل خليفة استعانوا باقاربهم من آل جلاهمة الذين كانوا يملكون القيادة البحرية كما استعانوا بقبيلة الجواسم التى كان لها السيادة البحرية فى خليج عمان ، ودخل الشيخ أحمد آل خليفة البحرين دخول الغزاة الفاتحين وهرب منها نصر آل مذكور ليستعين بالجيش الفارسى غير أن أحمد الفاتح أعلن استعداده لدفع الجزية لأمير شيراز ولم تكن فارس على حد زعم المصادر الايرانية تطلب من حكام البحرين فى أثناء سيطرتها عليها أكثر من ذلك ، أما أن تكون لها السلطة المباشرة فى تعيين وعزل حكام البحرين فتعترف المصادر الايرانية أنه أمر لم يكن فى استطاعتها وأن دخول احمد آل خليفة البحرين على هذه الصورة كان متمشيا مع التقاليد السياسية فى فارس التى كان ينقصها الأسطول القوى فكانت تتعامل مع كل شيخ مانحه له استقلاله الداخلى قانعة بالجزية واعلان الولاء أما إذا رفض الشيخ دفع الجزية فان الأسطول الفارسى ـ على حد زعم المصادر الايرانية ـ أو أسطول شيخ من شيوخ المناطق على الساحل الفارسى يقوم بتأديبه (١) .

ولم يكن اعلان شيخ البحرين الولاء لفارس ودفع الجزية له لمجرد أن تقر وضعه كحاكم على البحرين للتهرب من تدخل شيخ من الشيوخ المحليين على ساحل فارس ، وانما كذلك لتعلن فارس حمايتها على البحرين ضد القبائل العربية على الساحل العربى إذ لما هاجم إمام مسقط البحرين سنة ١٧٩٩ أسرع شيوخ البحرين باعلان ولاءهم لفارس ودفعوا الجزية وطلبوا حمايتها من إمام مسقط الذى اضطر إلى ايقاف الهجوم .

هذا هو تأويل فارس لهذه الحقبة الحاسمة لتاريخ البحرين ولا شك أنها

Dr. F, Adamyat: The Bahrain Islands P,

تنطوى على مغالطة هامة إذ كيف يعقل أن يهزم حاكم بوشهر أمام آل خليفة ويستنجد بالحكومة الفارسية التى يمثلها هو ويمثل نفوذها وسيطرتها على البحرين فتغض الحكومة الفارسية الطرف عنه لتعترف بالحاكم الجديد الذى يعتبر دخوله البحرين نهاية للنفوذ التاريخى وتوطيد لسيطرة العرب عليه ، كيف تتخلى فارس عن تأييد حاكم فارسى لتعترف بحاكم عربى ولقد كانت الجزية مضمونا وصولها أبان الحاكم الفارسى وهى ليست كذلك بالنسبة للحاكم العربى الجديد الذى سبق أن أعلن عصيانه مرارا ؟ أن قبول فارس لهذا الوضع لوصحت هذه الوقائع لايعنى ألا تفسيرا واحدا هو أنها تنازلت عن سيطرتها نهائياً عن البحرين .

وإذا أضفنا إلى ذلك أن الحاكم الجديد سنى أى أنه يختلف فى المذهب عن ايران التى كانت تبسط سلطانها على البحرين لاسباب مذهبية لاتضح أن قبول الحكومة الايرانية ورضاها باحتلال آل خليفة البحرين لا يمكن أن يكون مستساغا .

احتلال حاكم مسقط للبحرين : رغب سلطان مسقط السيد سلطان فى احتلال البحرين خصوصا وأن آل خليفة رفضوا دفع رسم المرور عن سفنهم الآتية من الهند والمارة فى الخليج إلى البحرين وطلب سلطان مسقط موافقة حكومة فارس على الحملة فى مقابل مشاركته فى نصف ايراد البحرين وظل يلح على حسين على ميرزا حاكم اقليم فارس ليستخدم نفوذه لمناصرته ضد آل خليفه كما استمال اليه الشيخ نصر آل مذكور الذى كان يتحين الفرصة للانتقام من آل خليفة وقد عرض سلطان مسقط فى مقابل مساعدة إيران له

التوقيع على بياض لتحدد حكومة ايران الشروط التى تراها فوافقت على مده
بـ ٢٠٠ فارس وألفين من المشاه(١)

وفى سنة ١٢١٥ هجرية هجم سلطان مسقط السيد سلطان بن أحمد باسطوله
على البحرين واستولى عليها بدون قتال لان حاكمها الشيخ سلمان آثر الصلح
وكانت أهم شروط الصلح بين الطرفين مايأتى :ـ

(١) أن يتخلى الشيخ سلمان عن البحرين تماما .

(٢) أن يدفع أخاه الشيخ محمد رهينة عند حاكم مسقط يقتله إذا رأى
من الشيخ سلمان تحفز للثورة .

(٣) أن تبقى للشيخ سلمان أمواله وأملاكه كما هى.

وتم الصلح بين الطرفين وأرسل حاكم مسقط أخاه السيد سعيد ليحكم
البحرين وأخذ شقيق الحاكم رهينة عنده ، ولما رأى آل خليفة قوة سلطان
ويأسوا من استرداد البحرين غادروها بعائلاتهم وأتباعهم إلى الزبارة ، ولما
توفى شقيق الحاكم الرهينة عند حاكم مسقط ، طلب آل خليفة المساعدة من
سعود بن عبد العزيز أمير نجد الذى قاتل المسقطين وأجلاهم عن البحرين
غير أن الوهابيين استولوا عليها ولم يسلموها لآل خليفة .

استعان آل خليفة هذه المرة بسلطان مسقط نفسه ضد أمير نجد كما
استعانوا ببعض القبائل العربية الأخرى واستطاعوا أن يهزموا ابراهيم بن
عفيصان قائد السعوديين وأن يستعيدوا البحرين مرة أخرى ، وكان من
نتيجة شعور آل خليفه بموقفهم المهدد فى البحرين تارة من فارس وطورا من

1- Dr, F. Adamyat: Bahrain Islands P,46

سلطان مسقط وطورا ثالثا من الوهابيين أن مكن هذا كله للتدخل البريطانى
فى الخليج عامة والبحرين خاصة .

التدخل البريطانى فى الخليج

اتجهت أنظار البريطانيين إلى أهمية الخليج كطريق موصل للهند يهدد
مواصلاتهم وتجارتهم ومستعمراتهم لوسيطرت عليه دولة أجنبية ، ومنذ
القرن السادس عشر تقررت السياسة البريطانية فى أن تكون بريطانيا أكبر
قوة بحرية فى الخليج ولا تزاحمها سلطة أخرى أجنبية كما لا تسمح لاية دولة
مطلة على الخليج كى تتحكم فى مياهه .

وليس أدل على اهتمام بريطانيا فى الخليج العربى منذ الغزو البرتغالى من
تضافر البريطانيين مع الفرس على طرد البرتغاليين حتى تم ذلك سنة ١٦٢٢
غير أن هزيمة البرتغاليين وخروجهم من ميدان المعركة لا يعنى استتباب
الأمر تماما لبريطانيا ، إذ ظهرت فرنسا ، حقيقة أن هزيمة فرنسا فى حرب
السنين السبع تلك الهزيمة التى أعلن على أثرها فى معاهدة الصلح فى باريس
سنة ١٧٦٣ تخلى فرنسا عن جميع ممتلكاتها فى شبه القارة الهندية ، وبذلك
خلى الميدان لبريطانيا لبسط نفوذها حول المناطق المتاخمة للمحيط الهندى حيث
وزعت شركة الهند الشرقية البريطانية اختصاصاتها على الحكومات الرئيسية
الثلاث فى الهند ، حكومات البنغال ومدراس وبومباى ، فكانت منطقة
الخليج العربى فى دائرة اختصاص حكومة بومباى.

ومن المعروف أن هذه الشركات التجارية التى كانت تتخذ لها مظهر
التجارة وطلب الحصول على الاحتكار التجارى كانت تدخل سياسيا ثم تلغى

الحكومات الوطنية وتستبدل بها حكومات تابعة للشركة ثم تحل ادارة حكومية بحتة محل الشركة كما تطورت شركة الهند الشرقية إلى استعمار بريطانى سافر سنة ١٨٥٧ .

ان الخيوط الأولى للتدخل البريطانى فى البحرين لايمكن فصلها عن الاستعمار البريطانى فى الهند ، الم تصبح الادارة البريطانية فى الخليج تابعة لحكومة بومباى فى سياستها والخطوط المرسومة لها ؟ الم تطبق على البحرين بعد سنة ١٩١٣ نفس أنظمة الهند والقانون المدنى والجنائى المطبق فيها ؟ ثم أليست العملة الهندية وهى الروبية عملة معظم مناطق الساحل العربى ؟

وبالرغم من انسحاب فرنسا من الهند فان مضايقاتها للاستعمار البريطانى لم تتوقف بعد ، وكانت لها مستعمرات فى مواجهة الساحل الشرقى الافريقى المواجه لموزمبيق كما أنها وطدت علاقتها بعمان أقوى قوة بحرية فى الخليج .

ثم كان التهديد الخطير من جانب فرنسا للمصالح البريطانية حينما قام نابليون بحملته على مصر ، ومن المعروف أنه كان من أغراض هذه الحملة استعادة المستعمرات الفرنسية وقطع الطريق على بريطانيا فى الهند ، فكان ان زادت بريطانيا من اهتمامها العسكرى بمنطقة الخليج لأنها من قبل لم تتخذ موقفا عسكريا ، إنما كان اهتمامها وقفا على الناحية التجارية طالما لم يكن هناك تهديد مباشر للمصالح البريطانية سواء فى الهند أو فى تجارتها فى الخليج ، وكانت بريطانيا قد أنشأت قنصلية لها فى البصرة سنة ١٧٦٤ حتى تكون محطة لنقل الرسائل من الخليج البحرى إلى طريق القوافل التى تسير غرب الفرات ثم عبر بادية الشام إلى البحر الأبيض ، هذا بالاضافة إلى ماحصلت عليه بريطانيا من امتيازات لترويج تجارتها فى بغداد

وتحديد الرسوم الجمركية أو الغائها وكانت هذه الامتيازات فى مقابل مساندة العراق ضد غزو الفرس حينما احتل الفرس البصرة سنة ١٧٧٦ – ١٧٧٩م إذ أعارت الهند ولاة بغداد بعض السفن واشتركت فى حصار الشواطىء الفارسية وبذلك تكون بريطانيا قد حققت غرضين الأول هو ترويج تجارتها حتى تحتكر أسواق العراق والثانى هو ماسبق الاشارة اليه وهو الا تظهر فى مياه الخليج دولة قوية تتحكم فى التجارة البريطانية فيه .

ولا يعنى هذا أن أسواق فارس كانت مغلقة أمام البضائع البريطانية ، إذ أن بريطانيا عاونت فارس فى استرداد هرمز من البرتغاليين وطردهم من الخليج مقابل إنشاء وكالة فى بندر عباس ، وبذلك كانت فارس سوقا للبضائع البريطانية منذ سنة ١٦٢٢ وأن كانت هذه البضائع قد لقيت كسادا فترة من الزمن بعد سقوط الدولة الصفوية فى فارس وتعرضها للفوضى ، غير أن هذه الاسواق استعادت رواجها منذ سنة ١٧٦٣ حين وقعت بريطانيا مع شيخ منطقة بوشهر اتفاقية تنص على الاعفاء من الرسوم الجمركية واحتكار بريطانيا وانفرادها بأسواق بوشهر فى تجارة الصوف ومنع أية دولة أخرى من إقامة وكالة لها ثم منح امتيازات خاصة للبريطانيين ومن فى خدمتهم ، وتكشفت هذه السياسة التى كانت مستترة وراء التجارة حين نصت الاتفاقية على اقامة حرس بريطانى مستقل فى بوشهر ، وأن تتحمل السلطات المدنية المسئولية عن ديون تجار الفرس لدى التجار للبريطانيين ، ولم يكن هذا الاتفاق وقفا على مدينة بوشهر فقد أصبحت هذه الامتيازات سارية المفعول على جميع السواحل والجزر التابعة لفارس بعد أن صدر فرمان بذلك من كريم خان الزنجى وبذلك أصبحت بوشهر قاعدة النفوذ البريطانى فى الخليج ، وتحولت من وكالة تجارية إلى مركز سياسى وقاعدة عسكرية

ولما كانت البحرين فى ذلك الوقت تابعة للفرس الذين غزوها بعد طرد البرتغاليين فان نصوص المعاهدة تعتبر نافذة المفعول بالنسبة لتجارة البريطانية فى البحرين ، ولما كانت صادرات فارس ضئيلة جدا بالنسبة لوارداتها من بريطانيا التى غمرت أسواق فارس فان ميزان المدفوعات كان دائما فى صالح بريطانيا إذ كما جاء فى تقرير عن تجارة الخليج الفارسى كتبه الضابط مالكولم سنة ١٨٠٠ أن ٩٠ فى المائة من تجارة الخليج تقوم على ميزان فى صالح حكومة الهند حيث تدفع ثمن البضائع بالعملة المعدنية ولما اتضح ذلك لفارس أصدر كريم خان سنة ١٧٦٩ فرمانا يقضى بتحريم خروج العملة الذهبية من فارس والتعامل بها مع الأجانب ورتب على الاتفاقية السابقة وعلى هذا الفرمان أن اللؤلؤ المستخرج من البحرين كان يؤول إلى المستعمرين فى الهند (١) ، ففارس دولة لاصادرات لها مع بريطانيا ويكاد اللؤلؤ يكون السلعة الوحيدة التى تصدر إلى الهند وأسواق أوربا وهكذا كانت البحرين تعوض معظم الخسارة فى ميزان المدفوعات بالنسبة لايران ، وهكذا كان احتلال ايران للبحرين احتلالا تمليه الظروف الاقتصادية والمصالح الخاصة بالحكومة الايرانية دون أن تستفيد البحرين من تبعيتها لفارس .

هذه هى نقطه البدء باتصال بريطانيا بالبحرين ثم تطورت الأمور باستيلاء آل خليفة على البحرين وكان يحيط ذلك من طمع القوات المجاورة من فارس ومسقط والجزيرة العربية فكان ان تدخلت بريطانيا فى النزاع بين الشيوخ المحليين بدعوى العمل على استتباب الأمر فى الخليج والقضاء على القرصنة ، فما هى القرصنة ؟

(١) الدكتور صلاح العقاد : الاستعمار فى الخليج صفحة ٢٨ .

القرصنة فى الخليج

جمع اللورد كيرزون الحاكم البريطانى للهند رؤساء القبائل فى ٢١ نوفمبر سنة ١٩٠٣ ووقف فيهم خطيباً بقول « لماذا تزاول بريطانيا سلطتها فى الخليج ؟ أن تاريخ اماراتكم وأسركم والحالة الراهنة تحدد الجواب ، نحن هنا قبل أى قوة أخرى فى العصر الحديث ، لقد خلقنا النظام ، لقد كانت تجارتنا ـ كما كان أمتكم مهددين ويحتاجان الى حماية فى كل ميناء على طول هذه السواحل يقيم فيه ويتأجر رعايا لملك بريطانيا العظمى ، ان امبراطورية الهند العظمى التى من واجبنا حمايتها تقع تقريبا على أبوابكم ، لقد أنقذناكم من استبداد جيرانكم (كذا) لقد فتحنا البحار لسفن كل الامم ومكنا اعلامها أن ترفرف فى سلام ، لم نحتل مقاطعاتكم لم نقض على استقلالكم ولكنا حفظناه ! ! ان سلام هذه المياه يجب أن يظل قائماً كما أن استقلالكم سيظل محفوظاً ونفوذ الحكومة البريطانيه يجب أن يظل سائداً(١) »

انتهت أقوال الحاكم البريطانى للهند والممثل السياسى للاستعمار البريطانى فى الهند والخليج والذى يهمنا هنا أن نقرر أنه ما من تاريخ دولة شهد من التزييف وتشويه الحقائق كما شهد تاريخ الخليج وليس هذا مجال تفنيد الحقائق المزيفة ولكن الحديث عن القرصنة التى كانت شائعة فى الخليج فى القرن الثامن عشر وثيق الاتصال بما فرض على البحرين وغيرها من الامارات والمشيخات من اتفاقيات قضت على استقلالها باسم القضاء على القرصنة

لجأت القبائل العربية الى المنطقة الساحلية من عمان ، حيث تماونت

! , sir Arnold Wilson - THe persin GulF p. 192

الطبيعة والانسان على خلق بيئة بحرية تجارية من الدرجة الاولى إذ أن الطبيعة ليست فى قسوة الصحراء وبخلها ولكن الظروف التى تحمل البدوى على التنازع على الكلأ والمرعى والماء حملته على التنازع على التجارة والسفن ومصايد الأسماك واللؤلؤ ، وتكونت مشيخات وسلطانات اختلفت قوة وضعفا واستمر النزاع البحرى والبرى بينها حتى تكونت وحدة سياسية كبرى تحت قيادة عمان التى امتد نفوذها وسيطرتها على الساحل الفارسى نفسه وأخضعت موانى فارس وبندرعباس وبوشير بل واستطاعت أن تمد هذا النفوذ خارج الخليج حيث سيطرت على جزء كبير من الساحل الافريقى الشرقى .

وقد كان الخليج العربى فى هذه الحقبة من الزمن مسرحا للقرصنة الاوربية حيث اشتهر عدة قراصنة من أمثال آفورى ووليم كيد ، ولم يكن لهؤلاء القراصنة من عمل الا قطع الطريق على السفن التجارية العابرة ونهب ما فيها وسلب بضائعها واختطاف النساء منها ، وكان لهؤلاء القراصنة محطات تموين ممتدة من القارة الامريكية حتى جزر الهند الشرقية ، كما كانت كل حكومة أوربية تشجع القراصنة من جنسيتها للهجوم على السفن التجارية الخاصة بأعدائها فى زمن الحرب والسلم على السواء .

وقد قامت البحرية العمانية بادىء الامر على التجارة بين الساحل الشرقى لافريقيا والهند وكل البلدان الواقعة على الخليج وأصبحت مسقط بفضل اهتمام الأئمة فيها بالناحية التجارية مستودعا لجميع منتجات الممتلكات العمانية بل ومنتجات البلدان المجاورة ومن ثم أمكن التبادل التجارى على مدى واسع لكن العلاقات التجارية كانت معرضة للتوتر بسبب اعتداء القراصنة على

السفن العربية .

وقد حاولت الدول المتنافسة أن تفرض سيطرتها على عمان وتمنعها من التجارة مع الدول الاخرى حتى أن سلطان مسقط لانه كان يتعامل مع مستعمرة موريشس الفرنسيه فى وقت الحرب بين انجلترا وفرنسا تعرض لضغط شديد لاجباره على مقاطعة الفرنسيين وهددته بريطانيا باغلاق الموانى الهندية فى وجه سفنه كما كانت السفن الاوربية تتدخل لتفتيش السفن التجارية العمانية والاستيلاء على ما فيها بحجة إنها لا تملك الوثائق الدالة على جنسيتها .

هكذا كان الوضع فى مياه الخليج فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، سياسة بريطانية تهدف الى القضاء على قوة عمان الناشئة حتى يكون لها حق احتكار نقل السلع الى دول الخليج وتكون بريطانيا الدولة المسيطرة على مياهه ، من ناحية وقرصنة أوربية من قراصنة لا عمل لهم ألا السلب والنهب من ناحية ثانية ، ثم تعنت الحكومات الاوربية مع عمان واقحامها فى النزاع بين بعضها البعض كل هذا فى جانب ، وفى الجانب الآخر دولة ناشئة يقوم كيانها الاقتصادى على التجارة ونقل البضائع بين دول الخليج ولم يكن لها مصلحة فى غير ذلك نظرا لحاجتها الملحة الى منتجات الهند لاسيما الأرز والخشب من ناحية والى تبادل التجارة ونقلها بين الهند والساحل الافريقى ومناطق الخليج .

أما المراجع الاوربيه التى تعرض للتاريخ هذه الحقبة من الزمن فقد أرادت أن تصور ازدهار قوة العرب التجارية فى ذلك الحين على أنه ازدهار القرصنة ، يقول السير أرنولد ولسن ، أن قبائل عمان

كانت أشد الشعوب شراسة ووحشية وأنهم سببوا كثيرا من الخسائر للحرية الهندية وأنه فى سنة ١٧٨٣ هوجم المدير العام لشركة الهند الشرقية بينما كان مسافراً من بومباى الى مالبار وأنه فى سنة ١٧٨٩ هوجمت سفن تابعة لمدراس فى عدن ومسقط ومدغشقر وأن القرصنة العمانية استولت على باب المندب للسيطرة على السفن المسافرة عن طريق البحر الاحمر فكانت السفن منتشرة فى مياه البحر العربى والخليج والبحر الاحمر وبين كل سفينة وأخرى مسافة من خمسة الى ستة أميال بحيث لاتستطيع أن تخلص منها أية سفينة عابرة وأنه كان للقراصنة السيطره المطلقة سنة ١٧٩٤ على الخليج الفارسى ووصف القراصنة بأنهم لصوص وقطاع طرق ليس لهم هم الا القتل وانك اذا كنت ضحيتهم وافتديت نفسك بكل ماتملك لا يقبلوا منك لأنهم يعتبرون أن شيئاً ما لايمكن أن يفدى للنفس وأنهم كانوا يذبحون الاجانب باسم الله وأنهم لم يكونوا يرحمون ضعيفاً ولا امرأه ولا طفلا وأن هذه الفوضى لم يوضع لها حد الا بعد تحالف فرنسا وانجلترا وهولندا ضد القراصنة فكان البحر الاحمر من نصيب الهولنديين والخليج الفارسى من نصيب الفرنسيين وللانجليز بحار الهند الجنوبية ثم وضح الحد الفاصل بأكبر عمل عسكرت بريطانى ضد القواسم سنة ١٨١٩ ثم المعاهدات التى تمت بين بريطانيا وبين شيوخ القبائل سنة ١٨٢٠ لتحريم القرصنة وتجارة الرقيق (١)

ومن المؤسف أن المصادر الايرانية قد انساقت وراء المراجع الأوربية

1- Arnold ulson The Persian galF p,90

لم يكن العداء بين هذه الدول الاوربية الثلاث انجلترا وفرنسا وهولندا يسمح بقيام مثل هذا التحالف فضلا عن أن السيطرة البحرية فى البحر الاحمر كانت للاتراك العثمانيين لا لهولندا

غير المحايدة فى هذه الناحية حيث يذكر آدميات فى تعرضه لتاريخ البحرين أنه حينما انهارت قوة الفرس واختفت من الخليج ظهرت قوة العرب القائمة على الفوضى فانتشرت القرصنة بين القبائل العربية لاسباب اقتصادية واجتماعية .

والرأى الصحيح أنه لم يكن من صالح عمان أن تعتمد فى حياتها على السلب والنهب والقرصنة والادلة على ذلك ما يأتى :

(١) أن السيد سعيد سلطان مسقط احتمى ببريطانيا من القرصنة الفرنسية سنة ١٨٠٨ وطلب منها أن تسمح له بالتجارة بين ساحل الهند وبلدان الخليج ولكن الحاكم العام للهند رفض طلبه ، ولا يعقل أن يطلب العمانيون الحماية ويقومون بأعمال القرصنة ضد السفن البريطانية أو غيرها

(٢) أنه ليس من صالح عمان أن تقوم بالقرصنة على السفن البريطانية وهى فى أمس الحاجة لاستيراد الخشب من الهند لبناء السفن وغير ذلك من البضائع الضرورية .

(٣) أن بريطانيا عارضت بشدة فى احتلال القوة المصرية لساحل عمان وجزر البحرين أثناء الحملة المصرية على الوهابيين وكلفت قنصلها فى الاسكندرية بابلاغ محمد على عزم بريطانيا على التدخل بالقوة لو حاولت القوات المصرية غزو هذه المناطق ولو كانت بريطانيا يهمها استتباب الامن فى الخليج وتنسب الفوضى الى العمانيين لما عارضت فى ظهور قوة معادية لقوة العمانيين ولكنها خشيت ظهور قوة أخرى فى الخليج غير مرغوب فيها

(٤) حقيقة لقد كانت هناك حروب بين القبائل العربية بعضها وبعض من اجل السيطرة على طول الساحل العربى للخليج وكانت سفن القبائل تحارب بعضها البعض ، فرحمة بن جابر الجلاهمة مثلا الذى كان يعتبر أخطر القراصنة العرب الذين شهدهم الخليج فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر الذى كان يمتلك سفناً كبيرة وتحت أمرته حوالى الفين مقاتل ، كان الباعث الرئيسى لاعتداءاته المتواصلة عداءه الشديد لشيوخ البحرين الذين كانوا يوماً ما فى حلف مع آبائه واستأثروا بالبحرين دونه فوجد الجلاهمة أنفسهم مطرودين من حلفائهم آل صباح فى الكويت ومبعدين من حلفائهم الآخرين آل خليفة فى البحرين وكانوا قد شاركوا فى عون هؤلاء ومساعدة أولئك فى الوصول الى السلطة فتملك رحمة الحقد الدفين فى الاضرار بمن نعموا بالخير دونه

كانت القرصنة اذاً سلسلة من الحروب القبلية المتصلة وكانت تعتبر وسيلة مشروعة فى سبيل الوصول الى السلطة ولم يحدث أى هجوم على السفن الاجنبية الا على سبيل الدفاع حتى وصل الوهابيون الى السلطة وسيطروا على ساحل عمان ودخلوا فى حلف مع الجواسم سنة ١٨٠٣ ويعتبر سير آرنولد ولسون أن الهجوم على السفن الاجنبية من جانب العرب لم يبدأ الا منذ هذا التاريخ ، ذلك أن الوهابيين حينما سيطروا على ساحل عمان بدؤوها بمهاجمة السفن الاجنبية بدافع دينى اذ أن الخليج العربى فى نظرهم محاط بدول اسلامية فهو خليج اسلامي وكل تجارة فيه لابد ان يسيطروا عليها أو أن تدفع السفن المارة فيه الجزية للوهابيين فكانوا يعتبرون الخليج العربى بحرا اسلامياً لابد من السيطرة عليه وعلى التجارة فيه كنظرة الاتراك العثمانيين للبحر الاحمر وسيطرتهم عليه لتأمين الطريق الى الحج

فضلا عن ان الوهابيين حاولوا الاتصال قبل ذلك بالسلطات البريطانية فى الهند وطلبوا الدخول فى مفاوضات سنة ١٨١١ لاقامة علاقات تجارية ولكن البريطانيين الذين كانوا قد قضوا على كل منافسة لهم من الدول الاوربية الاخرى واصبحت لهم السيطرة المطلقة على البحار الموصلة للهند واحتكروا نقل بضائع الهند وخيراتها ، ما كانوا ليوافقوا على مطلب الوهابيين ، وهكذا تكون تسمية التجارة العربية والقوة البحرية فى عمان باسم القرصنة فيها كثير من التحامل والنية المبيتة للقضاء على هذه القوة تمهيداً للسيطرة المطلقة على الخليج والبلدان الواقعة عليه

أن كثيرا من حقائق التاريخ فى أمس الحاجة الى تصحيح لاسيما تاريخ هذه المنطقة من العالم وحينما توجه العناية الكافية النزيهة المحايدة لدراسة تاريخ الخليج فى هذه الحقبة من الزمن اذ ستتغير أسماء كثيرة وسيبرأ أقوام مما وجه اليهم من تهم

وكانت أولى الحملات البريطانية ضد البحرية العمانية عام ١٨٠٩ حيث قضت بريطانيا على الاسطول العمانى ودمرت مركز الجواسم فى رأس الخيمة وغيرها من المراكز على طول الساحل العربى وكانت هذه الحملة ردا على اعتداءات وقعت على السفن البريطانية ويرجع سبب هذه الاعتداءات الى تأييد بريطانيا لسلطان مسقط الذى كان يناصب العمانيين العداء بل أن البريطانيين ساعدوا سلطان مسقط حليفهم فى الاستيلاء على جزر قشم وهرمز وميناء بندر عباس وكلها على الساحل الفارسى وكانت تابعة للجواسم

غير أن الحملة البريطانية سنة ١٨٠٩ لم تقض تماماً على قوة العمانيين الذين كان يعتمد كيانهم الاقتصادى على البحر فازدهر مرة ثانية

سنة ١٨١١ وارسلت بريطانيا حملتها الاخيرة الحاسمة ضدهم سنة ١٨١٩ وفى أعقاب هذه الحملة كان شيوخ الخليج فى حالة لا تسمح لهم الا بالاذعان التام لما تمليه عليهم السلطات البريطانية من شروط

أول معاهدة بريطانية من شيوخ الخليج فى فبراير سنة ١٨٢٠

وقع هذه المعاهده السير وليام جرانت كير القائد العام للقوات البريطانية فى الخليج مع شيوخ الامارات البحرية وأهم نصوصها :

المادة الأولى : تمتنع الاطراف المتعاقدة عن جميع أعمال السلب والقرصنة فى البر والبحر بصفة دائمة

المادة الثانية : كل عمل من اعمال السلب والقرصنة الذى يرتكب بصفة فردية يعتبر ضاراً بالانسانية مادامت لا توجد حرب رسمية بين الحكومات

المادة الثالثة : تلتزم السفن التابعة للعرب الاصدقاء (بحكم هذا النص) برفع علم أحمر يكون رمزاً على جنسيتها ولا يجوز لها استعمال أى شعار آخر

المادة الرابعة : تسوى القبائل المسالمة علاقاتها الداخلية فيما بينها

المادة الخامسة : يجب على السفن العربية من الآن فصاعدا أن تكون مزودة بورقة موقعة من رئيس المنطقة التابعة لها ويسجل فيها اسم المالك وحمولة السفينة وأسماء البحارة ويعين فيها ميناء الخروج وميناء الوصول واذا قابلت احدى هذه السفن سفينة بريطانية وطلبت اليها اظهار سجلاتها وجب عليها تنفيذ هذا الطلب

المادة السادسة : اذا رغب رؤساء العرب فى ارسال ممثل عنهم بهذه السجلات الى المقيم العام البريطانى فى الخليج لتوقيعها جاز لهم ذلك تسهيلا

لدخولهم الموانى البريطانية ولعمليات التفتيش ويشترط عرض السجلات على المقيم سنوياً

المادة السابعة : اذا لم تكف قبيلة من القبائل عن القرصنة وجب على القبائل الأخرى أن تجتمع للتفاوض فى عمل مشترك ضدها ويمكن اشتراك الحكومة البريطانية فى التسوية النهائية بعد توقيع العقوبة على القبيلة المذنبة

المادة الثامنة : أن قتل الاسرى بعد تسليم أسلحتهم يعتبر عملا من أعمال القرصنة ولا يمكن اعتباره عملا من أعمال الحرب المشروعة فاذا ارتكب احدى القبائل هذه الجريمة اعتبر ذلك خرقا لمعاهدة الصلح ويجب على القبائل الاخرى محاربتها للاشتراك مع بريطانيا ولا يقف القتال الا بعد تسليم المذنبين

المادة التاسعة : أن خطف الرقيق من الساحل الشرقى لافريقيا ونقلهم بعد ذلك فوق المراكب التجارية يعتبر عملا من أعمال القرصنة ويجب على العرب الكف عن ذلك

المادة العاشرة : تستطيع السفن العربية التى تحمل العلم الخاص بها الدخول الى الموانى البريطانية وكذلك موانى حلفاء بريطانيا والتجارة فيها بكل حرية واذا هوجمت احدى هذه السفن فان الحكومة البريطانية تأخذ ذلك بعين الاعتبار

المادة الحادية عشر : تعتبر جميع الشروط المذكورة عامة ويجوز لمن يشاء من الرؤساء الآخرين الدخول فيها بنفس الطريقة التى تعاقد بها الموقعون

والى جانب هذه الاتفاقية التى تسمى معاهدة الصلح العامة كان

هناك ملحق خاص بكل شيخ أما ملحق الاتفاقية الخاص بحكام البحرين فكما يلي :

(١) ألا يسمح حكام البحرين بشراء أى سلع وبيعها داخل البحرين وتوابعها مما يكون قد تم عن طريق القرصنة وأن مخالفة هذا النص من أى من الاهالى يعتبر عملا من أعمال القرصنة

(٢) ارجاع جميع الاسرى الهنود فى البحرين

(٣) موافقة جميع شيوخ البحرين على المعاهدة العامة

وأول سؤال يتبادر الى الذهن هو ما هى المبررات التى دعت شيخ البحرين الى أن يقيد حريته وحرية ذريته من بعده بمثل هذه المعاهدة ؟ أن معاهدة الصلح العامة كان يقصد بها شيوخ عمان وقبيلة الجواسم ودخول أى حكام آخرين لم يتعرضوا للسفن البريطانية كان الى حد ما بمحض ارادتهم فما هى أسباب ذلك

(١) لو رجعنا عاما واحدا قبل توقيع هذه المعاهدة لتبين أن السيد سعيد سلطان مسقط كان يتربص دائماً للاستيلاء على البحرين وأنه أعد حملة بحرية سنة ١٨١٩ لاحتلالها وطرد آل الخليفة منها ، وكان فى سبيل ذلك مستعدا لقبول مبدأ اقتسام ايرادات البحرين مع فارس فى حالة رفض بريطانيا تسليمها اياه مباشرة

(٢) أن انضمام شيخ البحرين الى معاهدة الصلح العامة الموقعة فى ٥ فبراير سنة ١٩٢٠ تتضمن اعترافا باستقلال الاطراف المتعاقدة فيها ومنها البحرين وبالتالى انكار حق أية سلطة لسلطان مسقط على البحرين ووقوعه

تحت طائلة العقوبات المنصوص عليها فى حالة قيامه بأعمال القرصنة ضد السفن التابعة للبحرين

(٣) المحاولات الدائمة لفارس للسيطرة على جزر البحرين والواقع أن الفائدة التى عادت على البحرين من توقيع المعاهدة هى أنها وضعت بريطانيا وجها لوجه أمام محاولات ايران الاستيلاء على البحرين بعد أن كانت المعارضة من قبل آل خليفة وحدهم وهؤلاء لا تقاس قوتهم بفارس ولم يكن فى استطاعتهم أن يصمدوا امامها طويلا لاسيما أن فارس كانت على استعداد للتحالف مع أية قوة كسلطان مسقط فى سبيل السيطرة على الجزر

وهكذا يكون لمطالبة فارس بالبحرين الاثر السيىء فى مستقبل هذه الجزر وكيانها السياسى لان هذه المطالبة الدائمة كانت ولا زالت العامل الحاسم الذى دفع حكام البحرين الى الارتماء فى أحضان بريطانيا وقد تردت البحرين بعد ذلك فى سلسلة من المعاهدات والاتفاقيات التى قضت على استقلالها تماما لا لشيء الا لكى تتحاشى الوقوع فريسة لجارتها القوية ايران فأصبحت تهديدات ايران المستمرة ومطالبتها بالبحرين السلاح الذى تشهره بريطانيا فى وجه حكام البحرين أن أنست فيهم معارضة لاى من مشروعاتها أو القيود التى تريد تفرضها بل أن البحرين لاتنعم بما ينعم به بعض الحكام الآخرين فى الخليج من شبه استقلال كحكام الكويت وقطر وليس لذلك من مبرر الا السيف المسلط على البحرين بضمها الى ايران

وبالرغم من أن معاهدة الصلح العامة تشكل قيدا على حرية شيوخ الخليج فان حكومة بومباى لم تجدها كافية لضمان سيطرتها وكان أهم

انتقادات حكومة بمباى على المعاهـــدة ما يأتى :

(١) الرغبة فى انتهاج وسائل أعنف مع المهزومين

(٢) أبقى القائد جرانت كير بعض الرؤساء فى قبائلهم كما أفرج عن الاسرى

(٣) لم تحتو المعاهـــدة على تحديد العقوبات التى يجب فرضها على المخالفين لمبادىء الملاحة الجـديدة كحمل الوثائق

(٤) لم تحـــدد عـدد السفن الخاصة بكل شيخ كما أنها تساهلت فى تحريم تجـديد القلاع

(٥) لم تحرم المعاهـــدة استيراد الخشب من بومباى

(٦) شروط قتل الاسرى وتجارة الرقيق غير كـافية .

وقـــد رد السير جرانت كير على انتقادات حكومة بومباى بما يلى :

(١) القبض على الرؤساء يستدعى تتبعهم الى داخل شبه الجزيره والحملة تنص على عدم الابتعاد عن المنطقة الساحلية كما أن العفو حافز لهم على خلق جو من الثقة

(٢) بقاء الوحـــدات البحرية البريطانية بصفة دائمة فى الخليج خـير ضمان لتنفيذ الشروط وأشـــد أثراً من النصوص المكتوبة

(٣) مساعدة سكان المنطقة على فهم المبادىء العامة للعلاقات الدولية والتدرج بهم لتغيير عاداتهم

(٤) تحديد عدد السفن غير مجدى وليس اكبر السفن أصلحها للقرصنة

(٥) الهـــند هى التى تقـوم بعدم تصدير الاخشاب وليس العرب هم الذين يلزمون بعدم استيرادها

وأن دلت هـذه الانتقـادات على شىء فانمـا تدل على نية مبيتة من جانب بريطانيا لا للقضاء على القرصنة كما تزعم وانما القضـاء التام على البحرية

العربية فى الخليج وأحكام سيطرتها ونفوذها عليه

ولم تكن هناك سياسة عامة واضحة المعالم من شيوخ البحرين فى علاقاتهم من ايران وانما كانت تحدد سياستهم القـوة التى تعارضهم وتنازعهم النفـوذ كما كـان شأنهم فى علاقاتهم مع سائر القوى فحينما استولى حاكم مسقط على البحرين استعان آل الخليفة بالوهابيين فحينما غدر بهم الوهابيون واستقلوا بها استعانوا بألد أعدائهم حاكم مسقط وحينما تكررت محاولات حاكم مسقط للاستيلاء عليها واتجه الى حكومة الهـند يستشيرها سنة ١٨١١ غير أن بريطانيا لم تكن راغبة فى ان يبسط سلطان مسقط نفـوذه على البحرين فكان ان اتجه الى حكومة فارس لتعاونه مقابل ١٠ آلاف تومان سنوياً وكادت تتم الحملة بنجاح لولا معارضة بريطانيا ولما هـــدد الوهابيون باحتلال البحرين اضطرت الاخيرة الى أن ترسل مندوبا الى فارس سنة ١٨١٧ يحمل رسالة من شيخ البحرين يعلن فيها (بما أن سكان الجزر من نفس مذهب رعايا فارس فانهم دائما يتطلعون الى صاحب الجلالة الشاه كحاميهم ورئيسهم وأنهم يأملون الآن مساعـدة جـلالتكم أن يشملهم بحمايته من خطر الوهابيين)

هـــذا ما تذكره المصادر الايرانية عن استنجاد شيخ البحرين بفارس ومع افتراض صحـة صـــدور هذه الرسالة من حاكم البحرين فانها لا تتضمن بالمرة أى اعتراض بسلطان فارس على البحرين أو تبعية البحـرين لفارس وانما مجرد استنهاض همة الشاه واستثارة الناحية المذهبية فى نفسه وشعبه لانقاذ الشيعة من خطر قوم متعصبين كالوهابيين ولا تدل هـــذه الرسالة على شىء الا كما يدل طلب آل خليفة النجدة من الوهابيين أنفسهم ضـــد المسقطيين مرة

ثم من حاكم مسقط مرة أخرى ضد الوهابيين

ويذكر الدكتور آدميات أن الشاه فتح على أصدر فرمانا الى السيد سعيد سلطان مسقط مشيرا الى الاضطرابات التي سببها أعداء الملة وأنه لما كان شعب البحرين هم المؤمنون حقاً فانهم دائماً يتطلعون الى صاحب الجلالة الشاه ، وأنه أى الشاه فى غاية القلق من الصعاب التي يتعرضون ، يقصد شيعة البحرين ، لها . وعين الشاه محمد على خان قاجار أحد أمراء البيت المالك كما أصدر أوامره الى حاكم كرمان وكل حكام موانى فارس أن يستعدوا لمعاونة سلطان مسقط

ولم يكن مجلس بومباى راغبا فى أن يضم سلطان مسقط البحرين اليه بالرغم من ثقتهم التامة فى شخصه كحليف لهم لأنهم لم يكونوا راغبين فى أن يجدوا قوة أخرى فى الخليج تسيطر على سائر القوى فيه حتى مع ضمان ولاء هذه القوة لهم ولذا فان مجلس بومباى كتب الى حاكم البحرين انه طالما يمنع قبيلته من الشروع فى أعمال القرصنة فى البحار فانه يستطيع أن يلقى كل تشجيع وعون من الحكومة البريطانية و إلا فان نفس الاجراءات التى اتخذت ضد الجواسم ستتخذ ضده

وهكذا كانت بريطانيا فى نظر شيوخ البحرين القوة الوحيدة التى تلوح لهم فى الافق لتحميهم من اطماع جيرانهم دون محاولة الاخلال بمركزهم وليس أدل على ذلك من أن السير ويللوك السفير البريطانى فى طهران حينما علم برغبة سلطان مسقط فى الاستيلاء على البحرين سنة ١٨٢٢ أرسل الى السير بروس المقيم البريطانى فى الخليج يطلب منه أن يمنع سلطان مسقط من مساعدة حكومة طهران وذلك حتى يكون اخضاع البحرين عن طريق الوساطة البريطانية مما

يكسب البريطانيين قوة تعينهم على تحقيق رغباتهم (١) .

على أن سياسة بريطانيا تجاه النزاع بين مسقط والبحرين لم تكن محددة تماما فبينما كان مجلس بومباى يعارض سيطرة حاكم مسقط عليها كان السير ايفان نيفيان يرى ضرورة تسليم ساحل عمان لسلطان مسقط بالاضافة الى جزر البحرين ولذا فقد تهاونت بريطانيا فى احدى محاولات سلطان مسقط لغزو الجزر واحتلالها .

اتفاقية شيراز سنة ١٨٢٢ ومبرراتها

لهذه الاتفاقية أهمية خاصة لان ايران ما زالت تستند اليها فى دعواها المطالبة بالبحرين ، وترجع ظروف هذه الاتفاقية الى احتلال بريطانيا لجزيرة قشم التابعة لايران الامر الذى أثار الشاه وفى ذلك يقول الدكتور آدميات ، حينما أدرك ساسة ايران السياسة التوسعية البريطانية بالخليج رفضوا العروض البريطانية للحلول الوسطى بخصوص البحرين فرغبت ايران أن تقوى مركزها فى الخليج بارسال حملة عسكرية الى البحرين (٢)

وقد أرسل رئيس وزراء ايران وحاكم اقليم فارس الى وزير خارجية بريطانيا معبرين عن رغبة الشاه فى ارسال قوات الى البحرين ، ولما كانت ايران لا تملك الاسطول اللازم لذلك فقد اتصلت بكل من بريطانيا وسلطان مسقط لاعداد السفن اللازمة لحمل الجنود عبر الخليج الى البحرين وقد طلب حسين على ميرزا حاكم اقليم فارس من الجنرال وليم كير خمس سفن لنقل الجنود وفقا لمعاهدة طهران الموقعة بين بريطانيا

1- Dr. F. Adamyat : The Bahrain islands P. 96
2. » » » P. 100

وايران سنة ١٨١٤ التى تنص على ان اذا طلب صاحب الجلالة الشاه المعونة من الحكومة البريطانية فى الخليج فأنها ستقدم له العون إذا كان هذا مرضياً ويمكن تنفيذه عمليا *Convenient & practical* وذلك بالسفن الحربية والقوات وتكاليف ذلك على الحكومة الايرانية ، ولما طلبت فارس تنفيذ بنود هذه الاتفاقية إعتذرت بريطانيا بأن العبارة المذكورة تفيد أن المعاهدة تعتبر سارية المفعول اذ كانت فارس هى المعتدى عليها .

أما سلطان مسقط فقد رحب بادىء الأمر بهذا الأمر من الشاه ولكنه منع من ذلك بعد تدخل السير وليم بروس المقيم البريطانى فى الخليج الأمر الذى أثار حكومة طهران ، فكان أن اتجهت فارس إلى الشيوخ العرب المقيمين على سواحلها وطلبت من الشيخ عبد الرسول شيخ بوشهر وإلى رحمن بن جبير أحد رؤساء القبائل كى تكون سفنهم على استعداد لغزو البحرين ، فأتجه السير وليم بروس إلى البحرين ومنح حاكمها ضماناً من الحكومة البريطانية لمعاونته وجمع بين حاكم البحرين وسلطان مسقط حيث تمهد الأخير بعدم التدخل فى شئون البحرين ، ثم عاد بروس فأتصل بحاكم إقليم فارس الذى تباطأ فى الاعداد للحملة كما ذكر الشيوخ المحليين على الساحل الفارسى بقضاء بريطانيا على سفنهم أثناء حملتها على القرصنة سنة ١٨١٩ ، وهكذا أثار بروس الحكومة الايرانية ضده و قدمت إحتجاجات خطيرة إلى هنرى ويللوك السفير البريطانى فى طهران على وساطة بروس بين مسقط والبحرين والتهديد بتخريب السفن الفارسية بالاضافة إلى احتلال بريطانيا لجزيرة قشم فى ديسمبر ١٨٢٠ ، وطلبت إيران انسحاب البريطانيين من قشم وسحب المقيم البريطانى السير وليم بروس .

ولما كان الكابتن بروس يرغب فى البقاء فى منصبه لأغراض شخصية تتعلق

بأشتراكه فى أعمال تجارية فى بوشهر ، فأنه أراد أن يجد حلا للمشكلات الظاهرة فى الخليج فطلب مقابلة حسين على ميرزا حاكم فارس فى أول يوليه سنة ١٨٢٢ ودخل فى مفاوضات فى مشكلات الخليج عامة والبحرين خاصة ، ولم تكن حكومة بومباى موافقة على رحلته إلى شيراز وأرسلت اليه كى يعود إلى مقر عمله فى بوشهر ولكنه كان قد وصل إلى شيراز وأتم اتفاقية فى ٣٠ أغسطس سنة ١٨٢٢ وقد أستهل الاتفاقية بالعبارة الآتية :- (لما كانت هناك أخطاء بسيطة قد وقعت وهى لا تتفق مع النيات الحسنة ولا العلاقات الطيبة بين أيران و بريطانيا العظمى و لأزالة كل سوء تفاهم بين الدولتين فأن محمد زكى خان - والكابتن بروس يدخلان فى مباحثات ودية تهدف إلى تقوية روابط الصداقة والود بين حكومة الهند وحكومة أيران) .

وينص البند الثانى على مايأتى : أن جزيرة البحرين كانت دائماً تابعة لأقليم فارس وأن حكامها العرب من بنى عتبة شقوا عصا الطاعة أخيرا ، واذا كانوا قد طلبوا من القائد العام للقوات البريطانية علماً مميزاً لهم ، واذا كانوا قد منحوا هذا العلم فلابد أن يسحب منهم ولا يقدم إلى بنى عتبة أية مساعدة بعد ذلك .

البند الثالث - أن الخسائر التى تحملها سكان لينجوا والحرج نتيجة تدمير سفنهم خطأ يعوضون عنه بسفن أخرى أو بالمال .

البند الرابع - بالنسبة لكابتن بروس المقيم فى بوشهر ، لما كانت حكومة فارس قد طلبت سحبه وإحلال غيره مفترضة أنه ارتكب أعمالا لاتتمشى مع الود المتبادل بين الدولتين .... فأن الحكومة تنصح بأعادته إلى عمله السابق وأن سمو الأمير مقتنع تماما بتفضيل إعادته عن تعيين غيره .

البند الخامس ـ بخصوص جزيرة قشم :

(أ) تأجيرها لبريطانيا لمـدة ٥ سنوات تكون فيها البحرية الفارسية قد إستعادت قوتها لحفظ الأمن فى الخليج

(ب) إذا كانت القوات البريطانية كبيرة يقلل عددها على أن تحل محلها قوات فارسية .

(جـ) أن تحتل القوات البريطانية والفارسية أية جزيرة عـلى ساحل فارس يكون مناخها معتدلا ويعينها الأمير .

(د) أن تمد البحرية البريطانيه لأمير فارس سفينة أن أرادأى ميناء أو جزيرة على ساحل الخليج أو إذا كانت هناك حملة لأعادة البحرين إلى الطاعة .

(هـ) أن تشترى فارس ماتريده من السفن والأخشاب من الهند .

وأتفقوا أخيراً على رفع هذه الاتفاقية لحكومتيها لتوقيعهـا .

وفى تعليل منح البحرين لفارس قال الكابتن بروس (أن ذلك أدعى للنظام والهدوء من بقائها تابعة للعرب) وأنهى كلامه بأنه يرجوا أن يعلم أن رحلته إلى شيراز وسلوكه فيها محل رضا حكومة بومباى) .

وقد رفضت حكومة بومباى الاتفاقيـة فوراً ولم يتم توقيعها ، وكان أهم أعتراضاتها مايأتى :—

أولا — دهشتها من أن بروس دخل فى مفاوضات واتفاقية لم تبحث من قبل أنه لم يزود بتعليمات وليست لديه السلطة المخولة لتوقيع مثل هذه الاتفاقية .

ثانيا — لايمكن أن تعترف حكومة بومباى بمثل هذه الاتفاقية التى تعتبر غير متمشية مـع التزامات بريطانيا والتى ستهوى بكرامة الحكومة البريطانيةوتقلب

سياستها رأساً على عقب بخصوص القوى فى الخليج .

ثالثا — أن الاتفاقية نسبت إلى بريطانيا بعض أخطاء وجعلتها مذنبة .

رابعا — أن البند الثانى من الاتفاقية ، كما كتب فرانسيس واردين سكرتير عام حكومة بومباى إلى جيس فاريش القـائم بأعمال السكرتير ، يعترف بسيادة فارس على البحرين وهو أمر ليس عليه أقل دليل *of proof there is not a shadow* كما أنها مخالفة لمطالب حليفنا سلطان مسقط واستقلال العتوبيين الذين تربطنا بهم معاهدة صداقة ، وهى كذلك تمنعهم من حمل العلم الذى تنص معاهدة الصلح العامة على ضرورة حمله ، كما ينص البند الثانى على تعويضات لأهالى لينجوا والخـرج والاجراء الذى كان قد اتخذ ضدهم كان ضروريا .

ورأى سكرتير عام حكومة بومباى لأزالة الآثار السيئة التى سببتها هذه الاتفاقية عدم الاعـتراف بها وشرح الأمر بالتفصيل لكل القوى فى الخليج وأخبارها أن بروس لم يخول أية سلطة كما رأى ضرورة خلع الكابتن بروس الذى زعزع ثقة كل شيوخ الخليج فى أخلاصنا واتخـاذ اجراءات واضحة حاسمة حتى لانبدوا أمامهم بأننا نلعب لعبة مزدوجة كما طالب بالجلاء عن جزيرة قشم لأنها فى موقع لايمكننا من الدفاع لو هاجمها الفرس ، وفى خطاب حكومة بومباى إلى بروس قيل له (أن مجلس الحاكم مضطر إلى عدم الاعتراف بأتفاقية شيراز ولابداء عدم الموافقة على كل الاجراءات التى اتخذت نرى من الضرورة إقالتك من منصبك كمقيم فى بوشهر) كما قيل لحسين على مرزا (أن بروس تخطى سلطـانه للدخول فى مفاوضات مع فارس وأن اتفاقية شيراز من تصرفه الشخصى *of his own act* ولذا لانوافـق عليها ونرجوا اعتبارها كأن لم تكتب وأن بريطـانيا لاتريد أن تتدخل فى الخليج لأكثر من منع القرصنة كما لاتريد أن تحتل البحرين ، وقـد إنسحبت بريطانيا من قشم ، كما كتب الحاكم العام للهند إلى شيخ البحرين يخبره بعدم الاعتراف بهذه الاتفاقية قائلا (أنى واثق أنك لن تسمح بأدنى شك يخالجك

بسبب هـــذه الاتفاقية التى لم يخـــول صاحبها توقيعهـــا ، وللخطا التمس الذى وقع فيه الكابتن بروس unfortunate mistake ، وأن المقيم العام الذى سيحل محل بروس مزود بتعليمات ليؤكد الصداقة القائمة بين الحكومة البريطانية والشيخ .

وتحاول وجهة النظر الايرانية الاستناد الى هذه الاتفاقية التى لم تر النـور مدعية أن بريطانيا رفضتها لأن بروس لم يكن مخولا لسلطة توقيعها وأن هذا لايدل على أن بريطانيا تنكر ما ورد فيها من حقائق ، بالرغم من أن بريطانيا قد رفضت الاتفاقية بكل وسائل الرفض المشروعة بل أنها رفضت ماتمنحها هذه الاتفاقية من حقوق كاحتلالهـا قشم لمدة ٥ سنوات ، وقد أبانت بريطانيا فى غير ابهـام أن من مبررات رفضها ماتمنحه هذه الاتفـاقية لايران من حقوق فى البحرين ، وأن الكابتن بروس كان سيء الاطلاع على حقيقة العلاقات بين ايران والبحرين وأنه كان على جهل بنوع العلاقة التى كانت قائمة بين البحرين وايران فى عهـــود التاريخ المختلفة (١) .

ومما يدعوا الى الدهشة أن هذه الاتفاقية التى تعطى لايران كسباً كبيراً قد رفضتها حكومة الشاه أيضاً (أن أمـــير شيراز لم تـكن له السلطة المخولة لعقد الاتفاقية من ناحية ولأن هـذه الاتفاقية قد أعطت للبريطانيين حـق الاقامة فى قشم مدة ٥ سنوات مع أن قشم كانت تحت إدارة سلطان مسقط (٢).

وهكذا لايصبح هناك مايبرر التمسك بأتفاقية لم يوقعها الطـرفان معا لاسيما

١) مجيد خدورى : البحرين وايران ص ٢٤ .

٢) تقلت بريطانيا حاميتها الى قشم و لم تستأذن فارس لان الجزيرة كانت تحت ادارة سلطان مسقط سنة ١٧٩٦ بتفويض من الشاه وقد استأذنت سلطان مسقط ثم سلمتها اليه على أثر رفض اتفاقية شيراز .

أنه منصوص فى هذه الاتفاقية أنها نافذة المفعول بعد توقيـــع حكومتيها وقد رفضتها الحكومتان .

أما الدافع الحقيقى لتهاون الكابتن بروس فى مسألة البحرين وتسليمه للايرانيين بحقوق فى البحرين لايملك هو ولا حكومته التحدث بأسمها ولا التنازل عنها ، فقد كان الرغبة الملحة فى إرضاء الحكومة الايرانية بأية وسيلة من الوسائـل حتى يظل فى منصبه بعد أن كانت قد طلبت سحبه وتغييره بمقيم آخـــر ، اليس من العجيب ان ينص فى اتفاقية بين دولتين أن أحد الطرفين قد سحب طلبه بخصوص طلب اقالة موظف هو المتفـاوض نفسه ؟ او ليس غريباً كذلك ان ينسب مسئول الى وطنـه فى اتفاقية عامة ان أخطاء قد وقعت وأرتكبت من دولته ويعتذر عنها ألا أن تكون وثيقة هزيمة او استسلام ؟

تعتبر اتفاقية شيراز سنة ١٨٢٢ بداية جديدة لمحاولة ايران الاستيلاء عـلى البحرين عن طريق طلب الاعتراف من بريطانيا ، هذه المحاولات التى استمرت بعد ذلك ولازالت مستمرة الى الآن فلم تعد البحرين من وجهة نظر ايران نزاعا بـين العرب والفرس ومدى احقية اى منها فى السيطرة عليها ، بل أصبحت نزاعـا بين ايران وبريطانيا كما لو كان لبريطانيا حق التحدث باسم البحرين وشعبها وأصبحت اقصى امانى فارس بخصوص البحرين أن تحصل على اعتراف من بريطانيا بأحقيتها فيها ، وبذلك تكون ايران قد ارتكبت خطأين : الاول محاولتها الاستيلاء عـلى البحرين الذى أدى الى ارتماء الأخيرة فى احضان بريطانيا طلباً للحماية و الثانى هو اعتبار مسألة البحرين مسألة نزاع بين بريطانيا وايران ، والكتاب الذى يعرض وجهة النظر الايرانية بخصوص دعواها فى البحرين اسمه « جـــزر البحرين بحث سياسى ودبلوماسى فى حقيقة النزاع البريطانى الايراني حول البحرين »

وإذا كان اتجاه ايران الى بريطانيا لطلب اعترافها بسيادتها على جزر البحرين يعبر عن خطأ من حيث أن ليس لبريطانيا حق التحدث باسم البحرين خصوصا فى سنة ١٨٢٢ ، حيث لم تكن البحرين قد فقدت استقلالها بعد على عكس ذلك فأن معاهدة الصلح العامة تتضمن اعترافا بهذا الاستقلال فان ايران بذلك لم تستطع أن تخفى نواياها الاستعماريه حينما وضعت نفسها فى نفس وضع بريطانيا واتخذ الصراع حول البحرين وضع تنازع بين دولتين استعماريتين حول اقليم ما .

وهكذا تجاهلت ايران منذ ان اتجهت الى بريطانيا تجاهلت العرب تماما بقدر ما تجاهلت سكان البلاد الاصليين و رغباتهم و امانيهم وأصبحت وسيلتها فى بسط سيادتها على البحرين أما الحصول على اعتراف من بريطانيا واما السعى لاحتلال الجزيرة بالقوة .

ولما فشلت ايران فى الحصول على موافقة بريطانيا على غزو جزر البحرين لجأت للمرة الاخيرة الى التفكير فى احتلالها بالقوة وتجمع الجنود الايرانيون فى الموانى الفارسية فى أواخر سنة ١٨٢٢ ولكن ايران اصطدمت بالعقبة الرئيسية الدائمة وهى كيفية نقل الجنود الى البحرين لعدم وجود سفن تجارية وحربية كبيرة تابعة لحكومة الشاه .

أما السيد سعيد سلطان مسقط فانه قام بحملة بحرية لغزو البحرين ولما استنجد حاكم البحرين بالمقيم البريطانى لتطبيق معاهدة سنة ١٨٢٠ رفضت بريطانيا التدخل بدعوى أن هذه حرب رسمية بين دولتين وليست عملا من أعمال القرصنة ، ويعتبر هذا الموقف من بريطانيا مثاراً للدهشة ، لأنها سبق أن تدخلت من قبل حينما اتفقت فارس مع سلطان مسقط على احتلالها واقتسام

ايراداتها فضغطت على حاكم مسقط لاحترام استقلال البحرين الامر الذى أدى الى فشل الحملة وأثارة الفرقة ولكن يبدو أن بريطانيا كانت مقتنعة بضم البحرين الى سلطان مسقط حليفهم الذى استطاع غزو البحرين و اتخاذ الشيخ محمد شقيق الحاكم الشيخ سلمان رهينة ، فكان أن لجأ الخليفة الى الوهابيين أعداء سلطان مسقط لنجدتهم وقداستطاع الوهابيون استرداد البحرين ولكنهم رفضوا تسليمها لآل الخليفة فلما توجه وفد من آل الخليفة الى الدرعية لشكوى قائد جيش الوهابيين حجزهم سعود بن عبد العزيز ولكن الشيخ عبد الرحمن بن راشد آل فاضل بن أخت حاكم البحرين استطاع أن يتجه اليها ويخرج والى ، الوهابيين ، وهكذا عاد آل الخليفة الى البحرين بعد أن هادنوا سلطان مسقط وقبلوا دفع الجزيه له على أن يتخلى عن المطالبة بحكم البحرين و كان مقدار الجزية ٣٠ الف كرونة (الكرونة حوالى ١/٤ جنيه استرلينى) ولما رفضت بريطانيا الدخول فى هذا الاتفاق كطرف ثالث ضمانا لدفع المبلغ المتفق عليه أستغل مشايخ البحرين رفض بريطانيا بانقاص المبلغ الى ١٨ الف كرونة .

على أن السيد سعيد ظل طول حياته لا يقبل أقل من امتلاك جزر البحرين أغنى مناطق الخليج ، لذا أعد حملة بحرية أخرى فى نوفمبر ١٨٢٨ وفى جميع هذه الحملات كان يعاونه أكبر قراصنة العرب رحمه بن جابر الجلاهمة الذى كان لا يكف عن مهاجمة سفن البحرين التجارية وسفن الغوص و قطع الطريق براً وبحراً على سكان البحرين و إلحاق أشد الاضرار بآل خليفة حلفاء أبيه من قبل الذين استأثروا بالحكم دونه ، ولما فشلت حملة السيد سعيد سلطان مسقط لم يكف عن الدس للتخلص من آل الخليفة ، وتأييد كل المعارضين لحكمهم حتى آخر حياته و قد ظل حاكما مدة نصف قرن ، ولاشك أن هذا التصرف

من سلطان مسقط كان من عوامل استنجاد آل الخليفة بدولة كبرى تحميهم فاستنجدوا ببريطانيا كما استنجدوا فى ظروف مماثلة بكل من فارس والوهابيين .

ولما أدركت بريطانيا عدم مقدرة السيد سعيد على غزو البحرين والاستقرار فيها بدل آل خليفة ، ولما كان استمرار حملات مسقط على البحرين سيؤدى إلى إستنجاد آل الخليفة بقوة ـ أن لم تكن معادية فهى على الأقل غير معروفة النوايا ، فقد وجهت حكومة بومباى تأنيباً لسلطان مسقط قائلة « أن القيام بأى حركة عسكرية من شأنه أن يعيد الاضطرابات إلى منطقة الخليج » وبدأت بريطانيا تسلم بالوضع الراهن و إحترام الوضع القائم فى البحرين من ناحية الابقاء على حكم آل خليفة مع معارضتها الشديدة لتدخل أى دولة أخرى فى شئون البحرين أو إستنجاد آل الخليفة بأية دولة أخرى غير بريطانيا .

أثر الحملة المصرية على الوهابيين على وضع البحرين السياسى :

أجلت بريطانيا حملتها العسكرية البحرية على الجواسم الذين كانوا يستندون إلى تأييد ومناصرة الوهابيين حتى يتلقى هؤلاء الضربات القاسمة من الجيش المصرى ، فيسهل على البريطانيين تحطيم قوة الجواسم البحرية بعد أن تكون الحملة المصرية قد قضت على جذورهم فى داخل شبه الجزيرة العربية ، ولقد كانت الحملة المصرية من العوامل التى ساعدت بريطانيا بالفعل فى القضاء على الجواسم فى سنة ١٨١٩ وكانت السلطات البريطانية فى الهند على إستعداد للتعاون مع ابراهيم باشا فى شأن ايجاد سلطة منظمة على ساحل عمان تحت إدارة مصرية ، غير أن محمد على قد شغل بحروب أخرى عن هذه المناطق البعيدة ، وحينما بدأ محمد على يهتم بمناطق ساحل الخليج فى حملته الثانية سنة ١٨٣٤

كانت معاهدة الصلح العامة قد وقعت و كانت بريطانيا قد أصبحت القوة البحرية الوحيدة دون منافس بل أصبح لها الكلمة العليا فى شئون الخليج ، كما أصبح بقاء الحكام المحليين فى مناصبهم رهناً بمشيئتها ، وعلى ذلك فلا يعقل أن تقبل بريطانيا ظهور قوة جديدة تنافسها فى الخليج وتطل عليه من ساحل الاحساء ، وقد اتخذ خورشيد من ميناء القطيف مركزاً للاتصال بالامارات العربية محاولا اغراءها بالانطواء تحت سيادة محمد على ، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة البريطانيين الشديدة ذلك أنها ستمكن قوة مصر من السيطرة على الخطين الملاحيين اللذين يصلان الهند بأوربا ـ خط البحر الأحمر وخط الخليج العربى ـ وقد تنبه الى هذا بالمرستون المعروف بسياسته العدائية لمحمد على وتوسعاته ، لذا احتج رسمياً على مناورات خورشيد باشا فى الخليج سنة ١٨٣٨ ، و لما أدركت حكومة الهند هذا الخطأ أرسلت قوة بحرية على رأسها السير ميتلاند القائد العام لأساطيل بريطانيا فى الشرق مزوداً بتعليمات مشددة باستخدام القوة ضد القائد المصرى خورشيد باشا إذا امتنع عن الأخذ بوجهة النظر البريطانية وباتخاذ البحرين قاعدة حربية و اعلان بريطانيا حمايتها عليها .

أما البحرين فقد كانت تحت حكم الشيخ عبد الله ، ولكن عهده قد تميز بالفتن والثورات وخروج بعض افراد أسرته عليه طمعاً فى الحكم ، فلما استمان بريطانيا لم تكن هذه راغبة فى تكليف نفسها بمسئولية ضمان حاكم تهدده اخطار داخلية من المنافسات العائلية وخارجية من السيد سعيد سلطان مسقط حليفهم ، و كان فى حماية الشيخ عبد الله اذا تم ذلك إغضابا لحليفهم سلطان مسقط بالاضافة الى أن سكان البحرين لم يكونوا يشاركون فى اعمال القرصنة

حتى تنطبق عليهم نصوص معاهدة الصلح العامة ١٨٢٠ واتصل الشيخ عبد الله بفارس وأعلن ولائه وخضوعه التام لها ، ولهذا الاتصال أهمية خاصة لأنه من حجج ايران فى المطالبة بالبحرين إعتراف الشيخ عبد الله بحقوق ايران فى البحرين ولكن منافسيه كانوا قد سبقوه فى طلب المساعدة من ايران ، وبدأت بالفعل فى المساعدة حينئذ لم يلق الشيخ عبد الله من قوة تسنده إلا الالتجاء إلى خورشيد باشا فى مايو سنة ١٩٣٩ طالباً النجدة والمساعدة مقابل دفع جزية سنوية قدرها ١٠٠٠ كرونة وخضوعه لسيطرة مصر ، حينئذ سارع المقيم العام بزيارة البحرين فى ٢٨ يوليو على باخرة حربية لتهديد الشيخ عبد الله وفعلا أعلن الشيخ لخورسيد باشا تراجعه عن الاتفاق السابق لوقوعه تحت تهديد القوة كما أعلن اعتذاره الى بريطانيا لأن الاتفاق تم قبل زيارة سير ميتلاند ، وأنه تعهد كتابة بالتراجع عن اتفاقه مع مصر بشرط أن تقبل بريطانيا ضمان حكومته وقد أوصى المقيم البريطانى هينيل بقبول مبدأ الحماية فى نهاية تقريره كما وعد به حاكم البحرين ، كما ذكر فى تقريره هذا الى بومباى أن تصرفات شيخ البحرين كان منشأها الرغبة فى مسالمة أية دولة قوية تطمع فى غزو البحرين .

و انتهى النفوذ المصرى بمعاهدة لندن سنة ١٨٤٠ التى جعلت قوة محمد على تتقلص وتنكمش فى مصر ، وقد تركت هذه الحملة الآثار الآتية بالنسبة إلى البحرين :

١) لفت نظر بريطانيا إلى أهمية البحرين كقاعدة بحرية للاسطول البريطانى لموقعها فى قلب الخليج حتى لاتكون السيطرة البريطانية مهددة بأية قوة أخرى .

٢) تغيرت سياسة بريطانيا تجاه البحرين فبعد أن كانت ترفض حماية حاكمها

من أعدائه فى الداخل أو الخارج أصبحت تجد ذلك ضرورة حتى لايضطر إلى الاستنجاد بدولة غير بريطانيا كمصر أو ايران .

٣) تعرض البحرين للمحاولات الدائمة للغزو من سلطان مسقط والوهابيين والفرس بالاضافة إلى الاعتداءات المتكررة على السفن والتجارة وحركة الغوص من الجلاهمة ، هذا الى النزاع المتكرر بين أفراد أسرة الخليفة طمعاً فى السلطة ، كل هذه الظروف توضح وضع الحاكم فى البحرين وهو فى أشد اللهفة الى أية قوة تحميه وتبقيه فى الحكم مقابل التنازل عن أية امتيازات أو إعلان الولاء أو حتى التبعية .

نحو الحماية البريطانية على البحرين : من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٨٦٠

تعرضت فارس لهزيمة شديدة على أيدى الروس سنة ١٨٢٨ واقتطعت منها كثيراً من الأقاليم الشمالية وبدأ الشاه فتح على يحسن سياسته بالروس فأوعزوا اليه بالاستيلاء على اقليم هرات الموصل الى الهند ، ولما كان هذا التصرف يهدد مصالح بريطانيا فأنها أسرعت بالضغط على فارس لاحتلال جزيرة الخرج فى يونيو سنة ١٨٣٨ فأضطرت فارس الى الجلاء عن هرات .

بدأت الحكومة المركزية تشير على حاكم اقليم فارس بالاهتمام بتقوية الاسطول الذى تملكه القبائل على الساحل الفارسى والتى تخضع لحاكم بوشهر ، غير أن بريطانيا لم تنظر الى هذا الاجراء بعين الرضا ، فأرسل الكولونيل روبرتسون فى يونيو سنة ١٨٤٢ ينبه حكومة بومباى الى الاشاعات عن الاسطول الفارسى واحتمال غزوه للكويت والبحرين ، وأرسلت حكومة بومباى

الى حاكم عام الهند الذى أرسل فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٤٢ الى الكولونيل روبرتسون يخبره بأنه إذا قامت الحكومة الفارسية بارسال سفن مسلحة تحمل جنوداً فيجب مراقبة هذه السفن وتتبعها ، و أن أدنى محاولة لاحتلال أى اقليم لأى من الشيوخ العرب الذين تربطهم بالحكومة البريطانية رابطة تحالف فيجب منع هذه السفن من ذلك ومقاومتها بالقوة إن لزم الأمر .

وهكذا لم يكن فى الامكان احداث أى تغيير فى الوضع المتعلق بأى اقليم يطل على الخليج دون رضا بريطانيا ومشيئتها ، و تحطمت المحاولة الفارسية على صخرة المعارضة البريطانية .

ومن جهة أخرى اشتد النزاع بين الشيخ محمد وعمه الشيخ عبد الله ، و بمعونة المقيم البريطانى فى الخليج وكذلك بعض القبائل العربية طرد الشيخ محمد عمه الشيخ عبد الله سنة ١٨٤٣ الذى لجأ الى الحكومة الايرانية طالباً حمايته ، وطلب العون من كل من الحكومة الايرانية ومن شيخ الشارجة وعرض على الحكومة الايرانية دفع الجزية السنوية لها بانتظام أن عاونته فى العودة الى حكم البحرين مع إبقاء ابنه رهينة ، أما شيخ الشارجة فقد عرض الأمر على المقيم البريطانى الذى إعتبر التجاءه الى فارس عملا يستحق عليه العقوبة وعدم إمداده بالعون .

ولما كان المقيم البريطانى يدرك الخطورة المترتبة على مساعدة الحكومة الايرانية للشيخ عبد الله فأنه أوعز الى السفير البريطانى فى طهران أن يستخدم نفوذه لدى الشاه حتى لايؤدى الموقف الى اصطدام بين الحكومتين .

ونظراً لخطورة الموقف فأن السفير البريطانى لدى بلاط الشاه أرسل الى وزارة الخارجية البريطانية يستشيرها فيما يترتب لو أن فارس قدمت معونتها

للحاكم المعزول . أما المقيم البريطانى فى بوشهر فأنه أرسل يستشير حكومة بومباى التى أستفسرت من اللجنة السرية بشركة الهند الشرقية عن موضوع البحرين وصلته بالعلاقة بين فارس وبريطانيا .

ولما كانت حكومة الهند تلمس أمور الخليج أكثر من وزارة الخارجية البريطانية فى لندن فأن الأخيرة أرسلت تستشير الحاكم العام للهند عن الأسس التى أقام عليها انذاره فى ١٣ أغسطس سنة ١٨٤٢ ، لأن اتخاذ اجراءات فى مثل هذه الخطورة لابد أن تدعو اليها الضرورة ، أما الحاكم العام للهند فقد رد على سؤال وزارة الخارجية البريطانية بأن احتلال فارس للبحرين أمر يتعارض مع المصالح البريطانية فى الخليج .

وقد ردت وزارة الخارجية البريطانية على السفير البريطانى لدى بلاط الشاه فى مايو سنة ١٨٤٤ بأن تدخل الحكومة الايرانية فى النزاع بين شيوخ البحرين ومعارضة حكومة الهند ، كل ذلك يستند الى مدى أحقية فارس فى السيادة على البحرين ، وأن على فارس أن تظهر حقها الواضح الذى لايقبل المناقشة فى السيادة على البحرين أثناء حكم أسرة قاجار بحيث يخول لها الأمر أن تسند حقوقها المشروعة ولا يكون مجرد تأكيد لرغبة لاتستند إلى أساس من الواقع ، وإلا فعليها أن تلقى المعارضة الفعالة من الحكومه البريطانية فى الهند ، وقد أبدى الوزير البريطانى معارضة وزارة الخارجية فى الحملة الايرانية الا اذا كان حق ايران فى التدخل فوق كل جدل ، فأبدت الحكومة الايرانية استعدادها لبحث الموضوع كما صرحت بأنها لن ترسل حملة عسكرية لاحتلال البحرين قبل أن تخبر بريطانيا بعزمها على ذلك ، ويبرر آدميات هذا الموقف

لرئيس وزراء ايران بضعفها بالنسبة لدولة بحرية عظمى كبريطانيا فى منتصف القرن ١٩ وهو أمر متفق عليه أن بريطانيا منعت فارس من احتلال البحرين لأن مصالحها الخاصة تقتضى أن تسيطر هى على البحرين وأن تتعامل مع الشيوخ المحليين ، على أن موقف بريطانيا الاستعمارى من الحكومة الفارسية لا يعنى بالمرة أن لفارس حقاً مغتصباً فى السيطرة على البحرين ، وانما كان ضعف حجة ايران فى تبرير رغبتها فى السيطرة على البحرين من عوامل موقف بريطانيا الصلب منها فى هذا الشأن .

وبدأت ايران فى ٤ فبراير و ١٥ مارس سنة ١٨٤٥ توضح موقفها مستندة ال اتفاقية شيراز فكان أن رفضت بريطانيا الاستناد الى هذه الاتفاقية لأنها ملغاة ، وعلى ذلك لا تكون مقيدة لأى من الطرفين ، أما المذكرة الايرانية فأنها تذكر ما يأتى :

(١) أن عواطف كل الحكومات من أقصاها الى أدناها تتفق مع فارس أن الخليج الفارسى من شط العربى الى مسقط وأن كل الجزر فيه بلا استثناء أو مشاركة من أية حكومة أخرى تنتسب الى فارس كما هو مسمى باللغة الأنجليزية بالخليج الفارسى .

(٢) أنه فى عهد الأسرة الصفوية وعهد نادر شاه وخلفائه كما فى عهد أسرة الزند والأغا محمد قاجار كانت البحرين مملوكة لحاكم اقليم فارس الذى كان يستلم ايراداتها ، وأنه منذ ٥٠ سنة كان الشيخ نصر شيخ بوشير حاكم الجزيرة .

(٣) طبقاً للكتب الجغرافية الأوربية والتركية ، وكذلك كتب الرحالة الأوربيين ومن بينهم شاردن الذى كتب من ٨٠ سنة كانت البحرين تكون

جزءا مكملا لفارس .

(٤) من الثابت أنه حينما أراد محمد على باشا حاكم مصر غزو البحرين بحراً أعلنه قنصل الأسكندرية رسمياً وهذه هى روح العدل ، أن البحرين لا تكون جزءا من شبه الجزيرة العربية ولكن من الخليج الفارسى ، وأنه وفقاً لذلك فأن الحكومة البريطانية لن تسمح له أن تمتد يده لامتلاك هذه الجزيرة ، وأنه إذا كانت الجزيرة فى ضوء هذه البراهين الصحيحة ليست مرتبطة بشبه الجزيرة العربية فمن الواضح أنها مرتبطة بفارس .

(٥) أن السلطات البريطانية فى الحاضر كما فى الماضى كررت الطلب من وزراء فارس بتأجير الجزيرة لهم دون موافقة ، فأذا لم تكن الجزيرة معتبرة أنها تابعة لفارس لماذا طلبوا منها أن تؤجرها لهم .

(٦) أن معاهدة شيراز تسلم بالسيادة الفارسية على البحرين .

وأبدت الحكومة الفارسية أنها ستستمر فى الاهتمام بشئون البحرين ، وأن ضعفها لن يمنعها من أن تعلن سيادتها على الجزيرة ، وبالاضافة الى هذه الدعوى قدم الشاه الى السفير البريطانى فى طهران عملة ذهبية ضربت فى البحرين وتاريخها البحرين سنة ١٢٣٣ هجرية (١٨١٧)م باسم فاتح على شاة قاجار ، غير أن السفير البريطانى بعد أن تحقق منها أكد أنه يمكن الحصول عليها من بوشهر من أحد السكرتيرين الفارسيين للبعثة الروسية بأمر الكونت نيدن نديم السفير الروسى فى طهران أما وزارة الخارجية البريطانية فقد سلمت بأن ايران مارست سيادتها على الجزيرة فى عهد الأسرة الصوفية ونادر شاه وأسرة الزند ، ولكنها شكت أن الجزيرة كانت تكون جزءا من أملاك فارس منذ اعتلاء الأسرة القاجارية و من المحتمل أن حكام

البحرين كانوا يدفعون الضريبة كمظهر للخضوع وأن بعضهم قد اعترف برعويته للشاه حينما كان مهدداً باستبداد بغداد ولكن وزير الخارجية البريطانية يؤكد ان فارس لم تمارس أية ادارة فعلية فى الخمسين سنة أو الستين الاخيرة .

أما اللجنة السرية للشئون الخارجية فى حكومة الهند فقد تولت الرد فى ٣١ يوليو سنة ١٨٤٥ بما يأتى :

(١) أن الحكومة البريطانية قد تعاملت مع شيوخ البحرين كسلطات مستقلة واعتبرت الجزيرة لاتنتسب لفارس حينما سلمت جزيرة الخرج التى هى بلا شك تابعة لفارس ، وأنه حينما أراد محمد على امتلاكها منعته السلطات البريطانية دون أدنى اشارة لفارس ، وأن سلطان مسقط قد كرر المطالبة بها وقد دفعت له البحرين الضريبة مدة سنوات وأن محاولة ايجاد دعوى بسبب تسميته بالخليج الفارسى ليست من المنطق أكثر منها فى مطالبة العرب بكل الجزر فى البحر الأحمر لأن اسمه بحر العرب وهى دعوى لايجرؤ أحد أن يقول بها .

(٢) كانت البحرين تابعة لاقليم فارس حينما كان الفرس يزاولون الملكية الحقيقية للجزيرة ولكن حسب مايقول به الكابتن تيللور فى رسالة لحكومة بومباى فى ٢٩ فبراير سنة ١٨٤٠ فأن الفرس كانوا حكام الجزيرة من سنة ٦١٥ الى سنة ٧٢٣ ومن أول القرن السادس عشر حتى سنة ١٧٧٩ حينما غزاها العتوبيون وكانوا يدفعون لفارس ضريبة تافهة قطعوها .

(٣) فى أثناء الفترة المعترف بأن الفرس كانوا يملكون البحرين خلالها فأنه من الطبيعى أن يذكر الرحالة أن الجزيرة مملوكة للفرس .

(٤) أن الحكومة البريطانية عارضت أن تجعل محمد على يمتلك أى جزء على الساحل العربى للخليج خصوصاً البحرين ، وأن تعليمات اللجنة السرية للشئون الخارجية لحكومة الهند كانت احتلال الجزيرة كأجراء وقائى بواسطة القوات البريطانية أو سلطان مسقط ، وأن دعوى فارس على الجزيرة لم يشر اليه اطلاقا .

(٥) لايوجد أى أثر فى السجلات يشير الى الادعاء أن السلطات البريطانية قد طلبت من فارس استئجار جزيرة البحرين .

(٦) أن معاهدة شيراز التى عقدها الكابتن بروس لم يعترف بها من الحكومة البريطانية فلا تعتبر صحيحة وعزل الكابتن بروس من منصبه بسبب ذلك.

وقررت بعد ذلك أنها لن تعود الى هذا الموضوع أو تدخل فى مناقشة عقيمة لن تسبب الا التوتر والشكوى ، وطلبت من السفير البريطانى ألا يثير هذا الموضوع إلا اذا اكره عليه من حاجى ميرزا غازى ، وفى هذه الحالة عليه أن يستعين بالمذكرة الهندية لتوضيح أن الحكومة البريطانية ليست على استعداد للاعتراف بصحة الدعوى المقدمة من فارس وأنها بذلك ستعكر سلام الخليج وتفتح الطريق أمام القرصنة .

والواقع أن مذكرة ايران تثير الدهشة حقاً ، كما أنها تدل على الاطماع المبيته ليس فقط فى البحرين بل من شط العرب إلى مسقط ، وليس من المعروف هل ترغب ايران فى الوقت الحاضر فى ضم هذه المنطقة أيضا أم أنها تنازلت عن هذه الرغبة وما مبررات هذا التنازل إذا كانت تزعم أن لها حقاً فيها ؟

ثم تزعم ايران أن لها حق ملكية الخليج كله بما فيه من جزر لأن اسمه

الخليج الفارسى الأمر الذى يتعارض مع أبسط بديهيات القانون الدولى حيث أن مياه البحار ليست مملوكة لدولة اللهم إلا حق الدولة فى المياه الاقليمية وهو ليس حق ملكية وانما حق تكتسبه الدولة لمجرد الدفاع عن أراضيها .

هذا بالاضافة الى استنادها فى دعواها الى اتفاقية ملغاة وزعمها أن الجزيره كانت مؤجرة من فارس الى بريطانيا(١) .

وقد ورد فى المذكرة البريطانية أن البحرين كانت خاضعة للفرس قبل الاسلام بينما الواقع أن تبعية البحرين لم تكن للفرس مباشره و إنما لملوك الحيره الذين كانوا يتمتعون باستقلال ذاتى عن الدولة الساسانية .

ومن الغريب فى الأمر أن الحكومة الايرانية فسرت رغبة بريطانيا فى السكوت ودفن الموضوع على أنه دليل على الاعتراف بحق فارس فى السياده على البحرين الأمر الذى يدل على مدى ما كانت تعلقه فارس من أهمية على اعتراف بريطانيا بسيادتها على البحرين .

البحرين فى عهد الشيخ محمد بن خليفة (١٨٤٢ — ١٨٦٧)

وبينما كانت الأمور تسير على هذا النحو من الصراع بين بريطانيا وايران وبينما كان الحاح ايران لضم البحرين يدفع بريطانيا دفعاً الى اتخاذ خطوات أكثر ايجابية نحو الاستيلاء على البحرين وإعلان الحماية عليها كانت الأمور داخل الجزر تعجل بهذه النهاية .

تولى محمد بن خليفة الحكم بعد أن اختلف مع عم أبيه عبد الله بن احمد الذى فر مع أسرته الى الدمام ليتأهب للعوده الى غزو البحرين ويستعدى القبائل

الأخرى فى قطر والاحساء حيث كانت تربطه بقبيلة آل بنى على فى قطر صلة نسب وقرابة كما كان الوهابيون يتحينون الفرص لغزو البحرين ، واتحدت قوة القبائل فى قطر مع قوة الوهابيين فى الاحساء وتجمعوا لأسترداد البحرين وبالرغم من أنهم فشلو عده مرات إلا أن ذلك لم يثبط من عزيمتهم ، وتكرر هجوم القبائل الأمر الذى أتاح الفرصة للانجليز للتدخل .

وحينما عجزت هذه القبائل عن نصرة الشيخ عبد الله اتصل بفارس وأعلن استعداده لأن يترك ابنه رهينة وأن يوقع على بياض على كل الشروط التى تفرضها عليه الحكومة الفارسية .

وفى أوائل سنة ١٨٤٧ سرت اشاعات ان الشيخ عبد الله سيهاجم الجزيرة فاتصل الشيخ محمد بالمقيم البريطانى فى الخليج الميجر هنيل طالباً المساعدة ضد عمه الذى اقام مع اتباعه فى جزيرة *kenn* كن الفارسية فأكد له المقيم بأنه لن يسمح بأية اجراءات عدوانية ضد البحرين ، ونصح الشيخ محمد ألا يقوم بأجراء عدائى ضد كن حتى لا يثير فارس ، فشكت الاخيرة من تصرفات المقيم لوزير الخارجية وطلبت منه أن يرسل الى المقيم البريطاني ألا يتدخل فى شئون البحرين .

ولكن بريطانيا تجاهلت مذكرة رئيس وزراء ايران ولم ترسل الرد إلا بعد ثلاث سنوات لعدم اعتراف بريطانيا بأى حق لأيران فى السيادة على البحرين فرد رئيس وزراء إيران معبراً عن دهشته من تصرفات ادارة الخارجية البريطانية وأن ذاكرة وزير الخارجية لابد أن تكون قد خانته بشأن ايران والبحرين ، وأن قليلا من التفكير سيقنعه بصحة دعواه وأثار رئيس وزراء ايران مسألة تتعلق

بسكان البحرين باعتبار أغلبهم مؤيدين لدعوى ايران لأنهم من الشيعة قائلة أن ثلثى الشعب يعادى العتوبيين وأن سكان البحرين وفق تقرير السلطات البريطانية ستين الف نسمة منهم من ١٨ الف الى ٢٠ الف من العرب ومن ٤٠ الف الى ٤٥ الف من الفرس ومن سلالة السكان الأصليين للبحرين و أنهم من المزارعين والمشتغلين بالأعمال التجارية وأنهم أكثر ثراء وينتسبون الى القومية الفارسية وعادات الفرس ويعادون حكم العتوبيين .

وتعقيباً على مذكرة رئيس وزراء ايران الذى لم يشر الى مصدر هذا التقرير وتاريخ صدوره بخصوص إحصاء سكان البحرين وجنسياتهم ومدى تأييدهم للحكومة القائمة ، نقول أن ماذكره رئيس وزراء ايران بعيد كل البعد عن الصحة لأن احصاء أو مايشبه احصاء لم يجر فى تاريخ البحرين قبل سنة ١٩٤١ ، أما ماذكره عن مدى تأييد سكان البحرين لحكم العتوبيين فيبدوا أنه اعتبر كل شيعة البحرين معارضين لحكم العتوبيين مؤيدين للحكم الفارسى حتى ماذكره عن عددهم ونسبتهم الى جميع السكان مبالغ فيه الى أقصى حد ولا يستند ما قاله عن السكان الى أى اساس علمى صحيح .

وأصبح بالمرستون وزيراً للخارجية البريطانية وأعلن ان الحكومة البريطانية لاتعترف بصحة دعوى ايران حول سيادتها على البحرين ، وطلب الى ممثل بريطانيا لدى البلاط الايرانى أن يطلب من الحكومة الفارسية منع العدوان المزمع على البحرين او تأييدها احد الطرفين المتنازعين وحذرها مغبة ذلك وأعلن ان الأسطول البريطانى فى المحيط الهندى سيتدخل لأعلان حمايته إذا دعا الأمر وطلب من حكومة الهند أن ترسل تعليماتها بخصوص ذلك الى السفن الحربية فى الخليج الفارسى .

وتدعى المصادر الفارسية أنها أبلغت القنصل الايرانى فى بغداد ان يتصل بالشيخ عبد الله و يمده بمساعدة حربية وتأييد من الشاه ، و لكن الشيخ عبد الله توفى سنة ١٨٤٨ وبموته انتهى هذا الفصل من العلاقات بين بريطانيا وايران بشأن البحرين .

وقد نجم عن تدخل ايران وإصرارها على السيطرة على البحرين أن وقع الشيخ محمد حاكم البحرين مع الحكومة البريطانية فى الهند معاهدة تحالف ، هذه المعاهدة التى قصد منها حماية البحرين من تدخل ايران .

وقد حاولت فارس أن تغير سياستها تجاه البحرين ، هذه السياسة الحمقاء التى لم تودى الا الى زيادة أحكام السيطرة البريطانية على البحرين وربطها باتفاقيات ومعاهدات ، حاولت أن تغيير سياستها فى عهد رئيس وزرائها أمير كبير أو أمير نظام وأن تكون علاقتها فيما يختص بالبحرين الاتصال بحاكمها مباشرة بدل التفاوض مع بريطانيا ، هذا الحاكم الذى تجاهلته الحكومة الايرانية فى كل مفاوضاتها مع بريطانيا بخصوص البحرين كما حاولت أن تقوى نفوذها فى الخليج وأن تدعم سيطرتها على القبائل العربية على الساحل الفارسى ببناء أسطول لها إذ لم يكن لها اسطول منذ عهد نادر شاه ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل بسبب المكائد والدسائس فى البلاط الفارسى وعزل أمير كبير ثم أغتيل سنة ١٨٥٢ وساءت العلاقات بين بريطانيا وإيران حتى قامت الحرب بينهما سنة ١٨٥٦ .

البحرين و الدولة العثمانية

لم تكن فارس هى الدولة الوحيدة التى استنجد بها الشيخ عبد الله بن سلمان

ضد ابن اخيه الشيخ محمد بن خليفه بعد طرده من البحرين سنة ١٨٤٣ إذ أنه حينما أحس بضعف فارس عن مساندته تحول عن حكومة الشاه إلى إحدى الجزائر النائية فى جنوب الخليج وهى جزيرة قيس ، و أخذ يغرى الرؤساء العرب المقيمين على ساحل كرمان بمد يد المساعدة له وجمع قوة بحرية للهجوم على البحرين ، ولما أحس محمد بن خليفة بخطورة الموقف إتصل بالدولة العثمانية ورحب الباب العالى بأرسال سفن إلى الخليج مقابل اعتراف الشيخ محمد بن خليفة بسيادة السلطان ، وأغضب بريطانيا هذا التصرف ، وأرسل بالمرستون وزير الخارجية البريطانية احتجاجا إلى الباب العالى فى الآستانة يذكر فيه أن حكومة البحرين مستقلة مرتبطة مع بريطانيا بمعاهدات ولم تكن الدولة العثمانية فى وضع يجعلها تصر على موقفها بخصوص البحرين .

ولم يكن محمد بن خليفة يريد استعداء تركيا على إيران ، بل أنه كان يتحاشى بقدر الامكان الاصطدام بأحد هاتين القوتين إذ أنه أعلن الحماية التركية والايرانية معاً خصوصاً بعد أن بدأت ايران تتقرب اليه وتغير سياستها نحوه فكان يرفع العلم الفارسى على أثر وصول الوكيل الفارسى لينزله ويرفع العلم التركى حين يصل الوكيل التركى .

وقد إعترضت الحكومة البريطانية على ذلك لدى تركيا وإيران مما أدى الى اختفاء وكيليهما من البحرين ، كما قيدت نشاط الشيخ بالنسبة إلى علاقاته بأيران ، وكانت بريطانيا ترمى فى عهد بالمرستون إلى أن تتخذ خطوات أكثر ايجابية نحو تقييد حرية البحرين وعزلها عن الدول المجاورة لها .

وهكذا دفع موقع كل من فارس وتركيا فضلا عن النزاع بين أفراد أسرة

آل خليفة دفع كل ذلك بالبحرين الى أن تفقد استقلالها وتستعين بأية قوة فى سبيل نصرة الحاكم على أعدائه حتى استقرت كمحمية بريطانية فى نهاية الأمر .

أما السبب المباشر فى اعلان الحماية على البحرين و تدخل بريطانيا فى شئونها الداخلية فيرجع الى ان أبناء الشيخ عبدالله بن سلمان لجأوا الى الاحساء واستعانوا بالوهابيين الذين ظلوا يهاجمون سفن البحرين ، وقد قام ابن الحاكم المخلوع محمد بن عبد الله بمعونة الوهابيين بمحاولة لاحتلال البحرين سنة ١٨٥٢ ، غير أن محاولته باءت بالفشل لمعاونة الانجليز بالشيخ محمد بن خليفة حاكم البحرين غير أن محمد بن عبد الله لم ييأس بل عاد الكرة سنة ١٨٥٩ بحملة أوسع نطاقاً وأنزل جنده على ساحل البحرين بعد أن ضرب مدينة المنامة من البحر فأسرع المقيم البريطانى بأرسال سفينتين حربيتين الى ساحل الاحساء إستطاعتا تدمير قرية الدمام .

غير أن حاكم البحرين الشيخ محمد بن خليفة لم يكتف بذلك إذ كان يود إنتقاماً أشد من حكومة فيصل بن تركى الوهابية ، ولما لم تكن بريطانيا مستعدة لاشتباك مع الوهابيين داخل بلاد العرب فقد قام بنفسه بمحاصرة ميناء القطيف التابعة للحكومة السعودية وخشت بريطانيا أن يؤدى هذا الى وقوع إضطرابات فى الخليج فأرسلت تؤنب حاكم البحرين على فعله فكان أن اتجه الى فارس فى الوقت الذى كانت الأخيرة قد غيرت سياستها وكانت مستعدة للتفاهم معه .

أرسلت فارس بعثة الى البحرين سنة ١٨٦٠ تحت رئاسة مرزا مهدى خان

أحد كبار موظفى وزارة الخارجية و من المعادين للسياسة البريطانية و كان ذلك بالحاح من الأمير حسام السلطنة حاكم اقليم فارس وعم الشاه ، وقد خلع ميرزا مهدى خان على الشيخ محمد الخلعة أو رداء الشرف من شاه إيران و أبدى لكل من الشيخ محمد وشقيقه الشيخ على نوايا فارس الطيبة نحو البحرين و إمكان الاعتماد عليها فى مقابل الولاء للتاج الايرانى .

وكان أن إستجاب الشيخ محمد لدعوة فارس التى لاقت فى نفسه قبولا فى الوقت الذى كان يريد التشفى من الوهابيين بعد أن صدته بريطانيا عن ذلك ، فكان أن أعلن فى ٩ و١٢ أبريل سنة ١٨٦٠ فى مذكرتين أرسلها الى كل من الشاه وحاكم إقليم فارس يعرض فيها ولاءه التام لفارس .

وهذا نص ملتمس اعلان الشيخ محمد ولاءه للشاه ولحكومة فارس (والنص مترجم من الانجليزية) (١) ملتمس من الشيخ محمد بن خليفة يرفعه الى الأرض المباركة تحت قدمي صاحب الجلالة والقداسة والعلا من له قوة القدر ملك الملوك الذى نفديه جميعاً بأرواحنا .

إنى أخضع للارض المباركة تحت قدمي صاحب الجلالة والعلا و القدرة ملك الملوك وملاذ المؤمنين وظل الله فى أرضه والذى نفديه بأرواحنا أدام الله حكمه وملكه .

منذ أن كان خادم دولتكم العلية مؤديا فروض الطاعة والواجب والولاء متمسكا بعقيدتكم ، ومنذ أن عبر عن رغبته للارض تحت أقدام سيادتكم العلية . . . .

(١) لم أجد النص العربي لهذا الملتمس وهو مترجم من كتاب آدميات .

وبعد مقدمة طويلة حافلة بعبارات الذل والعبودية يقول :

إنها لحقيقة أوضح من الشمس أن جزر البحرين من ايام الملوك السالفين حتى هذه اللحظة هى جزء من ممتلكات الدولة العلية وأن الشيوخ وسكان البحرين كانوا دائماً تحت حماية الدولة العلية ورعايتها ، ولطالما حظينا بعطف دولتكم السنية ، وأعلاما عن أحوالنا فأنى أنا وأخى الشيخ على بن خليفة وكل بيت آل خليفة وسكان البحرين خدمكم ورعايا دولتكم العلية ، وبالنسبة لمستقبل البحرين فأنى أكتب على نفسى عهداً وموثقاً لدولة ميرزا مهدى خان من بداية الوقت الحالى ٢٠ شعبان أننا سنودى الضريبة للخزانة العامة و أن راية الاسد والشمس رمز دولتكم العلية سترفع فوق منزلنا .

ونقدم بمنتهى الخضوع هذه الهدية المتواضعة من جيادين من أكرم الجياد العربية ورجائى أن أتشرف بقبولها » .

ملتمس من الشيخ محمد بن خليفة الى نواب حسام السلطنة حاكم إقليم فارس فى ١٧ رمضان سنة ١٢٧٦ الموافق ٩ أبريل سنة ١٨٦٠ :

« أن إنتدابكم المقدس الجدير بالطاعة الذى أعلنتموه وجعلنى على رأس هذا الانتداب مع الخلعة التى هى رداء الشرف و التى شرفنا بتقدمه بها ميرزا مهدى خان عن الوزارة الخارجية .

إنه لمن الواضح أن جزر البحرين جزء من ممتلكات الدولة العلية وأننا خدم ورعايا الدولة السنية وملتمسنا هذا إلى أعظم الملوك وظل الله فى أرضه وأكبر سلاطين العالم ملك الملوك أدام الله ملكه .

وبخصوص موضوع الحجاج الى مكة عن طريق نجد الخاضعة للامام فيصل بن تركى من البيت السعودى فأن المعظم ميرزا مهدى إقترح إرسال رسول له لتنظيم هذا الموضوع إذ لايصح أن يتنكر الامام فيصل لأقواله بأعماله، وإلا ينفذ ما عاهد عليه وكذلك مشايخ العرب فى هذه المناطق الذين يعصونه ولا يأمنون له.

وسأتجه بعد شهر الصيام إلى الكويت للبحث فى هذا الموضوع وسأبعث اليكم بالتفصيلات لتحكموا بما هو مناسب لتنفيذه لتمكين الحجاج من السفر الى مكة المكرمة والعودة الى مينا بوشير فى صحة و سلام.

ومع مهدى ميرزا جواد من أكرم الجياد العربية أرجو أن تشرفونا بأن تقبلوه » (١)

ان أقل مايوصف به الملتمس المقدم الى الشاه والمنعم بعبارات الذل والعبودية لو صح صدوره بهذه الصيغة — حيث لم أجد مصدراً لذلك إلا كتاب الدكتور آدميات وحتى الدكتور عباس فاروجى وهو فارسى لم يذكر هذا الملتمس ولم يشر اليه — إنه صادر من شخص لا يقدر النتائج القانونية والسياسية المترتبة على تصرفاته وهو ملتمس لا يمكن أن يعتبر دليلا أو حجة لأيران فى البحرين لأنه صادر من شخص سبق أن أعلن ولاءه لأكثر من دولة فى وقت واحد فى سبيل تخلصه من الأطماع المحيطة به، ولولا حاجته الملحة و نفسيته المتعطشة الى الثأر من الوهابيين لما صدر منه هذا الملتمس، ومن يدرى إذا كان قد

(١) أرجو أن يكشف آل خليفه - حكام البحرين - النقاب عن مدى صحة هذا الملتمس ونصه والظروف المحيطة به والرسائل الأخرى المرسلة من أسلافهم ومن محمد بن خليفة بالذات الى الحكومة العثمانية.

كتب هذا الملتمس أنه لم يكتب مثله الى الباب العالى حينما اتصل بالدولة العثمانية.

والواقع أن صيغة هذا الملتمس أن تلقى استغراباً واستنكاراً، وانه من المعروف عن العرب الذين يعتزون بنسبهم ويتولون الصدارة فى قبائلهم ألا يقبلوا على أنفسهم الضيم او المذلة مهما كانت الظروف، فضلا عن ان حاجة ايران الى كسب وده ورضاه لاتقل عن حاجته هو الى تأييدها.

مؤامرات بريطانيا وأيران على البحرين

بعد سنة ١٨٦٠

كانت فارس عاجزة عن استغلال هذا الوضع لصالحها بعد أن أعلن شيخ البحرين استعداده للاتفاق معها نظراً لعدم وجود قوة بحرية لها.

أما بريطانيا فقد أصبح جميع الزعماء العرب خاضعين لسيطرتها وكانت تعليمات المقيم البريطانى تنفذ دون معارضة، ويعتبر اعلان شيخ البحرين الولاء لأيران تحديا صارخا لها وعملا لا يمكن السكوت عليه إذ وصفه السفير البريطانى بأنه أى الشيخ محمد معارض للسياسة البريطانية ويلعب دوره مستغلا كل الأطراف المعنية ووجه مذكرة حازمة للحكومة البريطانية يعلن فيها أن بريطانيا لا تنظر بعين الرضا الى تدخل فارس فى شئون البحرين هذا التدخل الذى قام على أساس الدسائس والنيات العدوانية كما لا يمكن لبريطانيا أن تعترف بسيادة التاج الأيرانى على البحرين.

واتصل السفير البريطانى بالمقيم البريطانى فى بوشهر كى يتصل بشيخ البحرين ليقنعه بعدم جدوى طلبه المناصرة لأيران، وأن عليه ألا يعقد الأمور ويستدعى

تدخل الحكومة البريطانية بل عليه أن يعلن استقلاله ، واتصل السفير البريطانى السير هنرى راولينسن باللورد جون راسل وزير الخارجية معلنا فيه أن اعلان شيخ البحرين الولاء لأيران ليس له نتيجة فعلية طالما لاتستطيع ايران احتلال الجزر وأن الآثار الوحيدة المترتبة عليها فى دفع الجزية لشاه ايران ورفع العلم الايرانى على قصر حاكم البحرين .

وقد آثر السفير البريطانى ألا يثير ضجة حول الموضوع فى بلاط الشاه حتى لايلفت الدول الأوربية الأخرى ويؤدى هذا الى تدخلها فى سياسة الخليج ، و كان السفير البريطانى يخشى تدخل روسيا بالذات لما لها من نفوذ فى فارس ولرغبتها فى أن تصل الى المياه الدافئة .

ولما كان من رأى حاكم اقليم فارس أن يدعم ولاء شيخ البحرين باحتلالها بالقوة لاسيما أن هذه القوة بعد أن أعلن الشيخ الولاء لن تلق مقاومة من شعب البحرين وقد بعث برأيه هذا الى الشاه ، ولكن وزير خارجية ايران بعد أن وصله التحذير البريطانى بعدم القيام بأى عمل عسكرى فى الخليج ، حذر الشاه من نتيجة هذا العمل إذ قد يتعرض الأسطول البريطانى للسفن الفارسية و يتم صراع ينجم عنه اذلال لحكومة فارس الأمر الذى يسىء الى مكانتها واحترامها فى البحرين ، وفى مقابل ذلك طلب وزير الخارجية الايرانية من السفير البريطانى بطرح المسألة على نطاق البحث .

وبذلك استطاعت بريطانيا أن تلغى الآثار المترتبة عن اعلان حاكم البحرين الولاء وأن تنهى الموضوع دون ضجة ، وضمنت ان ايران لن تتخذ أية خطوات ايجابية أكثر من ذلك .

وقد مست بريطانيا فيما أعلنه سفيرها فى ايران حقيقة نفسية هامة حينما أعلن أن موضوع البحرين ليس أكثر من تعبير عن الغرور الامبراطورى *imperial vanity* الذى يجب ألا يصدم حتى لايثير عناد الامبراطور وثورته وإنما أن يعالج الموضوع برفق .

وكان على بريطانيا أن تتخذ خطوة ايجابية كرد فعل على اعلان شيخ البحرين ولاءه لفارس ، وقد تمت هذه الخطوة بعد مشاورات بين وزارة الخارجية البريطانية و بين الحاكم العام للهند تقرر فيها فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٦١ أنه لابد من اعلان البحرين أمارة منفصلة مستقلة عن الدول المجاورة ، ولذلك اتخذت بريطانيا الخطوة الحاسمة التى كانت تتردد فى اتخاذها منذ سنة ١٨٤٠ ، وقد اتخذتها فى الوقت الذى تحول فيه حاكم البحرين عن صداقتها الى فارس بعد أن خذلت بريطانيا اطماعه فى القضاء على نفوذ فيصل بن تركى ، وقد أضطرت لاستخدام وسائل الضغط بفرض شروطها على حاكم البحرين ولو أنها اتخذت نفس القرار قبل سنة ١٨٦٠ لكان الأمر أكثر يسرا .

خرج جونس على رأس اربع سفن حربية بريطانية و بعد حصار لميناء المنامة قدم نص معاهدة جديدة الى محمد بن خليفه لتوقيعها و تشير مقدمة المعاهدة الى أن البحرين أمارة قائمة بذاتها وتحددت أهداف المعاهدة بما يلى :

« نظراً للاضطرابات التى أحدثتها القبائل البحرية فأنى محمد بن خليفة أعلن انضمامي الى معاهدة الصداقة و السلم الدائم التى تهدف الى تقدم التجارة وسلامة جميع الشعوب التى تستعمل هذا البحر لملاحتها » .

وتتلخص مواد المعاهدة فيما يلى :

١) تأكيد جميع المعاهدات السابقة بين البحرين وبريطانيا .

٢) يتعهد شيخ البحرين بالامتناع عن أى اعتداء بحرى أو الاشتراك فى أعمال القرصنة مادامت بريطانيا تمده بالعون اللازم لحفظ جميع ممتلكاته من اعتداءات القبائل التى تسكن الخليج .

٣) تنفيذاً لهذا التعهد يقبل شيخ البحرين أن يخبر المقيم العام البريطانى بكل حادث اعتداء يقع عليه فى أقرب وقت ممكن ، ويقبله حكماً بينه وبين المعتدين ويتعهد بألا يتخذ هو أو أحد رعاياه أى إجراء مضاد بدون موافقة الحكومة البريطانية اذا اشترطت بريطانيا ذلك ، ويتعهد المقيم البريطانى بأن يتخذ من جانبه الاجراءات اللازمة ضد المعتدين على شيخ البحرين أو رعاياه ، كما يقبل شيخ البحرين الأحكام التى يصدرها المقيم ضد أحد رعاياه اذا كان معتديا .

٤) يستطيع الرعايا البريطانيين الاقامة و التجارة فى البحرين دون قيد لحريتهم على أن يدفعوا ضريبة جمركية عن بضائعهم لاتزيد على خمسة فى المائة من قيمة تلك البضائع ويتمتع هؤلاء الرعايا بامتيازات الدولة الأكثر رعاية .

٥) تحال الخلافات بين الرعايا البريطانيين وبين أهل البحرين إلى المقيم البريطانى فى بوشهر إذا لم يستطع المعتمد البريطانى فى البحرين تسوية هذه الخلافات و كذلك يستطيع المقيم البريطانى منح وساطته بشأن المنازعات التى تقع بين الرعايا فى الأمارة و بين أحد سكان موانى الخليج التابعة لقبائل حليفة لبريطانيا .

وقد تم توقيع هذه المعاهدة فى ٣١ مايو سنة ١٨٦١ .

وقد قدمت فارس احتجاجا الى السفير البريطانى على فرض هذه المعاهدة على أحد رعايا الحكومة الفارسية فى زعمها — وقد أجاب السفير البريطانى أن لديه تعليمات من وزير الخارجية الايرل راسل بعدم الدخول فى مناقشات حول هذا الموضوع مع السلطات الفارسية .

وأما عن الشيخ محمد بن خليفة فقد ظل رافعاً العلم الايرانى على قصره الأمر الذى جعله يعتبر فى نظر اللورد كيرزون « الثعلب العجوز الذى لا يمكن أن يرتبط باتفاقيات أو توقيع » .

وقد تميز عهد الشيخ محمد الذى استمر ٢٦ سنة بكثرة الحروب القبلية بينه وبين أبناء عمه عبد الله وبينه وبين القبائل المقيمة فى قطر وعلى رأسها آل ثانى ، ثم بينه وبين السعوديين .

وفى سنة ١٨٦٧ أى بعد ٦ سنوات من توقيع المعاهدة شن محمد بن خليفة غارة على شبه جزيرة قطر بسبب اختلافه مع شيخ المنطقة محمد بن ثانى على أمر الجزية التى كان يدفعها له والحزازات السابقة بينهما ، و لما كانت هذه الغارة مخالفة لأرتباطات سنة ١٨٦١ فقد أنذره المقيم البريطانى بالعودة إلى بلاده ولكنه استمر فى حملته الانتقامية فى قرى قطر ، هذا عرض الحادثة من وجهة النظر البريطانية ، أما وجهة نظر آل خليفة فتقول ان قبائل قطر قد هاجمت البحرين ولما لم يكن هناك متسع من الوقت للاستنجاد بالمقيم البريطانى فى بوشير فقد خشى على ضياع ملكه فبادر الى مقاتلة الاعداء ، واتخذ المعتمد

البريطانى ذلك الدفاع ذريعة للتدخل فى شئون البحرين وجاءها على بارجته لمعاتبة حاكمها ، فما كان من الشيخ محمد إلا أن توجه الى قطر للتماوض فى ايقاف القتال والجنوح الى اللين والمسالمة و فوض أخاه لمصالحة المقيم البريطانى .

وتذكر وجهة النظر الفارسية أن الذى أثار المقيم البريطانى هو استنجاد الشيخ محمد بن خليفة بأمير فارس وطلبه حملة عسكرية لتحتل البلاد على أن ليس لهذه الرواية ما يؤيدها إذ كان من الأولى أن يطلب النجدة من المقيم البريطانى وهو يعلم أنه الجانب الأقوى وأن فارس قد عجزت مراراً على أن تقدم أية معونة للبحرين لعدم وجود أسطول بحرى لها ، بالاضافة الى أن الشيخ محمد يعلم النتائج الخطيرة المترتبة على استنجاده بفارس .

حاصرت القوات البريطانية قلعة أبى ماهر وأطلقت البوارج مدافعها على القلعة التى كان مرفوعا عليها العلمان الايرانى والعثمانى ، كما أحرق البريطانيون أسطول البحرين الشراعى وطلبوا من الشيخ على بن خليفة أن يتقلد حكم البحرين بدلا من أخيه ، ولم يرفع الانجليز حصارهم إلا بعد أن وقع الحاكم الجديد على إتفاقية جديدة واشترك معه فى توقيعها وجهاء البلاد وذلك فى ٦ سبتمبر سنة ١٨٦٨ وقد جاء فى المقدمة .

« بما أن محمد بن خليفة إرتكب عملا من أعمال القرصنة فأن صفته الشرعية كحاكم للبلاد قد زالت عنه » . وشروط الاتفاقية كما يأتى :

١) تسليم جميع السفن الحربية التى تمتلكها الأسرة الحاكمة من آل خليفه .

٢) دفع مبلغ مائة الف (ريال) غرامة الى المقيم البريطانى يدفع منها ٢٥ الف

فوراً ويقسط الباقى على ثلاث سنوات .

٣) إبعاد محمد بن خليفة نهائياً من حكم البلاد وتسليمه المقيم البريطانى فى حالة عودته اليها .

٤) يعتبر على بن خليفة نفسه من القراصنة اذا ما خالف تعهداته أمام بريطانيا .

٥) تعيين وكيل دائم لحاكم البحرين فى بوشير ليتلقى ارشادات المقيم العام البريطانى .

وظاهر من هذه الاتفاقية النية المبيتة من بريطانيا للتدخل السافر فى شئون البحرين الداخلية والخارجية وتسلطها فى تعيين الحكام وعزلهم لأول مرة فى تاريخ البحرين وبذلك يكون على بن خليفة قد تولى الحكم تحت التهديد والوعيد ، هذا الى ما أثارته بريطانيا من نزاع بين الأخوين باشعار الحاكم الجديد أن بقاءه فى منصبه رهن بمشيئتها وإرادتها .

وقد كان على بن خليفة طيلة ست وعشرين عاما التى قضاها أخوه فى الحكم الساعد الأيمن له فى كل حروبه بل يرجع اليه الفضل فى كل الانتصارات التى انتصر فيها محمد بن خليفة على أعدائه من أهل قطر أو من ابناء عمه أو من الوهابيين ، ولكن بريطانيا أرادت أن تضع حداً لحكم محمد بن خليفة الذى لم يكن يتقيد بالعهود والمواثيق التى تفرض عليه ، والذى كان يستغل كل القوى المتصارعة حوله لصالحه وليس أدل على دهائه من رفعه العلمين الايرانى والعثمانى فى آن واحد وإعلان الولاء لهما معاً .

و تشير هذه المعاهدة الى مفهوم القرصنة فى عرف بريطانيا وذلك فى المقدمة وفى البند الرابع حيث تحدد معنى القرصنة بأنه مخالفة التعهدات المفروضة من بريطانيا ، فإذا امتنع أو عجز الحاكم مثلا عن دفع الغرامة المفروضة عليه وعلى شعبه فهذا يعتبر عملا من أعمال القرصنة .

لجأ الشيخ محمد بن خليفة الى الكويت حيث تدخل حاكمها فى الصلح بين الأخوين فكان أن رضى الشيخ على بأرجاع الحكم الى أخيه ، غير أن الانجليز تدخلوا بالضغط على الشيخ على وتهديده فكان أن نقض الصلح واتجه محمد بن خليفة بعد ذلك الى دارين والقطيف وإنضم اليه أعداؤه السابقون ناصر ابن مبارك بن عبد الله الحاكم المخلوع وانضمت اليه كذلك قبيلة بنى هاجر فى الاحساء ، وفى سبتمبر سنة ١٨٦٩ هاجم جزر البحرين فانتهز أهلها الفرصة للثورة على حكم على بن خليفة الذى أثقلهم بالضرائب ليتمكن من دفع الغرامة التى فرضتها عليه بريطانيا واستطاع الثوار القبض على الحاكم وقتله وأسلموا القلاع الى الغزاة .

غير أن الأمور لم تستقر لمحمد بن خليفة إذ خرج عليه ناصروه من قبل أولاد عمه آل عبد الله بن سلمان وقبضوا عليه وسجنوه فى قلعة بوماهر ، وتولى محمد بن عبد الله الحكم وأضطر أبناء على و محمد بن خليفة الى الالتجاء الى قطر ولم يكن من المعقول أن تظل بريطانيا مكتوفة الأيدى أمام هذه الحوادث لاسيما أن الذى يحكم البلاد ممن لاتربطه ببريطانيا أية صداقة ، لذا أسرع المقيم العام البريطانى فى بوشير وصحب معه سفينتين حربيتين وضرب مدينتى المنامة و المحرق بالقنابل ، ونزل الجنود البريطانيون للمرة الأولى البحرين وقبضوا على جميع المعادين لبريطانيا محمد بن عبد الله وأخوته ومحمد بن خليفة وصادروا أملاكهم

ونصب المقيم على الجزيرة أحد ابناء على بن خليفة وهو الشيخ عيسى ، وكانت سنه وقتئذ ٢١ سنة وقد رجع من قطر حيث كان قد فر اليها ، وأما المعتقلون فقد أخذوا إلى بومباى حتى مات محمد بن عبد الله ونقل محمد بن خليفة الى عدن حيث مات بها .

ويمكن تلخيص التطورات التى تمت فى عهد محمد بن خليفة بما يلى :

١) بدأ عهده بعد طرد عمه عبد الله الذى استنجد بكل القوى المحيطة بالبحرين الطامعة فيها لتأييده ضد محمد بن خليفة .

٢) أراد محمد بن خليفة أن يستفيد من الصراع بين القوى التى حوله فأعترف لتركيا وايران معاً بحق السيادة على البحرين و رفع العلمين التركى و الايرانى على القلعة الاول من الجهة الغربية حتى تراه السفن الخاضعة لنفوذ تركيا على الساحل العربى والآتية من الغرب والثانى من الجهة الشرقية حتى يراه القادمون من ايران .

٣) كانت السياسة البريطانية قد قررت أن تكون اكثر ايجابية فى الخليج و أن تجعل البحرين تحت حمايتها المباشرة وأن تعزلها تماماً عن كل من ايران وتركيا .

٤) يتميز حكم محمد بن خليفة بكثرة الحروب القبلية بينه وبين أبناء عمه وبينه وبين القبائل القاطنة فى قطر و أهمها قبيلة بنى على التى ترتبط مع عبد الله الحاكم المخلوع برابطة المصاهرة و كذلك بينه وبين الوهابيين الطامعين فى السيطرة على الجزر وتحالفت كل هذه القوى عليه .

٥) استغلت بريطانيا عداء القوى المحيطة بمحمد بن خليفة و الطامعة فى احتلال البحرين بأن فرضت حمايتها عليها .

٦) كان للخطأ الجسيم الذى ارتكبه محمد بن خليفة من استنجاده بفارس وإعلانه الولاء التام لها كان لذلك من الأثر السىء ما عجل بنهاية حكمه إذ أثار البريطانيون وأدى بهم الى اتخاذ خطوات عسكرية حاسمة لأول مرة فى تاريخ البحرين مع علمه التام بعجز ايران عن نجدته ضد الوهابيين .

٧) اتضحت نيات بريطانيا فى الاتفاقية التى فرضتها على محمد بن خليفة سنة ١٨٦١ والتى لم تعطى بريطانيا حق التدخل فى علاقات البحرين بجاراتها فحسب ، بل نصت على امتيازات اقتصادية و قضائية للبريطانيين كما أصبح للمقيم البريطانى الكلمة العليا فى شئون البحرين الداخلية والخارجية .

٨) استغلت بريطانيا أول فرصة لخلع محمد بن خليفة الذى لم يقدر الاتفاقيات حق قدرها من وجهة النظر البريطانية و ذلك حينما نشب النزاع بينه وبين حاكم قطر .

رد الفعل الفارسى على تدخل بريطانيا العسكرى و خلع محمد بن خليفة وتنصيب عيسى بن على

أرسل ميرزا محمد على خان مندوب وزارة الخارجية الفارسية لدى اقليم فارس مذكرة فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٦٨ الى الكولونيل بللى احتج فيها على خرق حقوق فارس فى الخليج وفى البحرين التى هى فى زعمه جزء من أملاك فارس ، كما احتج على العمليات الحربية التى قامت بها البحرية البريطانية ضد

البحرين وعلى خلع محمد بن خليفة وتنصيب أخيه على بن خليفة وأوضح ميرزا محمد على خان عدم رضا حكومته على هذه التصرفات .

غير أن الكولونيل بللى لم يرد على الحكومة الفارسية فكان أن اتصل محسن خان السفير الايرانى فى لندن باللورد كلاريندون وزير الخارجية وذلك فى ١٣ أبريل سنة ١٨٦٩ محتجاً على تصرفات الكولونيل بللى وعلى الحملة البريطانية على خرق حقوق ايران ، وقد أرفق محسن خان بمذكرته صورة من وثيقة اعلان محمد بن الخليفة حاكم البحرين الولاء لفارس.

ولما كانت وزارة الخارجية البريطانية لاتستطيع الرد فى هذا الموضوع دون استشارة الحاكم العام للهند حيث أن الأخير أكثر اطلاعا وفهما للامور وقربا من مجريات الحوادث ، فقد اتصلت وزارة الخارجية البريطانية بدوق أرجيل مستفسرة عن رأيه فى هذا الشأن وكان رد الدوق أن الحكومة البريطانية لا تعترف بطريق مباشر ولا غير مباشر بصحة دعوى فارس حق السيادة على البحرين ، وأنها قد عبرت عن ذلك مراراً ، وأن شيخ البحرين قد ارتبط مع بريطانيا كحاكم مستقل بالتزامات تمنعه من اعلان الحرب أو القرصنة أو تجارة الرقيق ، و ليست المصالح البريطانية فقط هى التى استدعت التدخل البريطانى المسلح وإنما مصالح الحكام الآخرين كذلك ، وأن مسئولية فارس عن تصرفات هذا الحاكم و تدخلها سيقضى على سياسة أتبعت بنجاح فى ذلك الجزء من العالم ، وأنه لايمكن ان تتحول السياسة البريطانية عن ذلك و إن كنا نتحاشى كل مبررات الاثارة غير اللازمة للبلاط الايرانى و أنه إذا رأى وزير الخارجية البريطانية أن يصدر تعليمات الى المقيم فى الخليج كى يتصل الأخير بالسفير

البريطاني فيما يتعلق بأى عمل فى المستقبل ليحيط به حكومة فارس وإن كان من الواجب أن يتصرف المقيم البريطاني سريعاً على مسئوليته الخاصة طالما أن الحوادث قد تنتقل من سىء الى أسوأ نتيجة التأخير .

وبعد أن وصل رد الحاكم العام للهند الى اللورد كلاريندون أرسل هذا رده فى ٢٩ أبريل سنة ١٨٦٩ الى السفير الايرانى ، هذا الرد الذى لا تزال الحكومة الفارسية الى اليوم تعلق علية أهمية كبرى وتعتبره احدى الوثائق الهامة فى اعتراف بريطانيا بحقوق ايران المشروعة فى البحرين .

بدأ اللورد كلاريندون يشرح تصرفات حاكم البحرين ودخول بريطانيا فى اتفاقيات يعلم الشاه جيداً أن الغرض الوحيد منها منع القرصنة و تجارة الرقيق وحفظ السلام فى الخليج ، وأنه « إذا كانت الحكومة الفارسية على استعداد لأبقاء قوة كافية فى الخليج لهذا الغرض فأنها كانت ستعفى بريطانيا من واجبات مرهقة باهظة الثمن ، ولكن طالما أن الشاه ليس على استعداد للقيام بهذه الالتزامات فأن حكومة صاحبة الجلالة لا يمكن أن تفترض فى صاحب الجلالة الشاه انه يرغب فى أن تحل الفوضى والجرائم فى هذه المياه .

وقد عبر اللورد كلاريندون فى الفقرة الأخيرة من الخطاب عن تمنياته الطيبة و شعوره الودى لحكومة الشاة ، كما أبدى مبررات تصرف بريطانيا دون إخطار الشاة سلفاً ، وأن ذلك سيتم فى المرات القادمة إن استدعت الضرورة ذلك و إن كان هذا الأخطار السابق ممكناً من الناحية العملية ، وان كانت الحكومة البريطانية ترى فى ذلك تعطيلا سيؤدى الى تعقيد الأمور وتهديد

السلم العام فى الخليج .

ولا شك أن هناك فارقا بين رد الحاكم العام فى الهند على وزير الخارجية البريطانية وبين رد وزير الخارجية البريطانية على الحكومة الفارسية ، ويرجع هذا الفارق فى الرد الى أن حكومة الهند تنظر الى المسألة من ناحية المصالح البريطانية فى الخليج ، وأن الاعتراف بأى إمتياز لحكومة فارس سيضر بالنفوذ البريطاني فيه بينما تعالج وزارة الخارجية البريطانية الموضوع فى ضوء العلاقات البريطانية الفارسية بوجه عام حيث لم تكن بريطانيا راغبة فى ذلك الحين فى رد جاف يسىء الى العلاقات بين البلدين ، من أجل هذا لم يشر وزير الخارجية البريطانية فى مذكرته الى حاكم البحرين كحاكم مستقل أو الى بطلان الادعاء الايرانى ، واكتفى بالأشارة الى المهام الجسيمة الباهظة فى التكاليف الملقاة على عاتق بريطانيا التى كانت تود أن تعفى من هذه المهام الجسيمة لو أن قوة أخرى تحفظ النظام والسلام فى الخليج كانت قائمة .

و بمثل هذا الفهم الساذج لتفسير نوايا بريطانيا اعتبرت الحكومة الفارسية رد وزير الخارجية البريطانية مرضياً وأرسل ميرزا محسن السفير الأيرانى فى لندن فى ٩ مايو سنة ١٨٦٩ الى حكومته مذكرة يوضح فيها ما يأتى :

اتخذت بريطانيا الاجراءات التى اتخذتها ضد البحرين ، لأنه ليس لدى الحكومة الفارسية ممثل رسمى فى مياه الخليج مما أدى الى اعتقاد بريطانيا أن شيوخ البحرين حكام مستقلون و أن الحكومة البريطانية احلت الاحتجاجات الفارسية محل الاعتبار لرغبتها فى حفظ العلاقات الودية مع فارس .

٢) أن الحكومة البريطانية ستجد نفسها سعيدة لو أعفيت من هذه الأعباء

وأنه إذا امتلكت الحكومة الفارسية القوات اللازمة لحفظ السلام فأنها أى بريطانيا لن تتخذ أى اجراء دون أن يسبقه الرجوع الى الحكومة الفارسية كما وضح وزير الخارجية ذلك فى مذكرته .

وكان السفير الايرانى قد أطلع وزير الخارجية البريطانية على هذين التعليقين كما عبر ميرزا محسن شاه فى تقريره الى طهران عن رضاه عن هذه المحادثات مع كلاريندون ، وأشار الى أن حق فارس فى البحرين لابد أن يستند الى قوات بحرية فى الخليج ، وأنه من خلال مفاوضاته وإتصالاته مع السلطات البريطانية تبين له أن لو قامت فارس بحملة عسكرية على البحرين لتمارس سيادتها على الجزيرة فأنها لن تلقى أية معارضة من بريطانيا — وأن هذا يستدعى بناء أسطول بحرى وإلا فأن بريطانيا ستضطر الى القيام بعمليات أخرى حتى يصبح الخليج بحر قزوين آخر الذى لاتمارس فارس أية سيطرة فعلية عليه .

ويبدو أن ايران قد قطعت شوطاً كبيراً فى سذاجتها وثقتها فى حسن نوايا بريطانيا نحوها ، إذ فكرت فى بناء أسطول لتمارس سيادتها على البحرين واتصلت ببريطانيا لتعاونها فى هذا الشأن ، ولكنها لقيت معارضة من الحكومة البريطانية إذ كتب الكولونيل بللى المقيم البريطانى فى بوشهر الى أمير اقليم فارس « أن تأسيس بحرية فارسية فى الخليج يدل على اسراف لامبرر له وسينتهى حتما الى الفشل » أما السفير البريطانى فقد كتب الى حاكم الهند « أن تأسيس أسطول فارسى سيدفع ايران الى أعمالى عدوانية » . أما السير هنرى راولينسن فقد كتب « أن فارس لن تلقى أى ترحيب منا فى خطوتها هذه لأن لها اتجاهات عدوانية تجاه البحرين والأمارات العربية المستقلة الأخرى وأن وجود هذا الأسطول

سيكون عاملا لنشر الاضطرابات لا النظام » .

ما الذى دعا بريطانيا إلى أن تهدىء من خاطر ايران بتصريح وزير خارجيتها ؟ لقد كان العداء صريحاً بين بريطانيا وروسيا فى ذلك الوقت ، وكانت الحالة بينهما تهدد بنشوب حرب ، ولم تكن بريطانيا راغبة فى أن تخسر ايران وتنضم الأخيرة الى روسيا ، وتسبب لبريطانيا مضايقات باعتبارها إحدى الطرق الموصلة الى الهند فرأت أن تكسب جانبها بهذا التصريح الودى الذى لايتضمن فى الوقت نفسه أى اعتراف لأيران بحق فى البحرين ، على عكس ذلك كان يجب على ايران أن تفهم من هذا التصريح الذى ليس فيه أدنى اشارة لأى حق لها فى البحرين أن بريطانيا تريد أن تبعد أنظار ايران عن موضوع البحرين ، هذا الى مايتضمنه التصريح من عبارات ملتوية غامضة تلجأ اليها بريطانيا دائماً فى تصريحاتها حتى تكون لديها الفرصة دائماً للتملص من تعهداتها مثل (أن أخبار الشاه بأى اجراء سيتم فى الخليج سيتم سلفاً ان استدعت الضرورة ذلك وكان ذلك ممكناً من الناحية العملية ،وإن كانت الحكومة البريطانية رى فى ذلك تعطيلا . . . . .) ألم يحدث لمندوب بريطانيا فى مؤتمر الآستانة حين تعهدت الدول الأوربية الكبرى بعدم التدخل فى شئون مصر أن أضاف فقرة بسيطة وهى « إلا فى الضرورة القصوى » وإستندت بريطانيا الى هذه العبارة واحتلت مصر ؟

لقد كانت وزارة الخارجية البريطانية تعالج الموضوع من زاوية العلاقات العامة بينها وبين ايران بينما كانت حكومة الهند تنظر الى المصلحة الخاصة فى الخليج ، الأمر الذى جعل تصريح وزير الخارجية البريطانية يعتبر ودياً

ومرضياً من وجهة نظر ايران بل إعتبرته ولا تزال تعتبره كسباً لا نظير له .

و اتجهت فارس الى فرنسا بعد أن خيبت بريطانيا آمالها فى بناء أسطول بحرى و لكن فرنسا كانت قد شغلت بالمسألة البروسية التى تلتها الحرب السبعينية التى هزمت فيها فرنسا أبشع هزيمة .

وتدعى فارس أنه فى اثناء الحوادث السريعة التى تعاقبت على البحرين من عودة محمد بن خليفة و قتل على بن خليفة عينت أمير اقليم فارس ميرزا مهدى خان قائد للقوات الفارسية على رأس قوة مكونة من ٢٠٠٠ جندى و أخذ معه فرمان ملكى من شاه ايران بتعيين محمد بن عبد الله حاكما على البحرين وقد سبقت البعثة التى تحمل الفرمان وصول القوة العسكرية ، ذلك أن ايران ماكانت تستطيع فى تصرفها أن تتحدى بريطانيا و لذا أرسلت اشعاراً بذلك الى المقيم البريطانى فى بوشهر ، و قالت تبرر هذه الحملة العسكرية أنها تبغى إعادة الأمن والنظام فى نصابه ، و لكن المقيم البريطانى كان قد صمم على حملته العسكرية التى قذف فيها الجزيرة بالقنابل ، و قبض على المندوب الايرانى الذى يحمل الفرمان الموجه من شاه ايران الى محمد بن عبد الله .

وفرمان الشاه عديم القيمة من الناحية العملية لأن المدة البسيطة التى إستطاع محمد بن عبد الله أن يحكم فيها البحرين بعد قتل الشيخ على بن خليفة لم يصل فيها الى الحكم بتأييد من فارس أو الاستناد الى قوتها ، وإنما بمناصرة القبائل العربية من قطر فضلا عن ثورة شعب البحرين على على بن خليفة ، على عكس ذلك فقد كان هذا الفرمان من العوامل التى دفعت بريطانيا أن تستعجل فى خلع محمد بن عبد الله ونفيه طالما أنه مؤيد من ايران .

احتجت ايران على هذه الحوادث من الكولونيل بللى لما فيه على حد زعمها من خرق لوعد بريطانيا وتأكيداتها فى مذكرة اللورد كلاريندون فى ٢٩ ابريل وكان احتجاجها فى ٢٢ يناير و١٩ مارس سنة ١٨٧٠ على قذف البحرين بالقنابل والقبض على ممثل فارس واعتقال الشيخ محمد بن عبد الله لاسيما وأن المقيم البريطانى قد أحيط علماً بهذه الخطوات قبل اتخاذها وبالخطاب الودى الذى تطلب فيه فارس معاونته فى هذا الأمر ، والحت المذكرة الى الأثر السيء الذى تركته هذه التصرفات فى بلاط الشاه وطالبت فى نهايته باصلاح عادل من جانب الحكومة البريطانية .

وقد رد اللورد كلاريندون وزير الخارجية البريطانية والذى تدعى ايران أنه اعترف بسيادتها على البحرين رد بعد عام واحد من التصريح السابق أن ليس هناك مايبرر شكوى حكومة فارس فى منع مندوب ايران من النزول الى البحرين للاتصال بحاكم من القراصنة مذنب لخرقه المعاهدة البحرية وهجومه على الحاكم الذى عينته الحكومة البريطانية ، و أن مندوب ايران الذى يحمل الفرمان لم ترسله الحكومة الايرانية و إنما أرسله ميرزا مهدى خان قائد القوات الفارسية فى الخليج .

و لما كان منع هدية الشاه وفرمان التعيين الذى استولى عليه الكولونيل بللى يعتبر اهانة لشخص الشاه ، ولما كانت فارس راغبة فى رد اعتبارها بعد هذه الاهانة فأن بريطانيا كعادتها فى مثل هذه المواقف التى تجد فيها أن موجة التذمر والسخط والكراهية قد اتجهت الى أحد ممثليها ، وأن الأمور قد تتطور الى أكثر ماتريده هى عملت على أن تطيب من خاطر جلالة الشاه بأن استدعت

الكولونيل بللى الذى اعتبرته فارس شخصاً غير مرغوب فيه ، أما السياسة البريطانية وكل الآثار المترتبة على الحماية البريطانية على البحرين فقد بقيت كما هى .

تركيا و حق السيادة على البحرين

لم تكن تركيا فى غمرة المشاكل الضخمة التى واجهت الأمبراطورية العثمانية توجه عناية تذكر الى الخليج العربى أو شرق شبه الجزيرة العربية ولم يكن نفوذها الفعلى فى أغلب الأحيان يتعدى الكويت وذلك منذ بدأت الأمبراطورية العثمانية فى التدهور طوال القرن التاسع عشر ، فلم تحاول أن تتدخل فى الأحداث التى كانت تسير فى صالح بريطانيا فى الخليج ، كما لم تبد إهتماما كبيراً فى التدخل البريطانى فى البحرين وذلك حتى سنه ١٨٦٩ .

ولكن تصادف أن تدخل عاملان جديدان سنة ١٨٦٩ وجها إهتمام الدولة العثمانية الى شرق بلاد العرب وجنوبها العامل الأول فتح قناة السويس للملاحة مما سهل للاسطول التركى العبور الى البحر الأحمر والخليج العربى و وصل ميناءى الآستانة والبصرة .

أما العامل الثانى فهو تولى مدحت باشا ولاية بغداد سنة ١٨٦٩ — ١٨٧٢ وينتمى مدحت إلى دعاة الاصلاح فى الدولة العثمانية ، وكان من مبادئه بسط نفوذ الآستانة على المناطق التابعة لها اسمياً تعويض لها عن الخسائر الأقليمية التى توالت عليها فى أوربا ولذلك رسم خطة للاستيلاء على الكويت والبحرين و قطر وبدأت الأساطيل التركية تظهر فى الخليج العربى وتبسط نفوذها الفعلى فى الأحساء عند ميناء القطيف ، الأمر الذى أدى الى إثارة شكوك بريطانيا ولكى تبسط

تركيا نفوذها على كل من قطر والبحرين شرعت فى اعادة بناء ميناء الزبارة المواجه لجزر البحرين ، ولما كانت لهذه الميناء أهمية تاريخية بالنسبة لآل خليفة فقد أوعزت السلطات البريطانية الى الشيخ عيسى بن على أن يحتج على هذا العمل وأن يبين حقه فى امتلاك هذا الجزء من الساحل ، وكان مدحت باشا يدرك أن بريطانيا لن تتغاضى عن امتداد النفوذ التركى الى هذا الجزء ذى الموقع الاستراتيجى الهام ، لذا كتب إلى لورد مايو حاكم عام الهند محاولا تبرير موقفه بأظهار الأدلة القانونية والتاريخية التى تثبت حق الدولة العثمانية فى السيادة على جزر البحرين .

ولما كانت السياسة البريطانية فى عزل البحرين عن كل من فارس وتركيا قد تقررت بل سارت بريطانيا فى سبيل ذلك شوطاً بعيداً لا يمكن أن تتراجع فيه أمام هذا التهديد المباشر القريب ، على عكس تهديد فارس لبعدها عن البحرين ، لذا أرسلت كل من حكومة الهند و الحكومة البريطانية تهديداً بأنها لن تقف مكتوفة الأيدى أمام أى عمل يمس إستقلال البحرين ، فكان أن أوقفت الحكومة العثمانية فى بغداد أعمال البناء فى الزبارة .

وكان رد الفعل المباشر لظهور الأتراك فى مياه الخليج ان بدأت بريطانيا تربط البحرين الى عجلتها بسلسلة أخرى من المعاهدات والاتفاقيات ، ولم تكن هناك أدنى مقاومة من الحاكم الشاب الذى رأى بعينيه مصير أبيه وعمه ، والذى وصل الى الحكم تحت حماية الأسطول البريطانى ، فعندما جاء أدوار روس مقيما عاما فى بوشهر رأى أن يضع البحرين تحت الحماية البريطانية الصريحة لأن هذه خير وسيلة لمنع مناورات الحكومات المجاورة من فارس وتركيا لضم البحرين ،

و لذلك دخل فى اتفاق مع أمير البحرين أقرب الى التعهد من جانب الشيخ عيسى بن علـى أمام السلطات البريطانية والمقيم البريطانى بالذات منه الى الاتفاقية وفيه يتعهد بما يأتى :

١) عدم الدخول فى مفاوضات أو إتفاقيات مع أية حكومة أخرى بغير موافقة الحكومة البريطانية .

٢) منع أى حكومة غير الحكومة البريطانية من ايجاد تمثيل دبلوماسى أو قنصلى أو إنشاء مستودعات لوقود السفن فى ممتلكات حاكم البحرين دون إذن الحكومة البريطانية .

أما فيما يتعلق بالمسائل الأقل أهمية فأنه يجوز لحكومة البحرين الاتصال المباشر مع جيرانها .

وفى مارس سنة ١٨٨٢ أدخلت بريطانيا على هذه التعهدات التزامات جديدة تضمن ارتباط البحرين إرتباطاً أوثق ببريطانيا أهمها :

١) عدم جواز التراسل بين حكومة البحرين و بين أية حكومة أخرى غير الحكومة البريطانية .

٢) عدم جواز بيع أو رهن أو السماح باحتلال جزء من أراضى البحرين لأية دولة أخرى عدا بريطانيا .

وهكذا أصبحت بريطانيا صاحبة التصرف المطلق فى شئون البحرين الداخلية والخارجية .

وفى سنة ١٨٧١ اتجهت سفينة حربية الى قطر عليها ضابط بريطانى لجمع الضرائب باسم شيخ البحرين فرفض حاكم قطر ، وإحتج مدحت باشا والى بغداد لتدخل السفن البريطانية فى المياه الأقليمية لقطر ، وأنكرت السفارة البريطانية هذا التدخل ، وأرسلت تركيا سفناً حربية لحماية قطر وقد رد اللورد جرانفيل وزير الخارجية البريطانية بأنه يؤكد لحكومة السلطان أنه ليس فى نية حكومة صاحبة الجلالة التدخل فى شئون الخليج إلا فيما يتعلق بتنفيذ الاتفاقيات لحفظ السلام فى هذه المياه .

و إن صح لأيران أن تستند الى تصريح وزير خارجية بريطانيا سنة ١٨٦٩ لتستخلص منه اعترافا من بريطانيا بسيادة ايران على البحرين ، ان هذا التصريح المشابه فى المعنى يمنح لتركيا نفس الحق أن تطالب بالبحرين .

وفى سنة ١٨٧٣ جند بعض البحرينيين المقيمين فى بغداد فى الجيش التركى فأحتجت القنصلية البريطانية على هذا الاجراء ولكن تبين أن هؤلاء قد ولدوا فى بغداد ومع ذلك فقد أشار القنصل البريطانى الى أن القنصلية لا ترى مبرراً لمعاملة البحرينيين كرعايا الدولة العثمانية ، فأجاب الباب العالى أنه ليس فى نيته معاملة البحرينيين كرعايا دولته ، ومع ذلك استمر الباب العالى يطالب البحرين بحق السيادة عليها حتى اضطر اللورد دادلى الى أن يقول : أن تجديد هذه الدعوى من الباب العالى يضطرنى الى أن أشير لسموكم إلى المذكرتين المرسلتين الى حكومتكم سنة ١٨٥١ ـ ١٨٧٠ والتى تعلن أن الحكومة البريطانية لا تعترف بسيادة تركيا على البحرين ولا باعتبارها جزءاً من الامبراطورية العثمانية ، و اذا كان بعض رعايا البحرين يطلبون حماية القنصلية فى بغداد فذلك لأن القنصلية

لا تستطيع أن ترفض الطلب من رعايا حاكم تربطه بحكومة صاحبة الجلالة علاقات ودية .

وكان من نتائج ظهور الأتراك فى الخليج أن ناصر بن مبارك بن عبد الله حفيد الحاكم المخلوع مع عمه قاسم حرم البحرين من ممتلكاتها فى قطر لأنها استظلا بحماية تركيا ، كما طلب ناصر بن مبارك بحقه فى حكم البحرين بأيعاز من الأتراك وظلت البحرين حتى سنة ١٨٨٠ تحت تهديد غزو ناصر بن مبارك من قطر حتى تم اعلان الحماية على البحرين فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ .

ظهور قوة أجنبية أخرى فى الخليج

بعد فترة من احتكار بريطانيا السيطرة فى مياه الخليج بدأت تظهر قوى اخرى تزاحمها و أهم هذه القوى روسيا والمانيا ، بينما جاهدت بريطانيا لتظل لها السيادة العليا فى الخليج .

وقعت ايران مع بريطانيا الاتفاقية الدولية لتحريم التجارة فى الأسلحة و التعاون ضد تهريب الأسلحة فى الخليج ، كما وقع الشيخ عيسى سنة ١٨٩٨ اتفاقية تحرم استيراد أو تصدير الأسلحة فى البحرين وتمنح للسفن البريطانية و الفارسية الحربية حق تفتيش السفن التى تحمل العلمين البريطانى أو الفارسى فى المياه الاقليمية فى البحرين و مصادرة كل الأسلحة و الذخائر إذا كان ميناء وصولها الهند أو موانى فارس أو جزر البحرين .

حاول الروس أن يجدوا لهم مرسى فى الخليج — ففى فبراير سنة ١٩٠٠ رست احدى السفن الحربية فى بندر عباس طالبة الفحم وقد حملت اليه ٣٠٠ طن

من الفحم من بومباى ، وأعلن قبطانها انه لا يستطيع حمل الشحنة كلها فطالب الروس باقامة مستودع للفحم يحرسه حراس روسيون وظل الضباط الروس من فرقة القوزاق يظهرون فى بوشهر وبندر عباس وهومز كما تأسست قنصليات فى البصرة وبوشهر وبندر عباس وأن لم يكن هناك رعايا روس يستحقون الذكر ، وبالرغم من أن بريطانيا لم تكن تريد الاصطدام بروسيا فانها لم تكن على استعداد لأن تتخلى عن مركزها فى الخليج لروسيا ، فقد أعلن اللورد كيرزون الحاكم العام للهند أن وجود ميناء روسى فى الخليج هو الحلم العزيز للمواطنين على الفولجا حتى فى وقت السلم ، وهذا يحمل عنصر عدم الاستقرار فى مجريات الأمور فى الخليج الامر الذى سيجعل التوازن يختل بشدة كما أنه سيحطم تجارة تقدر بعدة ملايين من الجنيهات الاسترلينية كما سيثير عصبيات على استعداد أن تقضى كل منها على الاخرى ، لتتحارب بريطانيا العظمى مع روسيا فى مكان آخر ولكن يجب ألا نسمح بالصراع الدموى أن يعكر صفو مجال سلمى من التجارة لم نكتسبها الا بعد مجهود شاق ، واننى اعتبر ان امتياز ميناء لروسيا فى الخليج اهانة متعمدة لبريطانيا العظمى واثارة متعمدة للحرب لأن الوزير البريطانى الذى سيرتكب هذا الخطأ لهو خائن فى حق وطنه .

أما الالمان فقد حصلوا على امتياز خط حديدى من الباب العالى من قونيا الى البصرة فى ٥ مارس سنة ١٩٠٣ ، كذلك أبدى الالمان اهتماما خاصا بالبحرين اذ عرضوا على حاكمها استثمار الاسفلت ثم عرضوا فى سنة ١٩٠٣ الحصول على امتياز استغلال وتسويق اللؤلؤ والسمك ولكن الشيخ عيسى رفض تحت ضغط المقيم البريطانى .

ولا شك أن هذا التدخل من جانب هاتين القوتين قد جعل بريطانيا تحكم قبضتها على الامارات العربية ومنها البحرين .

وقد حاولت المانيا أن تطل على الخليج برضا بريطانيا وذلك فى المفاوضات بين امبراطور المانيا والحكومة البريطانية فى وندسور سنة ١٩٠٧ اذ عرض الامبراطور تعاون بريطانيا مع المانيا فى اقامة خط حديد تركيا العراق ولكن بريطانيا رفضت العرض .

على أن تركيا التى كانت مؤيدة من المانيا اضطرت الى تسوية مشاكلها الثانوية بسبب متاعبها فى البلقان حتى تظفر بتأييد بريطانيا ولذا تساهلت كثيراً فى الاتفاقية التى عقدتها مع بريطانيا فى ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣ خصوصاً بعد أن طرد عبد العزيز آل سعود حاميتها من الاحساء وأهم نصوص الاتفاقية .

١) تحديد امارة الكويت شمالا بما يوازى الحدود الحالية بينها وبين العراق وسحب جميع الموظفين الاتراك من الامارة .

٢) تنازل البحرين عن جزيرة زخنونية الواقعة شمال الاحساء مقابل ألف ريال سنوياً .

٣) اعتراف تركيا باجراءات بريطانيا لتحمل مسئولية أمن الملاحه فى الخليج وذلك بحقها تفتيش السفن .

٤) تنازل الدولة العثمانية عن حق السيادة فى قطر التى يحكمها أمير عربى مستقل ويتوارث خلفاءه الحكم على أن تتعهد الحكومة البريطانية بمنع البحرين من الاستيلاء على قطر .

٥) تنازل الدولة العثمانية عن كل مطالبها بخصوص جزر البحرين على أن تعلن بريطانيا للباب العالى أن ليس لديها النية بألحاق البحرين بممتلكاتها.

وهكذا يتبين أن تركيا قد انسحبت تماما من الخليج لبريطانيا وبذلك تخلصت الأخيرة من منافس قوى كان يعتمد على زعامته الدينية و السياسية على المناطق المطلة على الخليج ، وانتهى النفوذ التركى تماما حينما دخلت تركيا الحرب العالمية الأولى ضد بريطانيا .

وبالرغم من أن البحرين قد أصبحت بعد اتفاقيات سنة ١٨٨٠، ١٨٨٢، ١٨٩٢ محمية بريطانية إلا أن انجلترا سارت بعد ذلك شوطاً أبعد فى إحكام سيطرتها على البحرين حينما أعلنت قيام مجلس البحرين التنفيذى *Bahrain Order Of Council* وذلك لتطبق نفس الأنظمة المتبعة فى الهند على البحرين على أن تكون تابعة للمقيم البريطانى فى بوشهر بعد ان اعتبر المجلس ان البحرين ومسقط وعمان وسائر امارات ساحل الخليج ضمن الممتلكات البريطانية ، و بدأ المجلس فى تطبيق القوانين المدنية و الجنائية المطبقة فى الهند على البحرين .

وقد حدث فى سنة ١٩٠٣ أن تشاجر خادم أحد الألمان مع خادم على بن احمد بن على آل خليفة بن شقيق الحاكم فصفع الأخير خادم الألمانى أثناء حكمه بينهما بصفته قاضياً ، فاستغاث الخادم الفارسى بسيده الألمانى الذى أهان الشيخ إهانة أثارته فصفعه فاستنجد الألمانى بالمعتمد البريطانى الذى حكم على على بن احمد آل خليفة بالسجن فى بومباى ٥ سنوات ، و رداً لاعتبار حاكم البحرين زيدت التحية العسكرية له من ٥ الى ٧ طلقات من المدفع .

وقد جددت ايران مطالبتها بالبحرين سنة ١٩٠٦ ولكن السفير البريطانى رد

رداً قاطعاً حينما أعلن أن جزر البحرين ومواطنيها تحت الحماية البريطانية .

وقد أرادت بريطانيا أن تقوى من شوكة ابن سعود نظراً لعدائه للدولة العثمانية التى دخلت الحرب ضد بريطانيا ولذا اعترفت به فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٦ وعقدت معه اتفاقية تنص على اعتراف ابن السعود بحماية بريطانيا لأمارات الخليج .

وقد حاولت بريطانيا تنفيذ مشروعات المجلس التنفيذى للبحرين الذى تأسس سنة ١٩١٣ ولكن ظروف الحرب أجلت تنفيذ مشروعاته ، ولما إنتهت الحرب وشرعت فى التنفيذ ثار شعب البحرين سنة ١٩١٤ واجتمع أعيانه بالشيخ عيسى بن على وطلبوا منه وضع حد للتدخل البريطانى و كونوا مجلساً يضم رؤسائهم وذوى الرأى فيهم ، ويخول لهم حق انتخاب القضاة الشرعيين ورؤساء الدوائر وعزل غير الوطنيين واتخاذ الأسباب اللازمة لحفظ حقوقهم (١) ، غير أن الأنجليز أوعزوا الى الحاكم أن المجلس يهدف الى خلعه ، كما أدخلوا فى روعه أن الشيعة من أهل البحرين طلبوا من ايران التدخل ، و يبدوا أن ايران قد تدخلت بالفعل فأفسدت الحركة الثورية لأيقاف التغلغل البريطانى فى أنظمة البحرين لاسيما تلك الأنظمة المتعلقة بالتشريع والتى تمس صميم العقيدة الاسلامية فثار البريطانيون العصبية والمذهبية ، و زادت ايران بتدخلها النار استعارا الأمر الذى أحال الصراع ضد الاستعمار البريطانى الى صراع مذهبى ، حيث اشتبك السنة مع الشيعة فى صراع دموى وقتال وحشى يسعى فيه كل فريق الى إفناء الفريق الآخر ، وقد تركت بريطانيا هذه الفتنة تستشرى حتى عجز الحاكم عن اعادة الأمن الى نصابه فتدخل الانجليز وأصبح المعتمد البريطانى حاكما عسكريا له سلطات مطلقة ، وقبض على زعماء الحركة المادين فى اتجاهاتهم وميولهم للانجليز ونفتهم السلطات

(١) الشيخ محمد النبهانى : التحفة النبهانية صفحة ٢٥١ .

البريطانية الى بومباى

ولما كان الشيخ عيسى بن على حاكم البحرين قد شارك الاهالى شعورهم فى الوقوف ضد تطبيق القوانين المطبقة فى الهند ، فقد كان عليه أن يدفع ثمن ذلك بأجباره على التنازل عن الحكم لأبنه حمد وقد رفض الشيخ عيسى بادىء الأمر التنازل حتى إستعان المعتمد البريطانى بقطع من الاسطول ، وقد كان يؤيد الشيخ عيسى فى رفضه جميع أفراد أسرته ، و لكن الانجليز تحت ضغط التهديد والوعيد عينوا إبنه الشيخ حمد الذى ظل أبوه مقاطعاً له بقبوله الحكم مدة تزيد على ٥ سنوات .

ويتميز حكم الشيخ عيسى بن على هذا الحكم الذى إستمر أكثر من نصف قرن من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٩٢٢ بسلسلة من الاتفاقيات والتعهدات حددت الوضع السياسى النهائى للبحرين ، ذلك الوضع الذى بقى حتى الآن ، وقد بدأ الشيخ عيسى حكمه تحت ظروف تملى عليه أن يخضع ويستكين كما تكاتفت الظروف الآتى ذكرها إلى فرض الالتزامات والتعهدات على حاكم البحرين :

١) محاولة ايران المستمرة فرض سيطرتها على البحرين .

٢) محاولة تركيا فرض سيادتها و تأييدها لناصر بن مبارك أحد أبناء الخليفة المخلوع عبد الله الذى ظهر فى قطر وأصبح يهدد باحتلال البحرين ، و من الواضح خطورة الاتراك العثمانيين الذين يمثلون مركز الخلافة الاسلامية من ناحية والذين أطلوا على البحرين على بعد أميال قليلة ، على عكس فارس التى تبعد جغرافياً عن البحرين .

فكان من نتيجة ظهور هاتين القوتين أن فرض البريطانيون على شيخ

البحرين ألا يدخل فى مفاوضات أو إتفاقيات مـع أية حكومة غير الحكومة البريطانية كما حرمت عليه التراسل مع أية دولة أخرى غير بريطانيا .

٣) تقرب الألمـان إلى الشيخ عيسى لاستثمار لؤلؤ البحرين وتسويقه فكان أن منعته الحكومة البريطانية من بيع أو رهن أو السماح باحتلال أى جزء من أراضى البحرين إلا للحكومة البريطانية كما منعته أن يسمح بأى تمثيل دبلوماسى أو قنصلى أو إنشاء مستودعات للفحم إلا لبريطانيا .

٤) ولاشك أن بريطـانيا تعتمد دائماً عـلى الأحداث التافهة لتستعرض عضلاتها أمام شعب مغلوب على أمره و لتستغل هذه الاحداث فى فرض سيطرتها وتأديب بعض المعارضين لسياستها من زعماء البحرين فاستغلت حادثة صفع القاضى على بن احمد بن على آل خليفة لخادم أحد الألمان كى تتدخل أساطيلها وتؤدب القاضى الذى تجرأ على أحد الاوروبيين تماما ، كما إستغلت حادثة النزاع بين أحد الملطيين من رعاياها و أحد المصريين لتقوم فتنة تبرر بها ضرب أسطولهـا للاسكندرية سنة ١٨٨٢ وبالتالى إحتلالها مصر .

٥) فرضت على الحاكم إتفاقية تحـريم إستيراد السلاح بدعوى إيقاف الحروب بين القبائل وإشتركت معها ايران فى توقيع هذه الاتفاقية وبذلك قضت تماما على القوة الحربية لآل خليفة و غيرها من حكام الامارات العرب ، فأصبح لامفر لهم من التسليم والاذعان التام لبريطانيا .

وها هو نص الاعلان الذى أعلنه شيخ البحرين لمواطنيه بخصوص تحـريم حمل السلاح :

« ليكن معلوما لكل من يرى هذا أن السفن الحربية البريطانية والفارسية لها إذن تفتيش السفن التى تحمل أعلامهم وأعلامنا فى الميـاه الاقليمية للبحرين ومصادرة كل الأسلحة والذخائر إذا كانت هذه الاسلحة أو الذخائر ستصدر الى موانئ هندية أو فارسية أو جزر البحرين » .

وقد سمحت الاتفاقية للسفن الحربية الايرانية بحق تفتيش السفن لسبب بسيط وهو أنه لا توجد سفن حربية فارسية تمارس هذا الحق فى الاتفاقية بينما أصبحت لبريطانيا الحرية بمقتضى هذه الاتفاقية أن تتحـكم وتفتش سفن الفرس وتقضى على قوة القبائل الذين يسكنون الساحل الفارسى .

٦) أقيمت دار المعتمد البريطانى فى البحرين ليباشر سلطاته الفعلية نظـراً لبعد المقيم البريطانى فى الخليج ولاتساع نطاق اختصاصاته .

٧) إرتبط البحرين نهـائياً بالمستعمر البريطانى فى الهنـد حينما نفذت التشريعات السارية المفعول فى الهند و كعادة بريطانيا فى اتباع سياسة فرق تسد أثارت النزعة المذهبية بين الطائفتين ـ السنة والشيعة ، فانتشرت الفوضى و أجبر الحاكم على التنازل عن الحكم .

وأهم التعهدات التى وقعها الشيخ عيسى بن على مايلى :

فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠

« أتعهد أنا عيسى بن على آل خليفة حاكم البحرين بالاصالة عن نفسى وعن خلفائى فى حكم البحرين ـ أتعهد الى الحكومة البريطانية بأن أمتنع عن الدخول فى مفاوضات أو عقد إتفاقيات من أى نوع مع أية دولة أو حكومة إلا بريطانيا

دون رضا الحكومة البريطانية ، وأن أرفض الاذن لأية حكومة أخرى إلا الحكومة البريطانية لأقامة وكالات دبلوماسية أو قنصلية أو مخازن للفحم فى أراضينا إلا برضا الحكومة البريطانية » ولا ينطبق هذا التعهد كما لايؤثر فى المراسلات العادية الودية مع السلطات المحلية أو الدول المجاورة فى الشئون القليلة الأهمية .

هذا الاتفاق برضى وموافقة سمو نائب الملكة والحاكم العام للهند .

وقع وختم فى البحرين فى ٢٢ ديسمبر سنة ١٨٨٠ فى حضور الليفتننت كولونيل ج . س . روس المقيم البريطانى فى الخليج وبحضور الشيخ احمد بن على .

وافق على هذه الاتفاقية نائب صاحبة الجلالة البريطانية فى سنة ١٨٨١.

فى ١٣ مارس سنة ١٨٩٢

« أقر أنا عيسى بن على حاكم البحرين فى حضور الليفتننت كولونيل ا.س. كالجو المقيم السياسى فى الخليج وأوافق وأرتبط بالاصالة عن نفسى والوارثين لى وخلفائى بالشروط الآتية :

١) أنى لن أدخل تحت أية ظروف فى اتفاق أو مراسلة مع أية قوة إلا الحكومة البريطانية .

٢) أنى لن أتصل بمندوب أية حكومة دون موافقة الحكومة البريطانية التى يمثلها المقيم البريطاني .

٣) أنى مهما كانت الظروف لن أهب أو أبيع أو أرهن أو أتنازل عن اى جزء من أراضى إلا للحكومة البريطانية .

البحرين فى ١٣ مارس سنة ١٨٩٢ الموافق ١٤ شعبان سنة ١٣٠٩

عيسى بن على	أ. س. كالجو	لانسداون
حاكم البحرين	المقيم البريطانى	نائب الملكة وحاكم الهند

تعهد شيخ البحرين بخصوص البترول سنة ١٩١٤ (خطاب منه بتاريخ ١٨ جماد الآخرة سنة ١٣٣٢ الموافق ١٤ مايو سنة ١٩١٤)

« من الشيخ عيسى بن على آل خليفة شيخ البحرين الى ماجور أ. ب. تريفور المعتمد البريطانى فى البحرين .

لقد استلمت كريم خطابكم تحت رقم ٥٣١ بتاريخ ١٨ جماد الآخرة الموافق ١٤ مايو سنة ١٩١٤ بخصوص امكانية الحصول على البترول فى البحرين ، وكما أخبرت جنابكم فى خطابى بتاريخ ١٧ جماد الآخرة سنة ١٣٣٢ أنه حين يحين الوقت للحصول على البترول فأنى سأستشير دار المعتمد البريطانى وأكرر هنا لكم أنه إذا كان هناك أدنى أمل فى الحصول على البترول فى البحرين فأننى لن أستثمرها بنفسى ولن أقبل عروضاً أيا كانت دون إستشارة المعتمد البريطانى فى البحرين أو موافقة الدولة العلية (يقصد بريطانيا) »

هذا مايصح أن يقال ودمتم والسلام .

(توقيع) عيسى بن على
حاكم البحرين

البحرين فى عهد الشيخ حمـــد بن عيسى (١٩٢٣ — ١٩٤٢)

كان خلع الشيخ عيسى بسبب اجراءات المجلس التنفيذى التى أرادت بريطانيا تنفيذها فى البحرين ولذا فأنه بمجرد خلع الشيخ عيسى وتعيين ابنه الشيخ حمـد انشأت دائرة للمـــالية يرأسها بريطانى و تأسس بنك بريطانى ثم البنك الشرقى ليكون بمثابة بنك مركزى ، و تحدد مخصصات للحاكم وأسرته سميت القائمة المدنية ، كما طبقت القوانين السارية فى الهند عــــلى أن يحل المقيم البريطانى محل الحاكم العام للهند ، وجميع الأحـــكام فى القضايا المدنية والعسكرية لابد أن ترد الى المعتمد البريطانى لأقـــرارها ، كما يحق للمقيم البريطانى أو المعتمد البريطانى أو مساعده أن يحكم على أى فرد بالنفى أو السجن بعد أن يقـــوم هو بمحاكمته وجميع الرعايا الأجانب خاضعون للقضاء البريطانى ، ولذلك أصبح للمعتمد البريطانى فى البحرين سلطات واسعة ، إذ له حـــق نفى أو سجن أى شخص يشتبه أن له ميولا خطيرة ، كذلك من حق المقيم البريطانى أن يصدر القوانين واللوائح التى تسمى اللوائح الملكية المتعلقة بالتجارة أو الايراد أو أى شأن من شئون البحرين ، حتى الـــنزاع المحلى بين المواطنين من البحرين للمعتمد البريطانى أن ينظر فيه بمساعدة الحاكم أو يحيله الى المحكمة .

و من الطبيعى أن تلق هـــذه التشريعات معارضة من شعب البحرين الذى طـــالب بما يأتى :

١) استمرار الحكومة المحلية دون تدخل من المعتمد البريطانى .

٢) إعادة القوانين الشرعية المتمشية مع دين وتقاليد البلد .

٣) إنتخاب مجلس يضمن حقوق الشعب .

٤) تـــكوين محكمة تبحث فى شئون الغوص وتتكون من أشخاص لهـم دراية بمشاكل هذه الحرفـة .

٥) بذل المحاولات لمنـــع المعتمد البريطانى من التدخل فى شئون البحرين الداخلية .

وقد قامت بريطانيا بحركة بطش للزعماء المعارضين فنفت بعضهم الى الهنـــد وسجنت البعض الآخر ، و قد كانت بريطانيا فى وضع مكنها من القضاء عـــلى أية مقاومة شعبية وتنفيذ رغباتها فى سهولة ويسر .

البحرين والمملـــكة العربيـــة الســـعودية

بيـــنما كان نجـــم الدولة العثمانية فى افول و تخلصت بريطانيا بذلك من منافس خطير ، كانت هناك قـــوة ناشئة قد ظهرت فى شبه الجـزيرة العربية هى قوة السعوديين بقيـــادة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذى استطاع أن يقضى على قوة ابن رشيد الوالى من قبل العثمانيين واستولى على نجد ثم الاحساء فى مايو سنة ١٩١٣ ، وبذلك أصبح يسيطر على الاقليم المطل عـــلى الخليج و أزاح تركيا من مسرح الحوادث فيه ، كما قضى على ماتبقى لها من هيبة فى شبه الجزيرة العربية ، لذا أسرعت تركيا الى اعلان تنـــازلها عن مناطق كانت تسيطر عليها مثل قطر و أخرى كانت تطالب بها كالبحرين فى الاتفاقية التى عقدتها مـــع بريطـــانيا فى ٢٩ يوليو سنة ١٩١٣ ، التى تنص على تنـــازل تركيا عن المطالبة بالبحرين و على إعتبار رعايا البحرين غـــرباء فى المقاطعات العثمانية يستطيعون المطالبة بحمايتهم من القنصليات البريطانية التى ستمارس هذه الحماية حسب القواعد العامة للقانون الدولى على ألا يحصل رعايا البحرين على الامتيازات التى يحصل عليها الأجانب من الدول الـــكبرى .

ولقد كان من الممكن أن يكون ظهور قوة ابن سعود على مسرح الحوادث

عامل قلق للنفوذ البريطانى لولا دخول تركيا الحرب ضد بريطانيا سنة ١٩١٤ ، وإسراع الأخيرة الى مناصرة ابن سعود والاعتراف به حاكما وعقد اتفاقية معه فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ أهم نصوصها :

أن تعترف بريطانيا بأبن سعود وخلفائه طالما أنه لايتخذ موقفاً عدائياً من بريطانيا العظمى وتعترف به كحاكم مستقل فى الأراضى التى يحكمها وتوابعها وموانيها وسواحلها وكحاكم مطلق على القبائل التى تسكنها .

وينص البند السادس أن يمتنع ابن سعود عن اتخاذ موقف عدائى ضد امارات الكويت والبحرين و شيوخ ساحل عمان الذين تربطهم بالحكومة البريطانية معاهدات على أن تبحث حدود هذه الامارات العربية المستقلة وكذلك حدود ممتلكات ابن سعود فى تاريخ لاحق ليتفق الطرفان على اتفاقية أكثر تفصيلا.

وقد وعدته بريطانيا فى هذه الاتفاقية بالمساعدة ضد أية قوة خارجية تعتدى على ممتلكاته ، وفى مقابل ذلك تعهد ابن سعود ألا يدخل فى علاقات مع أية دولة أجنبية إلا بريطانيا ولايؤجر جزءا من أراضيه ولايمنح إمتيازات لأية دولة أجنبية دون استشارة الحكومة البريطانية على ألا يكون فى ذلك اضرار بمصالحه و وعدت بريطانيا أن تقدم له ٥٠٠٠ جنيه شهرياً من خزانة الحكومة البريطانية تدفعها حتى ٣١ مارس سنة ١٩٢٤ . و بذلك ضمنت بريطانيا ألا تكون القوة الجديدة الصاعدة فى شبه الجزيرة العربية من القوى المعارضة لها ، و لم تنته الحرب العالمية الأولى الا و أصبحت بريطانيا مرة ثانية القوة الوحيدة فى الخليج العربى .

ولما كانت قوة ابن سعود هى أكبر قوة فى شبه الجزيرة العربية فأن بريطانيا قد سوت أمورها معه فى معاهدة جديدة هى معاهدة جدة المعقودة فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ وقد ورد فى المادة السادسة منها مايلى :

يتعهد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على العلاقات الودية السليمة مع حكومتى البحرين والكويت و مع شيوخ قطر وساحل عمان الذين تربطهم بحكومة صاحب الجلالة البريطانية معاهدات خاصة .

وهكذا استقرت الأوضاع بالنسبة للسيطرة البريطانية على الخليج ، ولم تكن قوة ابن سعود تشكل فى أى يوم أى خطر أو تهديد للنفوذ البريطانى فى البحرين أو الكويت أو ساحل عمان .

و جدير بالذكر أن فارس إحتجت على هذا النص من الاتفاقية فى مذكرة سلمتها الى السفير البريطانى فى طهران فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧ ، و إدعت فى هذه المذكرة أنها كانت تمتلك الجزيرة فى كل تاريخ البحرين ماعدا فى فترة الغزو البرتغالى من سنة ١٥٠٧ الى سنة ١٦٢٢ ، وأنه لم يكن لشيوخ البحرين صفة الاستقلال وأن مثلهم كمثل الخانات المحليين فى بعض أجزاء ايران ، فأنهم كانوا يتوارثون الحكم وأنه لم يكن هناك تمرد من الخان أو الحكام أو الشيوخ على الحكومة المركزية وقد يحاربون بعضهم بعضاً و لكنهم خاضعون للسلطة المركزية ، وأن تمردهم على السلطة المركزية لم يكن إلا بايعاز من حكومة أخرى.

وإدعت ايران أن بريطانيا قد اعترفت بذلك فى معاهدة شيراز التى وقعها الكابتن بروس فى ٣٠ أغسطس سنة ١٨٢٢ ، وأن الرسائل المتبادلة بين وزير الخارجية البريطانية وممثل ايران لدى بلاط سان جيمس فى ٢٩ أبريل سنة ١٨٦٩

فيها إعتراف بحق ايران وأن تدخل دولة أجنبية ومساعدتها لشيوخ ثائرين لايغير الوضع فأن هذه الاتفاقيات بين هؤلاء الحكام المحليين وبين بريطانيا ليست شرعية ، وأن ايران لم تتنازل عن سيادتها عن الجزر لدولة أخرى — فلم تعترف بالشيوخ كحكام مستقلين .

وقد رد تشمبرلين وزير الخارجية فى ١٨ يناير سنة ١٨٢٨ أن تاريخ البحرين قبل سنة ١٨٠٧ كان غامضاً حين استولى عليها العرب والمغول و شملتها فوضى القرون الوسطى ، وأن الغزو الايرانى بدأ سنة ١٦٢٢ وانتهى سنة ١٧٨٣ وأن حكم الفرس انتهى ولايمكن أن يقوم ثانية ، وأن إستقلال البحرين عن ايران قد تم سنة ١٧٨٣ ، و أن على ايران أن تثبت أنها كانت المالكة الشرعية للبحرين وأنها لم تكن مجرد غازية تمارس سلطتها بالقوة مثلها فى ذلك مثل البرتغال ، وأن محاولة ايران هذه تهديد خطير للسلام العالمى ، وأنه خلال ١٤٥ سنة من حكم آل خليفة لم تمارس ايران سيادتها بل مارس الشيوخ استقلالهم التام ، ولا يغير من الواقع شيئاً الا تكون هناك وثيقة عليها توقيع ايران وفيها اعتراف منها باستقلال البحرين ، وأن بريطانيا حينما بدأت الدخول فى معاهدات منذ سنة ١٨٢٠ دون إشارة الى حكومة الشاه ، فهذا على افتراض أن الشيخ حاكم مستقل وأن بريطانيا لم توافق على معاهدة شيراز سنة ١٨٢٢ ولم توقعها وسحبت ممثلها فى الخليج لمجرد انه اعترف بحكم ملك ايران على البحرين ، وأنه فى مذكرة كلاريندون فى ٢٩ أبريل سنة ١٨٦٩ لم تشتمل هذه المذكرة على أدنى اعتراف من وزير الخارجية البريطانية بسيادة ايران كما تدعى الحكومة الايرانية و أن التطور السلمى للجزيرة ورخاء الرعايا العرب يجب ألا تعكره خطوات لامبرر لها من جيرانها بأخضاعهم لسيطرة أجنبية .

و قد أرسلت ايران مذكرة أخرى فى ٢ أغسطس سنة ١٩٢٨ لتأكيد سيادتها على البحرين و ردت الحكومة البريطانية عليها فى ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩ (١) .

وقد إحتجت ايران لدى عصبة الأمم فى مذكرة وزعتها على الدول الأعضاء وطلبت ضمان حقوقها المشروعة فى البحرين ولكن عصبة الأمم خيبت ايران بردها ان شعب البحرين من العرب وليس من الفرس .

وفى هذه الحقبة من الزمن كانت البحرين تتطور من حياة البداوة الى حياة الحضارة الحديثة وشملتها مظاهر النهضة والمدنية ، فأعترضت ايران على اتباع هذه المظاهر المدنية الحديثة فى البحرين وخصوصاً تحديد الجنسية البحرينية وضرورة الحصول على جواز للسفر الى الخارج و على تأشيرة لدخول البحرين وهى اجراءات لم تكن معروفة من قبل ، وإصلاحات أخرى متبعة فى كل الدول الحديثة كتسجيل الأراضى ، وقد صدر قانون بذلك فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ، الذى ينص على امتلاك الأراضى لا يكون إلا لرعايا البحرين ـ واستثنى البريطانيون من هذا التحريم — كذلك أنشئت المجالس البلدية و انتشرت المدارس المدنية حيث تأسست أول مدرسة ابتدائية مدنية تدرس العلوم الحديثة سنة ١٩١٩ ، والتعليم فيها باللغة العربية بطبيعة الحال فأعترضت ايران على هذه الاجراءات الجديدة وإعتبرتها علامة على تغيير الوضع لطمس أحقيتها فى البحرين وتضييق الخناق على الايرانيين فيها و إجبارهم على التجنس بالجنسية البحرينية الجديدة ، حتى التعليم وفتح المدارس اعتبرته محاولات من التعريب

1) Dr. F. Adamiyat : The Bahrain islands P.112.

الأجبارى فرضت فرضاً على المجتمع البحرينى كما لو كان شعب البحرين يتحدث الفارسية ، أو أن العلوم فى المدارس كانت تدرس باللغة الفارسية ، وإدعت تعمد آل الخليفة أن يمحوا القومية الفارسية ويستبدلوا بها قومية عربية ولغة عربية وهذا مالم يزعمه أحد فكيف تكون هذه المحاولات من التعريب الاجبارى ؟ ان التعليم تطور فى البحرين من تعليم دينى بحت كانت تقوم به الكتاتيب الى مدارس حديثة تدرس علوما دنيوية ، مع أن ايران تعترف دائماً أن اللغة السائدة فى البحرين فى كل العصور هى اللغة العربية ، بدليل محاولة الدكتور آدميات أن يقلل من عامل اللغة كعامل هام فى تحديد تبعية اقليم ما لدولة .

الى هذا الحد تتضح نيات ايران نحو البحرين من الاعتراض على أى تغير فيها ، حتى لو كان التغير اصلاحات لابد منها لنهضة البحرين والسير بها فى ركب التقدم والمدنية الحديثة .

الفصل الخامس

أثر البترول فى تحديد الوضع السياسى للبحرين

يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة »

حين احاول أن أحلل عناصر قواتنا ـ لا أجد مفراً من أن أضع ثلاثة مصادر بارزة من مصادرها يجب أن تكون أول ما يدخل فى الحساب :

أ) أول هذه المصادر أننا مجموعة من شعوب متجاورة ومترابطة بكل رباط مادى ومعنوى يمكن أن يربط مجموعة من الشعوب ، وأن لشعوبنا خصائص ومقومات وحضارة إنبعثت فى جوها الأديان السماوية المقدسة الثلاثة ، ولا يمكن قط إغفالها فى محاولة بناء عالم مستقر يسوده السلام .

هذا هو المصدر الأول .

ب) أما المصدر الثانى فهو أرضنا نفسها ومكانها على خريطة العالم ذلك الموقع الاستراتيجى الهام الذى يعتبر بحق ملتقى طرق العالم ومعبر تجارته وممر جيوشه .

ج) يبقى المصدر الثالث وهو البترول الذى يعتبر عصب الحضارة المادية والذى بدونه تستحيل كل أدواتها : المصانع الهائلة الكبيرة لكافة أنواع الانتاج ، وسائل المواصلات فى البر والبحر و الجو ، أسلحة الحرب سواء فى ذلك الطائرات المحلقة فوق الضباب أو الغواصة المتسترة تحت أطباق الموج

تستحيل كلها قطعاً من الحديد يعلوها الصدأ لا تنبعث منها حركة أو حياة .

وبودى لو وقفت قليلا عند البترول فلعل وجوده كحقيقة مادية تقررها الأحصائيات والأرقام يصلح ليكون نموذجا للمناقشة فى أهمية مصادر القوة فى بلادنا .

ولقد قرأت أخيراً رسالة طبعتها جامعة شيكاغو عن ظروف البترول وبودى لو كان لكل فرد من أفراد شعوبنا أن يقرأها و يتدبر معانيها ويسرح بفكره فى المعنى الكبير الكامن وراء أرقامها وإحصائياتها .

تقرر هذه الرسالة مثلا أن العمل لاستخراج بترول البلاد العربية لا يتكلف كثيراً من المال .

لقد صرفت شركات البترول ستين مليونا من الدولارات فى كولومبيا ابتداء من سنة ١٩١٦ ولم تعثر على قطرة زيت إلا فى سنة ١٩٣٦ .

وصرفت هذه الشركات ٤٤ مليونا من الدولارات فى فنزويلا و لم تحصل على قطرة من الزيت إلا بعد مرور ١٥ سنة .

وصرفت هذه الشركات ٣٩ مليونا من الدولارات فى جزر الهند الهولاندية وأخيراً عثرت على الزيت .

و كانت النتيجة الأخيرة التى قررتها هذه الرسالة فى هذا الموضوع :

أن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا هو ٧٨ سنتا .

وأن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى أمريكا الجنوبية

هو ٤٣ سنتا .

وأن رأس المال المطلوب لاستخراج برميل من الزيت فى البلاد العربية هو ١٠ سنتات .

ان عاصمة انتاج البترول فى العالم قد انتقلت من الولايات المتحدة التى استنزفت آبارها وإرتفع سعر الأرض بها و زادت أجور الأيدى العاملة لأبنائها الى المنطقة العربية التى ما زالت آبارها بكراً ، والتى مازالت أراضيها الشاسعة بلا ثمن والتى مازالت يدها العاملة تقبل مادون الكفاف .

و لقد ثبت أن نصف الاحتياطى المحقق من البترول فى العالم يرقد تحت أرض المنطقة العربية ، والنصف الباقى موزع بين الولايات المتحدة و روسيا ومنطقة الكاريبى وغيرها من بلاد العالم .

وثبت أيضاً أن متوسط إنتاج البئر الواحدة فى اليوم من الزيت هو :

١١ برميلا فى الولايات المتحدة .

٢٣٠ برميلا فى فنزويلا

٤٠٠٠ برميلا فى المنطقة العربية .

هل أوضحت مدى أهمية هذا العنصر من عناصر القوة ؟ ارجو أن أكون قد وفقت !.

لم تعد أهمية الشرق الأوسط تبدو فى موقعه الأستراتيجى فحسب بل أصبحت أهميته تتركز فى البترول وأصبح الصراع الدولى يهدف الى الاستيلاء على مناطق انتاجه

تبدأ قصة البترول فى البحرين سنة ١٩٢٥ حينما منح الشيخ حمــد بن عيسى ترخيصاً للبحث عن البترول الى شركة انجليزية تسمى شركة التعاون الشرقية العامة (١) ، وقد سمح لها أن تنقب عن البترول فى مساحة قدرها ١٠٠ الف فدان ، غير انه نظــراً للصعوبات المالية التى اعترضت سبيل الشركة فقد عجزت عن الاستمرار فى العمل ، فعمدت الى عرض إمتيازها للبيع على الشركات الكبيرة فرفضته شركة البترول الأنجلو ايرانية بعد أن قــرر خبراؤها الجيولوجيون عدم وجود البترول فى البحرين وفى سنة ١٩٢٧ قبلت الامتياز شركة أمريكية تسمى شركة بترول الخليج ، ولما كانت هذه الشركة مساهمة فى الشركة العراقية ومقيدة بأتفاقية الخط الأحمر فقد كانت ملزمة أن تعرض الأمر على شركائها فى الشركة العراقية الذين رفضوا القيــام باستغلال بترول البحرين مباشرة ، و حتموا على الشركة الأمريكية المذكورة ان تعرض ماتستخرجه من البترول فى البحرين على شركائها فى الشركة العراقية لبيعه لهــم حسب شروط إتفــاقية الخط الأحمر ، ففضلت الشركة الأمريكية التنازل عن الامتياز وتقدمت شركة امريكية اخرى هى الشركة استناندرد اويل أوف كاليفورنيــا وإشترت الامتياز سنة ١٩٢٨ ، وهذه الشركة ليست مساهمة فىالشركة العراقية ولا مقيدة بأتفاقية الخط الأحمر وبدأت تفــاوض حكومة البحرين لتحديد شروط الامتياز فعارضتها السلطات البريطانية بدعوى ان حاكم البحرين لا يستطيع تحويل الامتياز الى شركة اخرى غير بريطانية ، فتدخلت وزارة الخارجية الأمريــكية لتسند الشركة بدعوى ان تصرف بريطانيا تدخل سياسى فى مبدأ حرية المنافسة الاقتصادية ، وبذلك امكن للشركة ان تذلل هذه العقبة ومع ذلك فأن الحكومة البريطانية ارادت ان تملى على الشركة شروط الامتياز من اجل ان تضع فيه شروطاً تضمن بها الرقابة على اعمال

1) *Eastern and General Syndicate Co.*

الشركة التى لم توافق على الشروط ، وتدخلت وزارة الخارجية الأمريكية وبعد مفاوضاتمع وزارة المستعمرات البريطانية توصل الطرفان الى حل وسط خلاصته أنتقوم الشركة الأمريكية بتسجيل عقد امتيازها فى كندا التابعة للكومنولث البريطانى وبذلك تأسست الشركة سنة ١٩٣٠ وسميت بأسم شركة نفط البحرين (بابكو) وشمل امتيازها مساحة مائة الف فدان .

و قد تضمن الأمتياز شروطاً تضمن لبريطانيا نوعا من الرقابة على أعمال الشركة من ذلك مثلا تعيين بعض كبار موظفى الشركة من الانجليز و أن أغلبية المستخدمين من الرعايا البريطانيين و بمجرد أن توصلت الشركة الى اكتشاف البترول سنة ١٩٣٢ ، أرادت شركة البترول الانجلو ايرانية ان تحاول الحصول على امتياز فى الأراضى التى لم يشملها امتياز الشركة الأمريكية ولما كانت الشركة الانجلو ايرانية مقيدة باتفاقية الخط الأحمر فقد عرضت الأمر على شركائها فعارضه الأعضاء الأمريكيون معارضة شديدة ، ولم تؤدى المفاوضات الى نتيجة حاسمة حتى سنة ١٩٤٠ عندما تمكنت الشركة الأمريكية من الحصول على تعديل لأمتيازها الأول الذى شمل جميــع أراضى البحرين ومياهها الاقليمية ومدة الامتياز ٥٥ سنة ابتداء من ١٩ يونية سنة ١٩٤٠ تنتهى سنة ١٩٩٥ ، وقد كشف البترول فى البحرين لأول مرة سنة ١٩٣٢ ، ولكنه لم يستخرج بمقادير تجاريه إلا سنة ١٩٣٤ حيث شحنت أول شحنة منه الى الخارج .

ولما كانت شركة كاليفورنيا صاحبة الامتياز لاتمتلك منظمات تسويق فى أوربا و الشرق لهذا لم يكن فى امكانها تسويق بترول البحرين على نحو يتفق مع مصالحها ، فتفاوضت مع شركة تكساس سنة ١٩٣٦ وتنازلت للاخيرة عن نصف

أسهم الشركة مقابل أن تساهم شركة كاليفورنيا فى منظمات التسويق التى تمتلكها وتديرها شركة تكساس فى المناطق الواقعة شرق قناة السويس وبذلك أصبح امتياز البترول فى البحرين للشركتين المندمجتين كاليفورنيا وتكساس (كالتكس).

وقد احتجت ايران كعادتها على منح الامتياز وإعتبرته غير سليم، كما احتجت ثانية حينما بدأ شحن البترول سنة ١٩٣٤، و إعتبرت أنه لا يترتب على منح الامتياز أى أثر قانونى بالنسبة لدعواها و أن لها الحق فى المطالبة بتعويض كامل، وقد رد وزير الخارجية أن ليس لدى بريطانيا ماتضيفه فى هذا الموضوع بعد أن سبق لها أن أوضحت الأمر فى مذكرات سابقة.

اكتشاف البترول وأثره فى الوضع السياسى للبحرين

لقد كان لاكتشاف البترول عميق الأثر من الناحية السياسية فى كيان البحرين اكثر من أية دولة أخرى منتجة له للاسباب الآتية:

(١) ان عقد امتياز منح البترول هو بين شركة أمريكية وبين محمية تعهد شيخها ألا يمنح أى امتياز للتنقيب عن البترول إلا لشركة بريطانية، ولذا تعطلت المفاوضات بين الشركة والجهات المسئولة فى البحرين عند بدء التنقيب أكثر من مرة حتى تم الاتفاق على تسجيل الشركة فى كندا لا فى الولايات المتحدة مقر الشركة الرئيسى، كما لو كان العقد مبرما بين الحكومتين الأمريكية والبريطانية وحصلت بريطانيا على قدر من المميزات كما لو كان البترول يستخرج من أرض بريطانية محضة، أما مصالح البحرين فلم تكن موضع اعتبار فى هذه

المفاوضات اذ يستوى أن يكون تسجيل الشركة فى الولايات المتحدة أو فى كندا بالنسبة للبحرين.

وبينما تجاهد كل الدول المنتجة للبترول التى تنعم بأستقلال سياسى أن يكون المقر الرئيسى للشركة فى أراضيها حتى تستفيد من الضرائب على الشركة الدولية المنتجة للبترول لا الدولة التى تنتمى اليها جنسية الشركة، فأن بريطانيا قد استفادت من ذلك على حساب كل من البحرين والولايات المتحدة.

(٢) تجاهد كل دولة من الدول المنتجة للبترول على أن ينص فى عقد الأمتياز على استخدام نسبة معينة من الموظفين والعمال الوطنين فى أعمال الشركة ومرة أخرى كان هذا النص لصالح بريطانيا دون مراعاة لصالح البحرين، إذ نص عقد الشركة على استخدام أكبر عدد ممكن من الموظفين البريطانيين فى المراكز الرئيسية للشركة.

(٣) ينفرد عقد شركة بترول البحرين دون سائر شركات البترول فى الدول المنتجة له بتخصيص أوجه صرف الدخل الذى يدفع لحكومة البحرين، فثلث للاسرة الحاكمة و ثلث لدوائر الحكومة و يستثمر الثلث الباقى كأحتياطى لحساب حكومة البحرين فى لندن.

وهكذا اقحم هذا النص الشركة فى صميم الشئون الداخلية للبحرين والتصرف فى النواحى المالية فضلا عن الفائدة التى جنتها بريطانيا من وضع الاحتياطى فى بنك بريطانى.

وبذلك تكون بريطانيا قد استفادت من عقد الامتياز أكبر فائدة ممكنة على

حساب البحرين ، ولو كانت حكومة البحرين هى التى كسبت هذه المغانم التى غنمتها بريطانيا من عقد الامتياز لأعتبر هذا العقد من أفضل عقود الأمتياز وأكثرها كسباً للبحرين .

(٤) وينص عقد الأمتياز على أنه يشمل جميع أراضى البحرين وتوابعها وما قد يؤل الى حاكها فى المستقبل ومياهها الاقليمية ، ولا شك أن هذا النص تفرضه صغر مساحة البحرين وإن كان قد مكن للشركة فى الشئون الداخلية إذ أنه جعل استثمار البترول احتكارا لهذه الشركة دون غيرها ، و ضاعت على البحرين فرصة أن تستفيد من المنافسة القائمة بين شركات البترول لزيادة حصتها من دخله كما حدث مثلا فى المملكه العربية السعودية أو فى الكويت التى استطاعت بالرغم من صغر مساحتها أن تمنح عقداً آخر للامتياز من شركة يابانية مقابل رسوم أعلى من الرسوم التى تدفعها لها الشركة الانجليزية .

وقد اكتشف البترول أخيراً سنة ١٩٥٨ فى المياه الاقليمية للبحرين بعد معاهدة وقعت بين المملكة العربية السعودية وبين البحرين لتحديد المياه الاقليمية لكل منها وبدلا من أن تستفيد البحرين من الصراع القائم بين شركات البترول لاسيما بعد أن دخلت الميدان شركات إيطالية و يابانية ، كان لزاما على حكومة البحرين وفقاً لعقد الامتياز الممنوح لشركة نفط البحرين أن تتولى الأخيرة استثمار البترول فى المياه الأقليمية بنفس الشروط السابقة .

و لم يكن سريان عقد الامتياز على كل أراضى البحرين ومياهها الاقليمية مجرد احتكار فى استخراج البترول فى البحرين فحسب بل أنه مكن الشركة فى صميم النواحى الداخلية للحكومة وأصبح لايسمح بحفر بئر للمياه إلا بعد

استئذان الشركة بدعوى أن ذلك قد يؤثر على منسوب البترول فى باطن الأرض كما أصبح بالتالى لا يسمح بانتشار الزراعة لأن الشركة قد تقوم بأعمال الحفر والتنقيب فى المنطقة التى يزمع زراعتها ولأن انتشار الزراعة سيؤدى حتما الى امتصاص عدد من الأيدى العاملة فيقلل من نسبة العرض من العمال على الشركة وبالتالى إرتفاع اجورهم فيها .

وهكذا أصبح الرقى والعمران واستثمار الاراضى البور و استغلالها للزراعة والبناء رهنا بمشيئة الشركة وإرادتها وهو أمر غير معروف فى أية دولة أخرى منتجة للبترول .

الولايات المتحدة و بريطانيا وجهاً لوجه فى البحرين

من نافلة القول الاشارة أن أية شركة للبترول تسندها الحكومة التى من نفس جنسيتها ، و قد اكتفت الولايات المتحدة قبل الحرب العالمية الثانية باستخدام نفوذها السياسى لمناصرة شركاتها فى صراعها مع الشركات أو الدول الأخرى ، وفى خلال الحرب العالمية الثانية اتخذت الولايات المتحدة خطوات أكثر ايجابية للتدخل فى شئون انتاج البترول وتسويقه إذ أعدت منظمة الاحتياطى للبترول مشروعا فى سنة ١٩٤٤ ينص على ان تقوم الحكومة الأمريكية بمد أنابيب البترول من ساحل الخليج العربى الى البحر الأبيض عبر السعودية مقابل أن تحتفظ حكومة الولايات المتحدة بألف مليون برميل من احتياطى البترول الخام تحت تصرفها لاستخدامه لقواتها البحرية بسعر ينقص ٢٥ ٪ عن سعر السوق ، وأن يكون للولايات المتحدة الحق فى شراء بعض أو كل انتاج بترول الشركات الأمريكية وقت الحرب بالسعر الذى تحدده هى وألا تبيع هذه

الشركات النفط لأية شركة أو لدولة اخرى إلا بعد احاطة السلطات الامريكية علماً بذلك وموافقتها .

وبالرغم من أن هـــذا المشروع قد لقى إنتقاداً فى الولايات المتحدة نفسها من الكونجرس الأمريكى وكبار المساهمين فى شركات البترول والمجلس الحربى لصناعة البترول كما إعتبره البعض يزعزع التحالف الأمريكى البريطانى وقت الحرب بالاضافة إلى أنه خرق لمبـــدأ الحرية الفردية فى شئون الاقتصـاد الذى تسير عليه الولايات المتحدة فـأن المشروع يعبر بوضوح عن اهتمام الولايات المتحدة بشئون بترول الشرق الأوسط ورغبتها فى السيطرة على دوله .

ولما كان هذا المشروع تهديداً مباشراً لمصالح بريطانيا فقد دخلت الدولتان فى مباحثات بشأن بترول الشرق الأوسط أدت الى عقد اتفـــاقية فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ .

عـــلى أن هذا الاتفاق بين الدولتين لايعنى أن الولايات المتحدة قد كفت عن سياستها القائمة على مساندة شركاتها وبسط نفوذها السياسى على الدول المنتجة للبترول ، فقد قدمت الى المملكة العربية السعودية قرضاً بعد نهاية الحرب قيل فى تبريره فى الكونجرس الأمريكى أنه لحماية امتياز أرامكو .

أما بريطـــانيا فأنها قد سبقت الولايات المتحدة فى التدخل المباشر فى شئون الدول المنتجة للبترول ويتضح ذلك من الالتزام الذى فرضته عـــلى حاكم البحرين لتحتكر بريطانيا البترول ، وكذلك من محاولاتها السيطرة عـلى شئون ايران بعد أن إشترت ٥٦ ٪ من أسهم شركة البترول الانجـــلو ايرانية دون اخطار الحكومة الايرانية وتهديدها ايران سنة ١٩٣٢ باتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية

الشركة حينما هددت الحكومة بالغـــاء الامتياز بعد محاولات الشركة التهرب من الالتزامات المفروضة عليها .

وحينما قررت الحكومة البريطانية خفض قيمة الجنيه الاسترلينى سنة ١٩٤٩ الأمر الذى ترتب عليه ازدياد نفقات شركات البترول البريطـانية التى تحصل على معظم آلاتها و معداتهـــا من الولايات المتحدة ، فضلا عن زيادة قيمة ماتدفعه بريطانيا بالدولارات فى شركات البترول الامريكية ، التى لهـا نصيب الأسد بين شركات البترول وبالتالى تناقص نصيب بريطانيا من الدولارات ، فقد قـــررت وزارة الوقود البريطانية خفض نسبة تتراوح بين ٥ ٪ و ١٠ ٪ ممـــا تنفقه من دولارات على البترول وأوعـــزت الى دول الكومنولث وكتلة الاسترلينى أن تتخذ قراراً مماثلا .

وليس هذا القرار مجرد قيود تفرضها الحكومة البريطـانية عـلى الاستيراد من منطقة الدولار بأعتباره عملة صعبة إذ أن الآثار التى ترتبت عـلى هذا القرار أبعد من ذلك ، إذ اضطرت دول كتلة الاسترلينى لا أن تخفض من حاجتهـــا الى البترول لاستحالة ذلك بـل الى زيادة تنمية ماتشتريه من البـترول الاسترلينى أى البترول الذى تنتجه الشركات البريطـانية و بذلك مكنت بريطانيا شركتها من زيادة توزيع انتاجها فى المنطقة الاسترلينية .

وعلى أثر هذا القرار الذى يضر بمصالح الشركات الأمريكية ، إتفقت شركتا كالتكس التى تشرف على استخراج البترول فى كل من المملكة العربية السعودية والبحرين مع الحكومة البريطانية سنة ١٩٥٠ ، أن تقوم ببيع قسم من بترولهـا مقابل جنيهات استرلينية تستخدمها الشركة فى شراء بعض نفقاتهـا من المعدات

والخدمات من منطقة الاسترليني .

ولقد كان الصراع بين الشركات الأمريكية والبريطانية قائماً على المنافسة فى الحصول على امتيازات للبترول فى الدول المنتجة له ، غير أنه بعد محاولة ايران تأميم بترولها وما أعقب ذلك من الاطاحة بحكومة مصدق التى أعلنت التأميم ، حل اتحاد شركات بترول ايران محل شركة البترول الانجلو ايرانية ، أى انه بعد أن كانت ايران منطقة لنفوذ الشركات البريطانية من مدة طويلة دخلت الشركات الأمريكية الميدان لاستثمار وتسويق بترول ايران بنسبة كبيرة ، إذ ساهمت بمقدار ٤٠ ٪ وهكذا أصبحت الشركات الأمريكية تحل محل الشركات البريطانية ، وهكذا أيضاً أصبح المجال أمام الولايات المتحدة بالتدخل السياسى فى منطقة الخليج أوسع من ذى قبل ، الأمر الذى عبر عنه الكتاب والصحفيون الانجليز بقولهم أن الولايات المتحدة تعمل على طرد بريطانيا من الخليج .

و إذا كان لشركات البترول رأى فى رسم سياسة الدولة التى تتبعها نحو المنطقة التى تقوم شركة البترول بالعمل فيها وهذا أمر مفروغ منه ، وإذا كانت بريطانيا قد حصلت بنفسها على امتيازات أكثر مما تستحق من شركة نفط البحرين مستغلة نفوذها السياسى فى المنطقة ، وهو أمر لا يمكن أن يكون موضع رضا شركة البترول الأمريكية ، فأن ماتلمح به الصحف أن الولايات المتحدة بأيعاز من شركة نفط البحرين تؤيد ايران فى دعواها فى البحرين خصوصاً وأن حكومات ايران منذ الاطاحة بحكومة مصدق موالية للولايات المتحدة ، أما الدوائر البريطانية فأنها تتهم الولايات المتحدة بأنها وراء الالحاح بالمطالبة المستمرة من جانب ايران فى الاستيلاء على البحرين فى السنوات الاخيرة

وذلك كى يكون للولايات المتحدة السيطرة على البحرين و سائر المراكز البترولية والاستراتيجية فى الخليج العربى (١) .

إن تجربة ايران المريرة بالنسبة لبريطانيا مازالت ماثلة لها و أن ازدياد المصالح الأمريكية فى الخليج العربى عامة و فى البحرين خاصة دون أن تكون للولايات المتحدة قاعدة بحرية فيه يؤكد الاتجاه الموجه الى الولايات المتحدة ومن ورائها شركة نفط البحرين ، أنها وراء ايران فى مطالبتها بالبحرين ، فشركة بترول البحرين أمريكية فى أرض خاضعة لنفوذ بريطانيا ، وقطع الأسطول الأمريكية ترسو فى قاعدة بحرية تملكها بريطانيا هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لقد حلت الولايات المتحدة محل بريطانيا فى ايران فلم لاتحل محلها فى البحرين ؟ وكيف يتسنى لها ذلك إلا عن طريق ايران ؟

أثر البترول فى حركة السكان

اذا كانت صناعة البترول فى البحرين قد أثرت تأثيراً سياسيا واقتصاديا فى وضع البحرين وعلاقتها بأيران ، فأن هذه الصناعة قد أثرت كذلك فى حركة السكان وهجرتهم وانتقالهم ، إذ من المعروف أن اكتشاف البترول فى مناطق الخليج أدى الى هجرة على نطاق واسع من المناطق المحيطة وبالتالى الى زيادة عدد الاجانب وارتفاع نسبتهم الى درجة خطيرة .

والاحصائية الآتية توضح عدد الأجانب و نسبتهم الى عدد السكان من سنة ١٩٣٠ الى سنة ١٩٥٠ :

(١) الى مثل هذا الرأى ذهب الاستاذ محمود الشرقاوى فى كتابه (بترول العرب) من مجموعة كتب سياسيه .

السنة	عدد البحرينيين	عدد الاجانب	النسبة المئوية للاجانب	مجموع السكان
١٩٣٠	١٢٠ر٠٠٠	٦٥٦	٠ر٥ ٪	١٢٠ر٦٥٦(١)
١٩٤١	٧٤ر٠٤٠	١٥ر٩٣٠	٢٠ ٪	٨٩ر٩٧٠
١٩٥٠	٩١ر١٧٩	١٨ر٤٧١	٢٠ ٪	١٠٩ر٦٥٠(٢)
١٩٥٩	١١٨ر٧٣٤	٢٤ر٤٠١	١٨ ٪	١٤٣ر١٣٥(٣)

و يبلغ عدد الايرانيين ٧٥٤٧ نسمة فى احصاء ١٩٤١ أى حوالى نصف عدد الاجانب أما عـددهم فى سنة ١٩٥٠ فيبلغ ٦٩٣٤ ثم انخفض ظـاهريار الى ٤٢٠٣ فى سنة ١٩٥٩ غير أن الواقع بخلاف ذلك .

غير أن إحصاء عددالايرانيين لايعتمد عليه لأن كثيراً منهم يسجلون أنفسهم على أنهم بحرينيون ، و تعترف حكومة البحرين بذلك فى احصائها الرسمى إذ ورد فى قصة الاحصاء صفحة ١٢ الذى أصدرته حكومة البحرين سنة ١٩٥٠ مـا يلى :

« انسياقا وراء الظن الذاهب الى أن الزيادة الطارئة على سكان المنامة (العاصمة) مرجعها الى زيادة عدد الاجانب والقاطنين فيها وهو أمر لايرقى اليه شك ، فقد كان من المنتظر أن يفوق عدد الاجانب المسجلين فى هذا الاحصاء عدد من سجلوا فى الاحصاء السابق بمراحل كبيرة ، فقد كانت اكبر الجـاليات

١. من كتاب جزر البحرين لعباس فاروجى وهو احصاء تقريبي لايستند اليه غير أن نسبة الاجانب معقولة .

٢. من كتاب قصة البحرين (التعداد الذى أجرته حكومة البحرين فى سنتى ١٩٤١و ١٩٥٠).

٣. من كتاب احصاء النفوس (تعداد سنة ١٩٥٩)

الاجنبية فى البحرين ولا تزال هى الجالية الايرانية ، وقد بلغ عدد أفـرادها فى الاحصاء السابق ٧٥٤٧ أما فى هـذا الاحصاء فيبلغ عـدد من سجلوا أنفسهم كايرانيين ٦٩٣٤ فقط و هـذا رقم يدعوا الى الشك لان من صالح الايرانيين لاسباب كثيرة أن يحصلوا على الجنسية البحرينية ، إذ بذلك يتاح لهم أن يشتروا الاراضى كما يستطيعون أن يسافروا خارج البحرين بجـوازات بحرينية ضامنين لانفسهم العودة الى البحرين .... ولما كان معظم الاجانب فى البحرين لا يحملون أوراقا تثبت جنسياتهم لهـذا فقد كان من العسير عـلى موظفى الاحصاء أن يتحققوا من جنسية الايرانيين » .

وأما بالنسبة لشركة نفط البحرين التى يهاجر كثير من الاجانب للعمل فيها فأنها فى تقريرها الذى نشرته سنة ١٩٥٢ عن توزيع موظفى وعمال الشركة حسب جنسياتهم كان التوزيع كالآتى :

بحريني	استرالي	بريطاني	كندي	هندي	عراقي	ايرلندي
٥٧٧٠	٥٢	١٠١٦	٢٠	٦٢١	٧	١٥

نورويجي و دانمركي	باكستاني	جنوب افريقيا	امريكي	جنسيات اخرى	المجمـوع
١٥٧	١٦	٦	٣٥	١٠٠١	٨٧١٦

وهكذا لم يسجل أى فرد فى الشركة جنسيته كايرانى ، وهو أمر يدعو الى الدهشة فى بلد يكـون الايرانيون فيه أكبر جالية أجنبية ، وإذا كانت صناعة البترول فى المناطق التى تكون عوائد البترول نسبة كبيرة من ميزانية الحكومة كما هو الحال فى الكويت والبحرين وقطـر والسعودية أدت الى هجرة جماعية الى هذه المنـاطق على اعتبار أن مستوى العمال فى هذه البلدان لم يصل بعد الى

درجة من الرقى تكفى لتلبية كل طلبات الشركة من العمال الفنيين والكتبة ، فضلا عن اتساع نطاق العمل أكثر من الايدى العاملة بها ، فأن صناعة البترول فى البحرين قد خلقت وضعاً شاذاً متناقضاً من ناحية حركة السكان ، ذلك أن كثيراً من الاجانب فى شركة نفط البحرين كالهنود والباكستانيين والايرانيين يقومون بأعمال الكتبة وأنصاف العمال المهرة مايستطيع أن يقوم به أهل البحرين ، فى الوقت الذى هاجر فيه أهل البحرين الى السعودية حيث الاجور أعلى فى شركة ارامكو وهؤلاء نسبتهم ليست ضئيلة إذ يذكر إحصاء البحرين ما يأتى :

« وبالرجوع إلى سجلات دائرة الجوازات وقت الاحصاء تبين أن هناك مايقرب من ٦ آلاف شخص من سكان البحرين فى الخارج أكثرهم من الذكور و فى وسعنا أن نقدر أن معظم هؤلاء الرجال مستخدمون فى شركة النفط أو عند المتعهدين فى البلاد المجاورة ، أما فى عام ١٩٤١ فلم يكن يشتغل خارج البحرين من أهلها سوى عدد يسير ، حقاً ان نسبة من يشتغلون خارج البحرين من الرجال كبيرة جداً » (١) .

بل أن معظم وظائف الكتبة والصناع المهرة فى شركة ارامكو و أعمال المقاولات فى السعودية يشغلها البحرينيون ، و هكذا نزح أهل البحرين الى السعودية وحل محلهم ايرانيون وهنود وباكستانيون .

ونظرة الى احصاء توزيع عدد الموظفين والعمال حسب جنسياتهم الذى نشرته شركة نفط البحرين سنة ١٩٥٢ يتضح انه لا توجد أية جنسيات عربية غير بحرينية تعمل بالشركة اللهم إلا سبعة من العراقيين ، بينما زادت الهجرة من العرب

١. قصة الاحصاء صفحة ١١

الى كل من الكويت والمملكة العربية السعودية بعد اكتشاف البترول فيها حيث نزح اليها اللبنانيون والفلسطينيون والسوريون وغيرهم ولم تضع حكومتا هاتين الدولتين أية عقبات فى سبيل هجرة العرب اليها مفضلة اياهم على الجنسيات الأخرى ولم يحدث هذا فى البحرين ، فهل هذا من قبيل الصدفة ؟ الا يثير هذا الشكوك فى نوايا السلطات البريطانية فى البحرين مع شركة البترول فيها ؟ الواقع أن دور شركة البترول فى استفحال مشكلة زيادة الايرانيين فى البحرين يلقى على تصرفاتها ظلا كبيراً من الريبة ومظاهر ذلك ما يأتى :

(١) ورد فى التقرير السنوى لدائرة الجوازات سنة ١٩٤٥ ما يأتى بالحرف الواحد :

« سمح لأكثر من الف عامل ونجار وبناء معظمهم من الايرانيين سنة ١٩٤٤ بدخول البحرين على شرط أن تضمن شركة نفط البحرين ارجاعهم حينما تكون فى غنى عن برامج التأسيس » فلماذا اختص الايرانيون بضمان دخولهم البحرين ؟

(٢) تعمدت الشركة أن تكون الاجور فيها أقل من الاجور فى شركة ارامكو فنزح البحرينيون الى المملكة العربية السعودية بينما تعتبر أجور شركة نفط البحرين سخية بالنسبة للايرانيين والهنود والباكستانيين .

(٣) المشكلة التى لمستها بنفسى أن الشركة تمنح لحملة الشهادات العالية من البحرينيين راتباً لايزيد على ٨٠٠ روبية شهريا بينما يستطيع من يحمل مؤهلا عاليا الحصول على نفس الاجر فى أية دائرة من دوائر الحكومة حيث يعمل نصف يوم بدلا من يوم كامل فى الشركة ، ونفس الشيء بالنسبة لحملة الشهادات المتوسطة إذ تمنح الشركة راتباً قدره ٤٠٠ روبية بينما تمنح حكومة البحرين ٤٥٠ روبية

للمتخصصين من القسمين التجارى أو المعلمين ، و تدعى الشركة أن من يلتحق بها يقضى ٤ سنوات فى التدريب ليصل بعد ذلك الى ٦٠٠ روبية بينما لو اشتغل فى الحكومة لوصل الى ٥٥٠ روبية ، والواقع أنه طالما أنها فترة تدريب و دراسة فأن خريج الشانوية لو قضى السنوات الاربع فى الخارج لحصل على مؤهل عالى يبدأ بعده بمرتب ٨٠٠ روبية .

ومن أجل هذا كله يقل الاقبال من حملة الشهادات المتوسطة على العمل بالشركة ويكاد ينعدم بالنسبة لحملة المؤهلات العليا .



الفصل السادس

ثالثاً : العامل الحضارى

ماذا نقصد بالحضارة ؟ وماصلتها ببحث فى مدى صحة دعوى ايران فى البحرين ؟ نقصد بالحضارة ذلك المركب المعقد من الظواهر الاجتماعية كاللغة والعادات والتقاليد والدين والعلم والفن والآداب وأنظمة الحكم ، وإذا كان لفظ الحضارة يطلق كذلك على بعض النواحى المادية كالزى والمأكل ـ طريقة طهيه وآدابه ـ والاختراعات ووسائل المواصلات ، فأننا نعنى فى بحثنا هذا بالجانب المعنوى من الحضارة الذى يطلق عليه عادة لفظ الثقافة . ولكن ماصلة الحضارة ببحث فى مدى صحة دعوى ايران فى البحرين ؟

حينما تنتقل الحضارة من جيل الى جيل فأنه يطلق عليها لفظ التراث القومي للامة . وتحتفظ كل أمة بتراثها القومى وتعتز به لأنه أحد مقومات كيانها المستقل الذى يميزها عن سائر الأمم ، ومن هنا كانت هناك حضارة فارسية وحضارة عربية وتراث يعتز به الفرس وآخر يتميز به العرب ، فما هو تراث البحرين ؟ هل هو فارسى حتى تعد حضارة البحرين تابعة أو جزءا من حضارة الفرس وبالتالى يحق لفارس أن تدعى تبعية البحرين لها ؟ لابد اذاً من التعرف على أهم خصائص الحضارة الفارسية وهل هى نفسها حضارة البحرين ؟

ومن ناحية أخرى من المعلوم أن الدول فى العصرين القديم والوسيط لم تكن تقوم على فكرة القومية ، أى أن حدود الدولة لم تكن تشمل قومية واحدة

فقط ، ذلك أن الانسانية مرت فى تاريخها السياسى بعصر كانت فيه المدينة تكون دولة City - state ثم انتقلت فجأة الى عصر الامبراطوريات حيث تبسط حضارة ما سلطانها بالقوة على دول أخرى لها حضارات وقوميات متباينة ، فكانت الامبراطورية الفارسية والامبراطورية اليونانية ، ثم عرف التاريخ عهداً كانت الدول تربطها رباط دينى أو توحد بينها العقيدة المشتركة كما كان الأمر فى الدولة الرومانية والدولة الاسلامية ، وبين هذه العهود كلها تاهت فكرة القومية حتى اتضحت فى القرن التاسع عشر فى أوربا بعد حروب نابليون حتى سمى هذا القرن بحق قرن القوميات فى أوربا ، أما فى الشرق فأن فكرة القومية لم تتضح إلا فى القرن العشرين ولازالت الدول الآسيوية والأفريقية تكافح لتتحرر على أساس من القومية التى توحد بين أفراد الأمة الواحدة ، وأصبحت الدولة التى تفرض سلطانها خارج حدود قومية شعبها تعتبر ذات ميول استعمارية أريد أن أقول ان بحثنا فى كل من الحضارة الفارسية وحضارة البحرين هو الذى يحدد بوضوح مدى تبعية البحرين لفارس ، فأن كانتا ذات حضارة واحدة حق لفارس أن تدعى تبعية البحرين لها ، وإن تباينت الحضارتان أصبحت دعوى ايران ميلا استعماريا فى القرن العشرين .

ومن ناحية ثالثة لقد عرضنا لتاريخ البحرين ، و دراسة التاريخ يجب ألا تكون وقفاً على سرد أحداث الماضى ، ولايكفى ماتضح من هذه الدراسة من استقلال البحرين عن فارس فى معظم عهود التاريخ ، ذلك أن الدراسة يجب أن تنتقل من الوصف الى التفسير ، ومن الأحداث العرضية الى الخصائص الجوهرية .

ولقد كانت فارس فى عهد ما من عهود التاريخ القديم أكبر امبراطورية

فى الشرق أو فى العالم على الاطلاق ، و إستمرت للفرس حضارتهم التى لها طابعها المميز لها منذ عهد كوريش أعظم ملوك الدولة الكيانية ، حتى ازدهرت فى عهدى دارا وقمبيز ، و بالرغم مما تعرضت له فارس من هزيمة على يد الاسكندر ، فأن هذا لا ينفى وجود حضارة مميزة للفرس طوال عهد ملوك الطوائف ثم الدولة الساسانية ، فأن هذه الحضارة انتقلت بالتوارث من جيل الى جيل و قبلها الخلف عن السلف كتراث يعتز به ، وحتى حينما قام الاسلام الذى يعتبر أكبر محاولة لمزج الحضارات المتباينة فى الدول التى دخلها لتكوين دولة واحدة ذات حضارة متسقة توصف بالحضارة الاسلامية ، وبالرغم من أن هذه الحضارة الاسلامية نبعت من بلاد العرب الا ان حضارة الفرس لم تندثر بل ظل الفرس محتفظين بلغتهم و تأثرت الدولة الاسلامية بحضارة فارس فى نظام الحكم وكثير من أساليب الحياة :

أهم مظاهر حضارتى كل من فارس والبحرين :-

أ - الأصل : يرتد الفرس الى أصل هندى أوربى و إلى جنس آرى هاجر من وراء جبال الأورال حتى استوطن اقليم فارس وغيرها من الأقاليم المحيطة بها.

وأصل شعب البحرين عرب مهاجرون من اليمن وهجرات مستمرة بعد ذلك من شبه الجزيرة العربية فشعب البحرين يرتد الى الجنس السامي .

وحينما يدعى الفرس حقاً فى البحرين ، لا ينكر الدكتور آدميات اختلاف العنصر بدليل أنه يقلل من شأنه كعامل من عوامل تحديد القومية ، إذ يقول معيار العنصر بيولوجى لا يؤخذ به فى مجتمع مخلط غير متجانس ... ولا يمكن

الاعتماد على العنصر فى تحديد الجنسية .

ب ـ اللغة : يتحدث الفرس لغة خاصة بهم وهى اللغة الفارسية وهى قريبة من السنسكريتيه كما أن بينها وبين اللغة اللاتينية شبهاً واضحاً يرجع رجوعهم جميعاً الى أصل واحد .

ويتحدث شعب البحرين اللغة العربية ولم يذكر أحد المؤرخين خلاف ذلك طوال عصور التاريخ .

ومرة أخرى لاينكر الدكتور آدميات اختلاف اللغة إذ يقلل من شأنها حين يقول « إذا لم يكن للعنصر أساس فكذلك الحال بالنسبة للغة فى حالة المجتمعات التى تتحدث أكثر من لغة واحدة » و يستشهد على ذلك بحالة اقليم يتنازعه كل من اليونان والبانيا ، و تدعى اليونان حقها فيه بالرغم من أن سكان الاقليم يتحدثون الألبانية و يكرر التأكيد برفض عنصر اللغة . (١)

أما أن شعب البحرين له لغتان فهذا لايطابق الواقع ، ولايعدو الأمر مجرد تجار بحرينيين يجيدون أكثر من لغة ، لأنه هكذا تقتضى أمور التجارة فى بلد تكون الجالية الايرانية فيه أكبر جالية أجنبية ، أما سكان القرى فهم لايعرفون اللغة الفارسية على الاطلاق .

ولا يمكن انكار وجود الفاظ فارسية فى اللهجة البحرينية ، وهكذا كل اللهجات لاسيما فى مناطق العبور والبلاد التى اختلطت فيها الحضارات وتعرضت للغزو لاسيما المناطق الساحلية أو الجزر .

ولا يمكن الانتقاص من قدر اللغة كأحد المقومات الهامة التراث القومى ،

١) الدكتور آدميات ـ ص ٢٠٨

بل أنها تعتبر أهم عنصر من عناصر الثقافة ، وحينما تسعى الدول التى لها ميول توسعية الى فرض حضارتها وبسط نفوذها على مناطق أو أقاليم أخرى فأنها تسعى لتحقيق ذلك كله عن طريق اللغة ، هكذا فعل البريطانيون فى الولايات المتحدة وأستراليا والهند ، وهكذا حاولت أن تفعل البرتغال فى جوا ، وفرنسا فى الجزائر بل وايران نفسها فى اقليم عربستان (خورستان) .

اللغة والجنس اذاً عاملان رئيسيان للدلالة على اختلاف حضارة البحرين عن حضارة فارس .

جـ ـ الدين : تستند ايران الى فكرة وحدة المذهب الدينى بين شعب فارس وعدد كبير من سكان البحرين لتأييد حقها فيها ، غير أنه بالرجوع إلى ماقبل الاسلام للتعرف على جذور الحضارة الفارسية و بذورها الأول يتضح أن الديانة الزرادشتية كانت من أهم مقومات الحضارة الفارسية ، تغلغلت هذه الديانة مئات السنين فى نفوس شعب فارس وأصبحت تمس كل أسلوب من أساليب الحياة المادية حيث لايمكن فصلها أبداً عن الحضارة الفارسية خصوصاً فى عصر الدولة الساسانية .

وتستند ديانة زرادشت إلى فكرة وجود إلهين أحدهما للخير « أهورا مزدا » والآخر للشر « اهرمن » ويظل الصراع بين الخير والشر أو النور و الظلمات فى معركة تستمر آلاف السنين حتى ينتصر اله الخير .

و أما رجال الدين فأنهم ينسبون أنفسهم إلى قبيلة واحدة تمتد أصلها فى التاريخ القديم وتعتبر من أعرق الأسر أو القبائل القديمة ، و كانوا يعتبرون

أنفسهم على رأس الطبقات كلها لأنهم نذروا أنفسهم لخدمة الآلهة ، ولهم تأثير كبير فى الحياة العادية للناس ولهم أراضى يملكونها وموارد غزيرة للثروة من الغرامات الدينية والعشور والهبات .

وتمارس طقوس هذه الديانة وشعائرها فى بيت النار الذى يقابل الكنيسة عند المسيحيين أو المسجد عند المسلمين ، فهل كان شعب البحرين يعتنق الزرادشتية أو الثنائية أو المجوسية قبل الاسلام باعتبارها من أهم مقومات الحضارة الفارسية بحيث لا يمكن فصلها عنها ، لقد ناصر الأكاسرة فى عصر الدولة الساسانية هذه الديانة بكل قواهم وحاربوا ماعداها فهل اعتنق شعب البحرين ديانة المجوس كمظهر لولائهم للاكاسرة أو تبعيتهم لفارس .

لقد كانت بالبحرين ديانات عديدة أهمها الوثنية والمسيحية والمجوسية ولكن لم تكن ديانة المجوس أقوى هذه الديانات و لا أوسعها انتشاراً بين شعب البحرين ، وليس أدل على هذا من أن المنذر بن ساوى التميمى الذى كان يحكم البحرين حينما دخلها الاسلام كان مسيحياً ، والحاكم ينتسب عادة إلى أقوى القبائل شأنا وأكثرها نفوذا وعددا بين السكان لأنه يستند فى حكمه إلى العصبية القبيلية ، وتشير التقارير المسيحية السوريانية أنه كان بشبه الجزيرة العربية فى أواخر القرن السابع خمسة من القساوسة و النساطرة أحدهم كان بالبحرين .

ولقد كان العداء بين المسيحية والزرادشتية معروفا جداً قبل الاسلام طالما أن الدولة الرومانية التى كانت فى شبه حرب مستمرة مع فارس كانت تدين المسيحية ، ولذا كان المسيحيون معرضين للاضطهاد فى داخل الامبراطورية

الفارسية فى معظم عهود الدولة الساسانية ، فكيف يكون حاكم البحرين مسيحياً وتكون للبحرين حضارة تعتبر مماثلة أو تابعة لحضارة فارس حتى تعتبر جزءا منها

أما الاستناد الى وجود عدد كبير من الشيعة الآن فى البحرين ، وهؤلاء يدينون بنفس المذهب الدينى لأغلبية شعب ايران للمطالبة بالبحرين فأنه يرد عليه بما يأتى :

١) لا يكون الشيعة بالبحرين أغلبية مطلقة بين السكان .

٢) يحق للعراق بنفس القوة أن تطالب بالبحرين .

٣) المذهب الدينى وحده لا يكفى لخلق جنسية واحدة أو ليولد شعوراً مشتركاً بقومية واحدة .

وحينما تدرس الحضارات فلابد من الرجوع إلى الأصول الأولى المتأصلة فى أعماق التاريخ للحكم على التراث القومي الذى يوجه الشعور بالقومية ، ولم تكن فارس والبحرين تشتركان فى دين واحد قبل الاسلام باعتبار الدين من أهم مقومات الحضارة .

د ـ نظام الحكم : ـ

يعتبر نظام الحكم لدى الأكاسرة من أهم مقومات حضارة الفرس ، إذ عنهم نقل الرومان ثم انتقل بعد ذلك فى الدولة الأوربية فى العصور الوسطى وكذلك منذ عهد الدولة الأموية فى الاسلام .

كان على رأس الدولة ملك الملوك « شاهنشاه » أو الامبراطور الذى له سلطات

إستبدادية لا يجرؤ أحد على معارضته ، يتمتع بالترف و النعيم الذى عرف عن الأكاسرة ، إذ يلبس تاجا من الذهب ويجلس على عرش من الذهب يقوم على أعمدة من الذهب تعلوه مظلة من ذهب ، وينام على سرير من ذهب ، سلطته مطلقة ، إرادته هى القانون وهو ملهم يستمد أحكامه من اله الخير .

و يلى الملك فى سلطانه حكام على الأقاليم يمثلون الطبقة العليا الارستقراطية التى استمدت نفوذها من الأراضى التى تملكها و تتوارثها ، وبذلك كانت دولة الفرس من أول دول العالم التى عرفت النظام الاقطاعى .

ولم يكن لهؤلاء الحكام الذين كان يحق لهم أن يحملوا لقب « ملك » — ومن هنا استمد الامبراطور لقب « شاهنشاه » أى « ملك الملوك » ، لم يكن للحكام السلطة على الجيش بل لقواد عسكريين حتى يطمئن الامبراطور إلى ولاء كل حاكم و عدم قدرته على الخروج على طاعته ، ثم هناك آخرون من قبل الامبراطور يرسلون التقارير باستمرار اليه عن مسلك كل من الحاكم وقائد جيش الاقليم ثم بعد ذلك عيون الملك وآذانه الذين يتشكل منهم مايشبه بقلم المخابرات السرية .

ولم تكن الطبقة الارستقراطية تستمد نفوذها من ملكيتها للاراضى فحسب بل لأنها تنحدر من أسر عريقة ، و كانت توزع عليهم المناصب الرئيسية فى الدولة كتتويج الملك وإدارة شئون الحرب وقيادة الفرسان وجباية الضرائب ورعاية الكنوز الملكية .

و كان يعاون الملك رئيس وزرائه الذى يتخذه الامبراطور مستشاراً له

ويترك له إدارة شئون الدولة وهو مطلع على أحوال الرعية قادر على التأثير على الامبراطور و أن كان يخضع لسلطته .

و كانت هناك طبقة من النبلاء أو رؤساء القرى الذين يستمدون قوتهم من ملكيتهم الصغيرة نسبياً للارض .

وإلى جانب هذه الطبقات طبقة رجال الدين الذين يستمدون نفوذهم من تأثيرهم الدينى فى نفس الشعب .

و كانت الضرائب تجمع بواسطة حكام الأقاليم لتكون مصدراً هائلا للثروة التى قامت عليها ماعرف عن حياة الأكاسرة من ترف لم يعرف من قبل .

هذا هو نظام الحكم فى الحضارة الفارسية القديمة تأثرت به عدة حضارات فهل تأثرت به البحرين فى أسلوب حكامها فى ممارسة السلطة ؟

ان الفارق الرئيسى بين نظام الحكم فى كل من فارس والبحرين أن الأول نظام حكم لدولة على رأسها امبراطور أو ملك ، أما نظام الحكم فى البحرين فقد كان قبليا ولازال قبليا وعلى رأس القبيلة شيخ ، وحتى بالرغم من كل مظاهر المدنية الحديثة التى شملت نواحى الحياة فى البحرين فلا زال الحكم فيها قبلياً يستمد الحاكم سلطته من قوة قبيلته أو من العصبية القبلية . ولذا تتخذ القبيلة كل الوسائل التى تضمن التماسك الاجتماعى بين أفراد القبيلة كالزواج الداخلى و التمسك بالزى العربى ، ومظاهر اخرى للنظام القبيلى تحرص الأسرة الحاكمة على التمسك به كرقصة الحرب فى الأعياد ـ مربط الخيل أمام المساكن حتى أمام قصر الحاكم ـ طريقة اعداد الطعام و تقديمه ، تقديم القهوة العربية و هذه كلها ترجع

إلى العادات القبلية .

ولقد كان نظام الحكم القبلى فى كل العصور فى تاريخ البحرين ، و يستند النظام القبلى إلى فكرة العصبية وفى ذلك يقول ابن خلدون ـ لما كانت الرياسة انما تكون بالغلب وجب أن تكون عصبية ذلك النصاب أقوى من سائر العصائب ليقع الغلب بها وتتم الرياسة لأهلها . فالحاكم لا يستمد قوته من شخصيته بقدر مايستمدها من قوة قبيلته وتغلبها على سائر القبائل .

و على قمة التنظيم القبلى شيخ القبيلة الذى يمارس سيطرة فعالة على سائر أفراد القبيلة وهو يتمتع بالتبجيل والتقدير لا باعتباره ملها أو ظل الله فى الأرض أو يستمد أحكامه من اله الخير — كما يعتقد الفرس — و إنما لأن طاعة شيخ القبيلة ضرورة إجتماعية تحتمها ظروف الحياه ولذا فمكانه بين أفراد القبيلة كمكانة الأب بين أبنائه ومن هنا يعتبر النظام القبيلى نظاما أبويا .

ولم يكن شيوخ القبائل يتمتعون بالترف و النعيم الذى كان ينعم به الأكاسره ، حقيقة ليس لديهم ثراء الأكاسره أو مواردهم الضخمة ولكنهم لم يكونوا ينزعون هذه النزعة ، لقد تشبه بالأكاسره ملوك الحيره حين اتخذوا لأنفسهم لقب « ملك » وسكنوا القصور و أحاطوا أنفسهم بمظاهر العظمة ، أما شيوخ البحرين فلم يعرف عنهم ذلك فى أى عصر من العصور بالرغم من الرخاء الذى كانت تتمتع به الجزر فى معظم العصور .

ومن مظاهر الاختلاف فى ممارسة السلطة بين الأكاسره و الشيوخ أن الأكاسره بعيدون دائماً عن الرعية — لا يكاد يراهم أحد ، وذلك كمظهر من

مظاهر الاستعلاء الذى يوحى بالتقديس فى نفوس الرعية ، أما شيوخ القبائل فأنهم على عكس ذلك يتخذون لأنفسهم « مضيفاً » أى محلا لاستقبال الضيوف ولا تجد صعوبة تذكر فى مقابلتهم .

ان الفرق بين نظامي الحكم فى كل من الحضارتين الفارسية والبحرينية ان فارس دولة بكل ما يخطر فى الأذهان من معنى الدولة . والبحرين قبيلة . وعلى رأس الدولة فى فارس « ملك » أو « امبراطور » وعلى رأس القبيله فى البحرين « شيخ » هكذا كان الأمر وهكذا ظل الى الان فى كل من ايران والبحرين

ولعل نظام الحكم القبلى هو الذى جعل الدكتور آدميات لا يعترف بسلطان آل خليفة ويعتبرهم حكاما متمردين على سلطة مركزيه تنقصهم مقومات الدولة بالمعنى المفهوم فى العصر الحديث غير أن مزاولة آل خليفة للحكم كما هو معروف فى الأنظمة القبلية لا ينقص من قدرهم ولا من الاعتراف بهم كحكام زاولوا سلطتهم التامة لأنه هكذا زاول ولا يزال يزاول حكام كل شبه الجزيرة العربية سلطانهم وشئون الحكم فى دولهم واماراتهم ولم يكن هذا مبررا لعدم الاعتراف بهم .

هـ ـ الجيش

استندت الامبراطورية الفارسية لفرض سلطانها على الاقاليم الخاضعة للأكاسرة الى قوة الجيش ، وفى ذلك يقول كسرى انو شروان الملك بالجند والجند بالمال والمال بالخراج (١) ...

---

(١) ابن خلدون ـ مقدمة كتاب « العبر وديوان المبتدأ و الخبر فى أخبار العجم والعرب والبربر ...

وكان جيش الفرس مخلطا بين أجناس متعددة ويعتمد على كثرة عدده ومقدرته على استيعاب القتلى أكثر من اعتماده على حسن التنظيم و التجانس بين أفراده (١) ، ولقد كان عدد جيش الفرس يفوق جيش الاسكندر أضعافاً مضاعفة إذ كان يقدر بمئات الالوف ، وكذلك كان عدده حينما تقابل مع جيش العرب فى موقعة القادسية ، ذلك أن التجنيد اجبارى لكل من جاوز سن العشرين الى الخمسين فى وقت الحرب ومن كل الاقاليم والولايات ، بصرف النظر عن جنسياتهم .

أما القبائل العربية فأنها تعتمد فى الحرب على أبنائها أو أبناء القبائل المتحالفة فحسب ، فعنصر التجانس الذى يعتبر من أهم مقومات العصبية لا ينقص الجيش القبلى المحارب وأن أعجزهم أن يجندوا مئات الالوف كما كان يفعل الفرس .

وقوة الفرس فى جيشهم البرى الضخم ، أما قوة القبائل التى حكمت البحرين فى عهودها المختلفة فتستند الى قوة أسطولهم البحرى ، لان المعارك التى كانت تتم لغزو البحرين كانت معارك بحرية فى أغلب الاحيان ، حيث لا مجال لمعارك برية فى جزر محدودة المساحة ، ولذا عجز الفرس عن احتلال البحرين منذ أواخر القرن الثامن عشر لأنه يعوزهم الاسطول البحرى الذى لا يعوز قوة البحرين المدافعة عنها ، ومن هنا أيضاً استطاعت البحرين أن تقدم على غزو الفرس بحراً على يد العلاء الحضرمى لنشر الاسلام فيها ، ولم تجد قوة البحرين أدنى مقاومة فى البحر ولكنها عجزت عن التوغل فى البر حيث المجال للجيوش البرية لا للأساطيل البحرية .

---

(١) الدكتور ابراهيم ابن الشوارى ـ قصة الحضارة الفارسية صفحة ٢٥ .

ويكاد يجمع مؤرخو الحضارات على أن أهم ما تميزت به الامبراطورية الفارسية ما يأتى :

(١) قامت حضارة الفرس على السياسة و الحرب أكثر مما قامت على المال والاقتصاد ، ولم يكن عماد ثروتها يقوم على الصناعة وإنما على القوة والسلطان(١) أما الأعمال التجارية فكانوا يرون أن الأسواق بؤرة للكذب والخداع ، وكانت الطبقات الموسرة تفخر باستطاعتها الحصول على معظم حاجاتها من حقولها وحوانيتها بغير واسطة دون أن تدنس أصابعها بعمليات البيع والشراء (٢) .

(٢) نظراً لاتساع رقعة الدولة الفارسية وقلة البحار التى تطل عليها قريباً فأنها كانت حضارة تهتم بالجيوش البرية وتعبيد الطرق ووسائل الحرب البرية ، ، ولم يبدى الفرس أى اهتمام بالناحية البحرية ، يقول ول ديورانت « لم تبلغ الملاحة فى فارس مابلغه النقل البرى من رقى عظيم ، فلم يكن للفرس أسطول خاص بهم ، بل كانوا يكتفون باستئجار سفن الفينيقيين أو الاستيلاء عليها لاستخدامها فى الأغراض الحربية ـ ويذكر الدكتور الشواربى نفس المعنى فى كتابه قصة الحضارة الفارسية حينما يقول « لم يكن الفرس يملكون أسطولا خاصاً بل كانوا يستعملون سفن الفينيقيين و اليونانيين إذ كانوا يستولون عليها لأغراضهم الحربية (٣) ».

---

(١) الدكتور ابراهيم بن الشواربي ـ قصة الحضارة الفارسية ـ ص ٢٥

(٢) ول ديورانت ـ قصة الحضارة ـ ترجمة محمد بدران ص ٤١٤

(٣) ابراهيم الشواربى ـ قصة الحضارة الفارسية ص ٢٣

وفى عهود ازدهار الدولة الفارسية كانت تزدهر البحرية الفارسية على أكتاف غيرهم إذ يقول ارثر كريستنش فى كتابه « ايران فى عهد الساسانيين حينما اتحد الفرس مع العرب و اشتركوا معاً فى الحكومة كونوا بحرية جديرة بالاعجاب وأخذت السفن الفارسية تمخر عباب البحار الشرقية منافسة للاسطولين الرومانى والحبشى ... » ويذكر وول ديورانت أن حملة فارسية سيرها قمبيز اخفقت أن تصل الى قرطاجنه لأن بحارة الأسطول الفارسى الفينيقيين أبو أن يهاجموا مستعمرة فينيقية (١) . واتضح ايضاً أنه طوال عصر الدولة الاسلامية لم يكن لوالى فارس أى أسطول بحرى فى الخليج ـ حتى قام نادر شاه واشترى بعض السفن من الهند ، فرفرف العلم الفارسى لأول مرة فى الخليج منذ عصر الدولة الساسانية (٢) ، و كانت العقبة الرئيسية التى حالت دون ايران وغزو البحرين فى القرن السابع عشر ، فاستعانت بأساطيل القبائل المحلية التى تسكن الساحل الفارسى وهؤلاء من العرب الذين كانوا يتمتعون باستقلال ذاتى بعيدين عن السلطة المركزية و كثيراً ماتمرد هؤلاء البحارة على الحكومة المركزية فاستقل رئيس قبائل الهولة الشيخ جبارة بالبحرين بمجرد أن كلف بغزوها من الشاه عباس الصفوى .

من أجل هذا كله قال بعض المؤرخين العرب ، ليس من الخليج شىء فارسى إلا إسمه (٣) »

---

(١) وول ديورانت ـ قصة الحضارة ص ٤٠٥

(٢) عباس فاروجى ـ جزر البحرين ـ ص

(٣) الدكتور صلاح العقاد ـ الاستعمار فى الخليج الفارسى ص ٦.

وإذا أردنا أن نستخلص من تاريخ البحرين أهم مظاهر حضارتها يتضح أن:

(١) قامت حضارة البحرين على التجارة فى كل عصور التاريخ ، فقد ورد فى تقرير رئيس البعثة الدنماركية التى تقوم بالحفريات فى البحرين أن البحرين كانت مركزا تجاريا منذ أن أخذت السلع المعروفة محلياً فى البحرين سبيلها الى بلاد مابين النهرين وقد تم تبادل هذه التجارة الواسعة قبل وبعد عام ٢٠٠٠ ق . م . ، وأن المقابر حول قرية عالى كانت مقر الراحة الأبدية لأمراء التجارة فى البحرين ، وأنه كانت هناك رابطة اقتصادية وحضارية بين البحرين و العراق حوالى ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، كما وجدت أن القبور القديمه فيها تشبه قبور الفينيقيين وقد ذكر هيرودوت أن الفينيقيين جاءوا من الخليج الفارسى من جزر البحرين ، ومعلوم أن الحضارة الفينيقية قامت على التجارة ، و استمر شعب البحرين يمارس التجارة فى كل العصور ، و حينما قضى الاسكندر على الفرس ظل الخط البحرى الجنوبى الذى ينتهى فى الهند فى أيدى العرب ، وعم الرخاء بالبحرين فى فترات ازدهار حضارة الخليج طوال العصور الوسطى لاسيما فى عهد حضارة هرمس قبل أن يقضى عليها الاستعمار البرتغالى ، وبالرغم من قضاء الاستعمار البريطانى على الأساطيل البحرية لسكان الخليج فلا زالت للبحرين شهرتها كمركز لتجارة العبور الى العصر الحديث ، ولا تزال التجارة تعتبر المصدر الثانى للدخل فى البحرين بعد البترول .

(٢) استخراج اللؤلؤ وصيد الأسماك وهذه تعتمد على الأسطول البحرى التجارى ، ونظراً لموقع البحرين و تعرضها للهجوم من جيرانها ، فأن حكامها كانوا يعتمدون فى الدفاع على الأسطول البحرى التجارى ، والأسطول البحرى

الاسلامي الذى إستخدمه العلاء الحضرمي لغزو فارس شاهد على ذلك ، إذ لا يعقل أن يكون العلاء الحضرمي قد أنشأ ترسانة بحرية لأول مرة فى البحرين، وإنضمت البحرين الى معاهدة الصلح العامة سنة ١٨٢٠ ، وكانت هذه المعاهدة وقفاً على الدول البحرية ذات الأساطيل الحربية فقط ، وقد قضى على أسطول البحرين الحربى فى عهد محمد بن خليفة حينما قامت الحرب بينه وبين قطر ، فاستغل الانجليز الفرصة لتحطيم اسطوله .

هذه هى أهم المظاهر العامة لحضارة البحرين يتضح منها أنها كانت تباين كل التباين وتختلف كل الاختلاف عن حضارة الفرس ، فلا تكاد تشبهها على أى وجه من الوجوه تشابهاً يتضمن معنى التبعية أو حتى التقليد الذى يقول عنه ابن خلدون أن الشعب المغلوب مولع بالاقتداء بالغالب فى شعاره وزيه و نحلته وسائر احواله وعوائده (١) .

قد يعترض على ذلك أن دولة الفرس تشمل مناطق شاسعة من الأرض حيث الجبال والهضاب التى كانت دائماً حائلا بين الفرس والاهتمام بالبحر ، و أن البحرين مجموعة من الجزر وهبتها الطبيعة أن تحوى بحارها أحسن أنواع اللؤلؤ فى العالم ، وأن هذه الظروف البيئية هى التى فرضت هذه المظاهر المختلفة من أعمال السكان ، ويرد على ذلك أنه الى جانب كل عناصر الحضارتين التى اتضح تباينها أشد التباين فأن المهنة تفرض أسلوباً من الحياة والعلاقات الاجتماعية بل والعقلية ، فقد رفعت الزندافستا كتاب الفرس المقدم القديم الزراعة وجعلتها

(١) ابن خلدون ـ مقدمة ابن خلدون ص ١٢٣

أشرف المهن الانسانية وأكثرها ارضاء لاهورا مزدا (١) ، وتغلغلت هذه الفكرة التى أصبحت عقيدة فى نفوس الفرس لأن فارس دولة زراعية اقطاعية ، واحتقروا التجارة هذا بينما ولع شعب البحرين بالتجارة واستخراج اللؤلؤ حتى لم يكن هناك فرد واحد قادر على العمل لا يشتغل باستخراج اللؤلؤ أو بتجارته الى وقت قريب .

وقد فرض اختلاف الحرف اختلافا فى العلاقات الاجتماعية فى كل من الحضارتين ، فبينما كانت عامة الشعب الفارسى يعملون كرقيق فى أراضى طبقة النبلاء أو الطبقة الاستقراطية ، ويدينون لهم وللامبراطور بالولاء التام ، وبينما تكاد تكون العلاقة الشخصية منقطعة بين أجير الأرض وصاحبها الاقطاعى لا يكاد يراه أو يتعامل معه نجد الأمر يختلف فى صيد اللؤلؤ واستخراجه ، ولذا كان لفظ البحرين اذا ذكر قفز الى الذهن اللؤلؤ واستخراجه فأننا نترك الادريس يصف لنا نوع العلاقة الاجتماعية بين المشتغلين به وذلك فى كتابه نزهة المشتاق فى اختراق « الآفاق » (٢) ، وأهم جزر البحرين جزيره أوال . . . وحاضرة جزيره أوال اسمها البحرين ، وهى مدينة عامره ... وفى هذه الجزيره يسكن غاصة اللؤلؤ ، فى المدينة التى يصل اليها التجار من جميع الأرض ومعهم المال الوفير ، ويترقبون شهوراً طوالا موسم الغوص ، ويستأجر التجار الغاصة مقابل جعل معلوم يتفاوت مع جودة الصيد واعتقاد التجار بمهاره الغاصة ، ويكون الغوص فى اغشت وشتنبر (أغسطس

(١) ابراهيم الشواربى ـ قصة الحضارة الفارسية ص ١٢

(٢) من كتاب حسين فوزى ـ حديث السندباد القديم

وسبتمبر) وقبل هذا اذا كانت الحيـــاة صائفية ، ويصطحب كل تاجر الغواص الذى اكتراه ، وتخـرج المراكب جماعـة من الميناء فيما ينيف عن مائتى دونج وهى فلك اكبر من الفلك العادى . . . ولـكل غواص رفيق مساعـد اسمـه المصفى (١) له نصيب فى الكراء . ويخرج مـع الغاصة اولاد حذاق يعرفون المواضع لأن للاصداف مواضـع تغشاها . . فاذا خرج الغاصة من الجزيرة أوال قادهم الدليل حتى إذا وصلوا الى المواضع المعلومة خلع الدليل ملابسه وغاص ونظر فاذا وجد المكان مناسباً خرج وأمر بطى الشراع ورمي الأناجـــر ، وكذا تفعل بقية الدوانج ويبدأ الغواصون فى العمل .

ويبلغ عمق قيعان الصيد من اثنين الى ثـلاثة باعات ، و يستر الغواص سوأته ويسد خياشيمه بالخلنجل وهو دهان من الموميا الغراب مع زيت السمسم ، ومعه سكين وكيس ويحمل حجراً وزنه أربعة قناطير معلق بخيط رفيع متين وهو يلقى فى الماء من ناحية المـركب ويمسك المصفى بالخيط بينما يقف الغواص عـلى الحجر ويمسك الحبل بيديه متأهباً للقفز فى البحر . . ويصف بعد ذلك عملية بيع اللؤلؤ فيقول « وبعد ساعتين يصعد الغواصون ويلبسون ملابسهم وينامون و يأخـذ المصفى فى فتح المحار بحضور التاجر الذى يجمع مايخـرجه ويسجله فى زمام . . فاذا فرغـــوا من قاع انتقلوا الى غيره حتى ينتهى المـــوسم . . . ويعودوا الى أوال ومعهم اللالىء محزومة فى أوطاب وعلى كل وطاب اسم صاحبه و علامته وهو مغلق مختوم وتسلم الأكياس الى الوالى بمجـــرد مغادرة السفن ويأتى يوم البيع فيجتمع التجار ويؤتى بكل وطاب وينادى على اسم صاحبه ثم يـكسر الختم

(١) يسميه اهل البحرين الآن « السيب »

وتفرغ اللالىء فى ثلاثة أنواع من الغرابيل ذات ثقوب مختلفة اتساعا ، ثم تباع الـكمية بالمناداه ، فأذا أراد التاجر أن يحتفظ بها قيدت باسمه وإلا فأنه يبيعهـــا ويقبض ثمنها نقداً ، وتدفـــع أجور الغاصة ومساعديهم نقـداً ، وينصرف الجميع مغتبطين . . . »

هـــذا هو أسلوب الحياه الذى مارسه شعب البحرين منـذ آلاف السنين الى عهد قـــريب حين كانت السفن تخرج بآلالاف و حـين كان معظم شعب البحرين يشتغل بالغوص .

وليس للحرفة من أثر عـلى الأسلوب فى حيـاه الناس أو علاقاتهم الاجتماعية فحسب بل على تقويمهم السنوى ،فالتقويم الفارسى مرتبط بالزراعة وأعياد الفرس القومية أصلها أعياد زراعية (١) وتبدأ السنة الفارسية فى الربيع بعيد النيروز .

أما البحرين بـلد اللؤلؤ فقد اهتموا بتقسيم موسم الغوص الذى يبـدأ من أبريل وينتهى فى أكـتوبر فقسموه إلى خمس ـ غـوص البحر و هو شهر ـ ثم الغوص الـكبير ثم الـكـنشية وتليها الرعبة وأخيراً المجنة .

ولايعنى هذا أن البحرين ليست بلداً زراعية ، ولـكن الزراعة بها لم تـكن فى المحل الأول من الاعتبار فى أى عصر من العصور .

ومن مظاهر الحضارة الفارسية الأعياد القومية للفرس التى لايزالون يحتفلون بهـا وأهمها عيد النيروز حيث كانت تظهـر فيه بيوت النـــار و يغتسل الناس ويتبادلون الحـــلوى ويتبخرون بقطع من الشمع لحفظ أجسامهم من المـرض والآفات .

(١) أرثر كريستنسن ـ ايران فى عهد الساسانيين

ولو كان لدى شعب البحرين أدنى شعور بالقومية الفارسية لشاركوا الفرس هذه الأعياد ولكن لم يؤثر عن البحرين أنها احتفلت بهذه الأعياد فى أى عصر من العصور .

هذا العرض الشامل لمظاهر الحضارة فى كل من فارس والبحرين يوضح التباين بينهما ، فلم يؤثر عن البحرين اندماجها فى حضارة فارس ، ولما كان التراث القومى يستند الى الحضارة كان لشعب البحرين تراثا قوميا يغاير تماماً التراث القومي لدى الفرس . مرة أخرى حضارة البحرين ليست هى حضارة فارس ولا يمكن أن يتحد شعبان لهما حضارتان متباينتان أو تراثها القومي مختلف

ولكن كيف لم يؤثر الفرس على شعب البحرين فى عهود احتلالهم للجزر ، الواقع أن الفرس فى عهود ازدهار حضارتهم لم يكونوا يهتمون إطلاقا بأن يجبروا الشعوب الأخرى أن تتمثل ثقافتهم ، فقد كان يسمح لكل اقليم أن يستبقى لغته الخاصة وقوانينه وعاداته وأخلاقه وديانته ، بل لقد استطاع فى بعض الأحيان (أى اقليم) أن يحتفظ بالأسرة الحاكمة فيه ، ولذا فأن الامبراطورية الضخمة انهارت سريعاً تحت الضربات الأولى من الأعداء على يد الاسكندر ثم سعد ابن أبى وقاص ، ليس من الطبيعى أن تبقى الشعوب ذات الألسنة المختلفة والديانات المتباينة والأخلاق والعادات المختلفة فى وحدة طويلة لأن طبيعة الحضارات لهذه الأمم المغلوبه تأبى الاتحاد والارتباط ، وأن العنف والشدة لا يتبعان إلا على رباط مصطنع ، ولم تستطع الامبراطورية الفارسية أن تفعل شيئاً طوال قرنين من الزمان بعد عهد قمبيز للتقليل من الاختلاف البين فى تكوين شعوبها وتركيب عناصرها واكتفت بأن تحكم جماعة من الشعوب المتباينة دون ان تفكر فى أن تخلف من هذا الخليط دولة موحدة البناء مرتبطة الاجزاء

متماسكة البنيان (١).

وإذا كانت الناحية القومية مظهراً من مظاهر الحضارة حيث يتجلى فيها شعور الشعب بقوميته فأن عيد « النيروز » عند الفرس أكبر أعيادهم القومية ، فهو عيد رأس السنة الفارسية التى تبدأ فى الربيع ، فهو إذا عيد يبشر بقدوم الربيع ، وهو عيد احتفل له الفرس من آلاف السنين ولا زالوا يحتفلون به ، ومع أن عيد النيروز قد ارتبط قبل دخول الاسلام ببعض طقوس دينية كتطهير بيوت النار فأن الاسلام لم يقض عليه على عكس ذلك ، إذ احتفل به الخلفاء العباسيون فى بغداد و يستمر هذا العيد أياماً متوالية حيث يغتسل الناس فيه ويتبادلون الحلوى ويأكلون السكر ويلعقون العسل ويدلكون أجسامهم بالزيت ويتبخرون بالشمع والبخور لحفظ أجسامهم من الأمراض والآفات كما كان أكاسرة الدولة الساسانية يعينون فيه حكام الاقليم ، كل هذا مما يدل على مدى شعبية هذا العيد وانبثاقه عن القومية الفارسية ، ومع كل هذا لم يؤثر على البحرين أنها كانت تحتفل به ، بل لعل احتفال العباسيين به لم يتعدى العراق وفارس ، وهكذا لم تشارك البحرين شعور الشعب الفارسى بقوميته فى أى عصر من العصور ، لأنها لا تتجاوب مع حضارته ولا تشعر بنفس مشاعره .

على أن أكبر مظهر للحضارة الفارسية التى تتجلى فى شعور الشعب وتفكيره وحساساته ، تلك القصص والاساطير وحوادث ملوك الفرس التى جمعها الفردوسى فى « الشاهنامة » إنها أساطير الشعب المنبثقة من صميم كيانه ، وهى قصص البطولة التى يرويها الآباء والاجداد للأبناء والاحفاد ليفتخروا بها ويمجدوها،

(١) المرجع السابق ــ ص ٧٨

وهى أمثلتهم العامية التى تجرى على ألسنتهم حتى لا تكاد تخلو منها أحاديثهم فى حياتهم اليومية ، وهى الاغانى والاهازيج التى يستمع اليها الشعب فى أفراحه ، فهل تجد لذلك كله من أثر فى شعب البحرين ، هل أساطير الشعب فى البحرين وأمثلته مستقاه من الشاهنامة ؟ وهل حينما يستمع الطفل البحرينى الى قصة سهراب ورستم مثلا يحس بنفس أحاسيس الطفل الفارسى ؟ وهل يتحمس لها المواطن الفارسى ؟ لا لأنها ليست مستقاه من قوميته ولا متكيفة من بيئته ولا منبثقة من عقليته ولا متمشية مع وجدانه ولا هى من صميم حضارته .

وقد يكون من الطرافة أن أذكر أن قصة « عنتر وعبله » تعرض فى إحدى دور السينما فى البحرين من مدة تزيد على سبع سنين ، تعرض عرضاً يكاد يكون متصلا ، و تلقى فى كل عرض لها زحاما حتى أصبحت دار السينما تكاد تشتهر بأسم « عنتر وعبله » ! فهل لو عرضت قصة سهراب ورستم مثلا تلقى هذا الحماس ؟ ولا حاجة الى القول أن قصة عنتر وعبله مستمدة من الاساطير العربية الصميمة لذا يتحمس الشعب البحرينى لمشاهدتها بل يكاد المتفرجون من الشباب يتقمصون شخصية « عنتر » من فرط تجاوبهم معه ثم أى الأغانى يرددها الشعب البحرينى الأغانى العربية أم الفارسية ؟ .

من هذا كله يتضح فى جلاء لا يقبل الشك أن حضارة البحرين تباين كل التباين حضارة فارس ، بل لا تكاد تلمس لفارس من أثر من آثار حضارتها فى البحرين مع أنها احتلتها فى فترات متقطعة وخلاصة القول أنك إذا أردت أن تقيس الحضاره بمقياس أنظمة الحكم وجدت إختلافا ، وإذا تركت الحاكم وإنتقلت الى الشعب واعتبرت أن مظاهر القومية الحقة فى أساطير الشعب وأعياده وقصصه والأمثلة التى تجرى على ألسنته لم تجد بين شعبى البحرين وفارس أدنى تشابه . فكيف يجبر هذا الشعب بعد ذلك على الانضمام الى ايران الا أن يكون غصباً أو استعماراً ؟

الفصل السابع

رابعاً : العامل القانونى

هل القانون يؤيد دعوى فارس فى سيطرتها على البحرين ؟

كان ضمن مبررات دعوى ايران تبعية البحرين لها أن البحرين تقع فى خليج اسمه (الخليج الفارسى) وأن كل الجزر الواقعة فيه تابعة لفارس طالما أن إسمه الخليج الفارسى ، هذه دعوى تدعو الى الدهشة ويرد عليها بما يأتى:

(١) لا يوجد اجماع بين الجغرافيين أن إسمه الخليج الفارسى إذ يسميه البعض الخليج العربى .

(٢) ان هناك جزراً فى الجزء الجنوبى من الخليج و المسمى بخليج عمان قريبة من ايران وتابعة لها فهل ايران على استعداد أن تسلم هذه الجزر لعمان تبعاً لهذا المنطق .

(٣) أن القانون الدولى لايدخل البحار العامة فى ملكية دولة من الدول ، ولا يخضعها لسياده دولة ما وذلك لحماية المواصلات الدولية ، لأن إدخال البحار العامة فى ملكية الدول أو بعضها أو إخضاعها لسيادتها يتنافى مع حرية هذ المواصلات ويعطل مصالح العائلة الدولية ، هذا فضلا على أنه يستحيل على دولة ما أن تدخل فى حيازتها المادية بحراً من البحار العامة

بحراً من البحار العامة ، والحيازه المادية شرط من شروط التملك (١) و ايران بالذات اول دولة تفتقد هذه الحيازه لأنها فى معظم عصور التاريخ لم تكن تملك الاسطول البحرى الذى يمكنها من السيطرة على الخليج .

(٤) لا يمكن اعتبار الخليج الفارسى بحراً إقليمياً لايران لأن المياه الاقليمية لايزيد عرضها عن ١٢ ميلا عند معظم الدول ، كما أن الخليج الفارسى ليس بحراً داخلياً تسيطر ايران على كل شواطئه .

الحجة الثانية التى تستند اليها ايران هى أن البحرين كانت تكون جزءا من فارس فى كل عصور التاريخ ماعدا الغزو البرتغالى ودخول آل خليفة الذين تعتبرهم رؤساء محليين متمردين على السلطة المركزيه ، وبالتالى تعتبر جميع المعاهدات التى وقعها شيوخ البحرين مع بريطانيا غير سليمة من الناحية القانونية لأن أحد الطرفين وهم شيوخ البحرين لا يملك حق التعاقد .

إما أن إيران كانت تسيطر على البحرين فى معظم عصور التاريخ فهذا ما سبق الرد عليه وتفنيده .

وبذلك تبقى فترة الغزو الايرانى من سنة ١٦٢٢ الى سنة ١٧٨٣ .. فهل فى هذه الفترة بالرغم من أن احتلال ايران للبحرين فيها لم يكن متصلا ما يبرر حق إيران فى ملكيتها للبحرين من وجهة نظر القانون الدولى .

يعتبر القانون الدولى أنه لا يحق للدوله أن تدخل فى ملكيتها عن طريق الغزو أو الاستيلاء الا أقاليم غير مسكونة أو مسكونة بقبائل همجية أو

---

(١) الدكتور محمود سامى جنينه ـ القانون الدولى العام صفحة ٢٠٨ .

جماعات غير منظمة كما حدث حينما اكتشف الأوربيون أمريكا وبعض مناطق فى أفريقيا ، ويشترط لذلك أن تمر الدولة التى تدعى حق السيادة بثلاث مراحل :

(١) الاكتشاف ، أن الحيازة المعنوية .

(٢) أن تقوم الدولة بأى عمل من أعمال الحيازة المادية بالفعل .

(٣) وضع اليد الفعلى على الاقليم ومباشرة السلطات الحكم فيه .

فهل استيلاء إيران على البحرين بعد طرد البرتغاليين كان اكتشافاً منهم لمنطقة غير مسكونة حتى تدعى ملكيتها لهذه الجزر ! !

لم تكن إيران تمارس أى نوع من أنواع السيادة .. بل أن أهم مظهر من مظاهر التملك وهو تولية حاكم إيرانى من قبل الحكومة المركزية لم يكن يحدث الا فى فترات قصيرة جداً . وكانت البحرين متروكة فى أغلب الأحيان لحاكم من الحكام المحليين لا تتدخل ايران فى توليته أو عزله ، وانما تكتفى بالجزية .

هل الفتح يبرر فقدان الدولة لسيادتها ؟

يرى علماء القانون الدولى أنه يجب التمييز بين الفتح والاخضاع ، فبمجرد اقتحام قوات دولة لاقليم دولة أخرى أو جزء منه والسيطرة عليه ، لا يكفى للقضاء على الكيان الذاتى للدولة المغلوبة ، فاستيلاء الشاه عباس الصفوى أو نادر شاه على البحرين ، لا يقضى عليها لاقليم مستقل ، لأنه بمجرد جلاء الجيش المحتل استردت البحرين سيادتها الفعلية ، وتعترف وجهة النظر الايرانية بذلك ، إذ يقول عباس فاروجى .. أنه بمجرد ضعف الشاه كان يترك سكان الخليج وشأنهم .. كما يعترف آدميات .. أنه فى فترات ضعف إيران أو تعرضها لأزمات أو انقلابات كان حكام البحرين يستقلون بها .

هذا ويشترط فقهاء القانون الدولى أن تعلن الدولة المسيطرة بعد اخضاعها التام للدولة أو الاقليم المغلوب على أمره ، ضمه نهائيا اليها ، ولم يحدث أن أحداً من حكام إيران أعلن ضم البحرين ، كما لم يحدث تنازل من الحاكم المغلوب عن ملكية البحرين لدوله إيران تنازلا يملك هو هذا الحق فيه .

أن وجهة النظر الايرانية تحاول أن تجعل تبعية البحرين لفارس قبل سنة ١٧٨٣ بديهية لا تقبل الجدال ، وتقيم عليها سائر حججها حينما تحاول أن تدحض كل طرق انهاء حق الملكية ، أنها تحاول أن تبين أن فارس لم تتنازل عن ملكيتها حينما استولى عليها آل خليفه ، وعلى وجهة النظر الايرانية أن تثبت أولا أنها كانت تملك البحرين ملكية فعلية قبل أن يدخلها آل خليفه . .

وهل مجرد دفع الجزية يمنح إيران حق السيادة على البحرين ؟

ثبت من الناحية التاريخية أنه فى فترات سيطرة إيران على البحرين ، كان المظهر الوحيد لهذه السيطرة ، هو دفع الجزية ، ففى عصر الدولة الساسانية كان حكام البحرين يدفعون الجزية لملك الحيرة الذى كان يرتبط بفارس برابطة الولاء ، وفى فترات متقطعة من القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، كانت البحرين تدفع الجزية لملك هرمز ، وكان الأخير مستقلا عن الحكومة المركزية فى اصفهان ، ثم أثناء الاحتلال الفارسى للبحرين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت الجزية تدفع لفارس فى فترات متقطعة . . فهل دفع الجزية يعنى التبعية ! !

يقول الدكتور محمود سامى جنينه فى كتابه (القانون الدولى العام) :
« أما عن تأثير دفع الجزية على سيادة الدولة ، فالواقع أن مجرد الالتزام بدفع

جزية ، لا ينقص من سيادة الدولة التى تدفع الجزية ، وان كان فيه حط من كرامتها » . ويستند الدكتور جنينه فى ذلك الى فوشيه فى الجزء الأول من كتابه عن القانون الدولى صفحة ١٩٦ .

هل آل خليفه مجرد حكام متمردين على سلطة مركزية ؟

بعد أن تحاول وجهة النظر الايرانية الادعاء أن البحرين كانت تكون جزءا من إيران خلال عصور التاريخ ، مشوهة بذلك حقائقه ، تعتبر أن غزو آل خليفه للبحرين تمرد حكام محليين على السلطة المركزية .

ومع افتراض أن احتلال إيران للبحرين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر يمنحها حقا فيها ، فان فقهاء القانون الدولى يعتبرون أن من وسائل نهاية الملكية قيام ثورة انفصالية ناجحة فى جزء من اقليم الدولة واستقلالها عنه ، فيخرج من ملكيتها ذلك الجزء من الاقليم الذى انفصل عنها (١) . ولا شك أن استقلال آل خليفه بالبحرين يمكن أن يدخل تحت هذا الاعتبار حتى لو صح أن البحرين كانت جزءا من فارس قبل ذلك .

على أن الأمثلة التى ذكرها مشرعو القانون الدولى ، هى لأقاليم مكتشفة لدولة الأصل حق ملكيتها والسيطرة التامة عليها كالولايات المتحدة بالنسبة لبريطانيا وانفصالها عنها بحرب الاستقلال سنة ١٧٧٦ والبحرين لم تكتشف من إيران !

ويذكر الدكتور آدميات حالة النزاع بين بريطانيا والبرتغال على اقليم يطل على

(١) الدكتور محمود سامي جنينه ـ القانون الدولى العام ـ ص ٢٨٥ .

خليج ديللاجوا ، إذ احتلت بريطانيا جزءا من شواطىء ذلك الخليج حصلت عليه من رؤساء قبائل تلك الجهة فنازعتها البرتغال مدعية أن الاقليم الذى احتلته بريطانيا تابع لها ، وان رؤساء القبائل الذين اتفقوا معها كانوا ثائرين ولما عرض النزاع على رئيس الولايات المتحدة للتحكيم قضى للبرتغال على أساس انقطاع البرتغال عن مباشرة أعمال السيادة سنة ١٨٢٣ لا يمكن اعتباره تركا للاقليم باشرت البرتغال حقوق السيادة عليه ٣٠٠ سنة متصلة .

كذلك يذكر حالة أخرى وهى النزاع بين فرنسا والمكسيك على جزيرة كليبرتون اكتشفتها فرنسا وهى جزيرة غير مسكونة ثم انتزعتها المكسيك ، وكان التحكيم لصالح فرنسا لأنها لم تتخلى عنها ولم تنوى التنازل عنها وان عدم ممارستها لسلطانها فى الجزيرة بصورة ايجابية لا يدل على سقوط حقها فى ملكيتها التى كانت ثابتة من قبل وقد عجزت المكسيك عن إقامة البينة على ممارستها عملياً أى نوع من أنواع السيادة على الجزيرة .

وقياس حالة البحرين على هاتين الحالتين ، فيه مغالطة كبرى للأسباب الآتية :

(١) ما سبق الاشارة اليه .. أن البحرين ليست جزيرة مكتشفة من إيران بينما اقليم ديللاجوا مكتشف من البرتغال وكذلك جزيره كليبرتون بالنسبة لفرنسا .

(٢) أن البرتغال باشرت أعمال السيادة مدة ٣٠٠ سنة على الاقليم دون انقطاع ، وليس الأمر كذلك بالنسبة للفرس فى البحرين فى أى عصر من عصور التاريخ .

من ذلك يتبين أن آل خليفه حينما دخلوا البحرين سنة ١٧٨٣ قد أنهوا الاحتلال الفارسى تماماً ومارسوا سلطاتهم كحكام لهم السيادة المطلقة ، وتمتعت البحرين بالاستقلال التام فى الفترة من سنة ١٧٨٣ حتى سنة ١٨٢٠ حين عقدت أول معاهدة مع بريطانيا ، وان كانت هذه المعاهدة لم تنتقص من سيادتهم ، بل اعترفت بها .

حقيقة أن الفترة منذ نهاية الحكم الفارسى حتى سنة ١٨٢٠ لم تكن مستقرة بالنسبة لآل خليفه ، حيث كانوا مهددين من جيرانهم ، وقد يكون بعض حكامهم قد دفع الجزية اما لمسقط أو للوهابيين أو لفارس ، وكل ذلك لا ينتقص من سيادتها .

ولقد عرض الدكتور آدميات لطرق انهاء حق الملكية من وجهة نظر القانون الدولى ، وهى :

(١) التنازل وهو يقضى وجود دولتين ـ المتنازلة والمكتسبة ـ ولا بد من اتفاق بينها ويعتبر أن هذا لم يحدث فى حالة البحرين .

(٢) وضع اليد المدة الطويلة ، وهذا يقضى سكوت الدولة عن حقها مدة طويلة فيسقط هذا الحق بالتقادم ، واعتبر أن إيران لم تسكت عن حقها فى البحرين .

(٣) الغزو أو الفتح ، وهذا يقتضى أن تكون هناك دولة مهزومة فقدت سيادتها ولم تهزم إيران من آل خليفه ، كما أن استقلال البحرين غير معترف به من وجهة النظر الايرانية لأنه لم تكن البحرين فى عهدهم لها مقومات الدولة المستقلة .

وكل هذا العرض القانونى يستند الى حقيقة تاريخية أساسية لا بد من التسليم بها أولا ، وهو امتلاك إيران للبحرين ملكية مشروعة قبل أن يدخلها آل خليفه سنة ١٧٨٣ بصفة مستمرة لا بصفتها دولة غازية مستعمرة ، فضلا عن أن آل خليفه قد مارسوا سلطانهم فى دولة لها كيان مستقل ولها كل مقومات الدولة بصرف النظر عن مساحة البحرين أو وسائل ممارسة السلطة ونظام الحكم الذى كان متبعا ، إذ لا يمكن تطبيق وسائل الحكم الحديثة ومقومات الدولة فى العصر الحاضر على البحرين فى القرن الثامن عشر ، لأنه هكذا وصل كثير من الحكام العرب فى شبه الجزيرة وعلى سواحل الخليج الى الحكم واعترفت كل الدول بمشروعية حكمهم حتى فى القرن العشرين ، بصرف النظر عن نظام الحكم وأسلوب ممارسة السلطة .

ومن الغريب أن فارس قد استولت على كل من أفغانستان والعراق مدة أكبر بكثير من المدة التى استولت فيها على البحرين ؟ كما مارس الأكاسرة فى عصر الدولة الساسانية وقبل ذلك سلطانهم التام على هاتين الدولتين ، فلم لا تطالب إيران بضم هاتين الدولتين !

مدى مشروعية اتفاقية شيراز سنة ١٨٢٢ من الوجهة القانونية :

تحاول إيران بشتى الوسائل أن تتلمس فى تصريحات بريطانيا والمذكرات المتبادلة بينها اعترافا منها بأحقيتها فى البحرين وتعترف هذه الاتفاقية فى البند الثانى بهذا الحق .

« إن جزيرة البحرين كانت دائما تابعة لاقليم فارس ، وأن حكامها العرب من بنى عتبة شقوا عصا الطاعة أخيرا ، وأنهم إذا كانوا قد طلبوا من القائد

العام للقوات البريطانية علما مميزا لهم ومنحوا هذا العلم ، فلا بد أن يسحب منهم ولا يقدم الى بنى عتبة أية مساعدة بعد ذلك » .

وقد سبق شرح ظروف هذه الاتفاقية التى لم ترى النور من حيث أن كلا الطرفين - البريطانى والايرانى - لم يمنح السلطة لعقد مثل هذه الاتفاقية أو حتى الدخول فى مفاوضات بشأنها ، وقد رفضتها الحكومتان معا ، واعترفت بريطانيا أن من أسباب رفضها اعتراف الكابتن بروس بحق إيران فى البحرين وقد عاقبته على ذلك بعزله من منصبه .

ولكن إيران تستند فى مطالبتها بالبحرين الى هذه الاتفاقية وتدعى أن بريطانيا قد اعترفت بحقها وأن عدم توقيع هذه الاتفاقية من الحكومتين - الايرانية والبريطانية - لا ينفى قيمتها كوثيقة تاريخية لها أهميتها ، ورددنا على ذلك من وجهة نظر القانون الدولى كما يلى :

(١) تنص الاتفاقية نفسها على أنها تعتبر سارية المفعول بعد توقيع الحكومتين وتبادل الوثائق ، وهذا لم يحدث .

(٢) لا تعتبر المعاهدة مبرمة ابراما صحيحا ولا ملزمة ولا نافذة المفعول ، كما لا يصح الاستناد اليها أو الى أى نص فيها إلا بعد التصديق عليها من كل دولة طرف فى المعاهدة وبعد تبادل التصديقات أو إيداعها . وقد طالبت عصبة الأمم بتسجيل المعاهدات واعلانها لتكون ملزمة (١) .

(٣) أنه من شروط صحة عقد المعاهدات أن يكون الذى أبرم المعاهدة منتدبا من رئيس الدولة ، وأن تدخل المعاهدة فى حدود توكيله ، فاذا خرج

---

(١) محمود سامي جنينه : القانون الدولى العام ص ٤٠٨ .

عنها أعتبرت غير صحيحة ، والكابتن بروس لم يكن مفوضاً أصلا بالدخول فى مفاوضات ولا عقد اتفاقية ـ لا من حكومة الهند ولا من وزارة الخارجية البريطانية ـ بل أنه تصرف شخصى محض ، ولا تسأل الدولة عن أعمال موظفيها طالما أنهم لم يصرح لهم بما قاموا به من أعمال .

(٤) لم يكن لبريطانيا ـ فى ذلك الحين ـ حق التصرف فى شئون البحرين الخارجية أو السياسية لأنها لم تكن بعد قد أصبحت محمية بريطانية ولم تكن تربطها ببريطانيا فى سنه ١٨٢٢ إلا معاهدة الصلح العامة التى وضعت للقضاء على القرصنة وتجارة الرقيق ، فاعتراف الكابتن بروس صادر عن غير ذى صفة ؛ ومن الغريب أن تستند إيران الى معاهدة لم يعترف بها الشاه نفسه ، لأن أمير شيراز الذى وقعها لم يكن هو الآخر مخولا من قبل الشاه الدخول فى مفاوضات أو عقد اتفاقية .

القانون الدولى إذاً لا يعطى لايران أى حق فى البحرين .

الفصل الثامن

خامساً : العامل الاقتصادى

قد ترتبط بعض الدول فيما بينها فتدخل مع بعضها البعض فى أى شكل من أشكال الوحدة أو الاتحاد بدافع المصالح الاقتصادية المشتركة ، وأن كانت مثل هذه العلاقة لابد أن تؤيدها مشاعر مشتركة ومظاهر لقومية واحده ، لأن تبادل المنفعة وحده لا يكفى لاتمام الوحده بين دولتين أو لضم إقليم الى دولة ..

قد تدفع المصالح الاقتصادية المشتركة بعض الدول أن تقيم فيما بينها سوقاً مشتركة كالسوق الأوربية أو أن تلغى الحواجز الجمركية فيما بينها ولكن وحدة كاملة بين دولتين على أسس اقتصادية محضة مع تباين الشعور بالقومية بكل مقوماته من لغة ودين وعادات وأمانى مشتركة لا يمكن أن تتم إلا أن كانت لاحدى الدولتين الغنم كله وعلى الدولة الأخرى الغرم كله كما يحدث فى حالات الاتحاد التى يفرضها الاستعمار كالاتحاد الفرنسى أو الكومنولث البريطانى حيث تكون المصلحة الاقتصادية لفرنسا أو لبريطانيا فى المحل الأول من الاعتبار .

وبالرغم من التباين فى الشعور بالقومية بين كل من الايرانيين وشعب البحرين ، الأمر الذى اتضح فى الأبواب السابقة ، هل هناك مصلحة اقتصادية مشتركة بينهما تبرر ضم البحرين الى إيران ؟

أنه فى حالات الدول غير المتكافأه فى القوه أو عدد السكان ، يراعى الجانب

الاضعف أو الاصغر أن تم الاتحاد بالارادة الحره التامه لحكومته ووفقا لمشيئة شعبه يراعى حينما تكون المصالح الاقتصاديه موضع الاعتبار ما يأتى :ـ

١ ـ ألا تكون موارد الثروه والدخل القومي وميزانية الدولة للجانب الاضعف متفوقة نسبيا على الجانب الاقوى أى لا يكون الجانب الاضعف الذى سيفقد استقلاله هو الجانب الاغنى وهذا غير متوفر فى حالة ايران والبحرين .

٢ ـ أن تكون موارد الثروه عند كل متكاملة متشابهة حتى تتحقق المصالح الاقتصادية المشتركة ويتم تبادل المنفعة ويرفع مستوى معيشة الفرد بعد الاتحاد أو الضم ومتشابهة لصالح الجانب الأضعف حتى لا يكون فى الضم او الاتحاد استنزاف لموارد الجانب الضعيف واستغلال لثرواته وبالتالى هبوط مستوى المعيشة للفرد فيه وهذا غير صحيح متحقق أيضا .

ولعل الشواهد التاريخية تلق ضوءا على مدى المصلحة الاقتصاديه التى تحققت فى البحرين من استيلاء فارس عليها ، ففى عهدى الشاه عباس الصفوى ونادر شاه كان صيادو اللؤلؤ فى البحرين مجبرين تحت طائلة العقوبات الشديدة أن يقدموا الى شاه ايران كل لؤلؤه يزيد وزنها على ٥٠ حبة وحينما اتسع نطاق التجاره البريطانية فى فارس منذ القرن السابع عشر ، واختلال ميزان المدفوعات فيها مع بريطانيا نتيجة زياده الواردات على الصادرات بنسبة كبيره ، بل لم تكن هناك صادرات تذكر من ايران الى بريطانيا أو الهند ثم لجأ كريم خان سنة ١٧٦٩ الى تحريم تصدير الذهب الذى كان يتسرب الى الخارج لموازنة الميزان التجارى ، الأمر الذى كان يحدث عن

طريق الدفع بالعملة الذهبية فكان نتيجة لهذا أن اللؤلؤ المستخرج من البحرين كان يؤول للمستعمرين فى الهند لأن فارس لم تجد سلعة تصدرها الى الهند لموازنة تجارتها عدا اللؤلؤ بالبحرين ، كل هذا ابان الاحتلال الفارسى للبحرين .

وكان مظهر التبعية الوحيد الذى تحرص عليه ايران هو الجزية والهدايا التى كانت تقدم الى الشاه كالخيول العربية وعقود اللؤلؤ ، ولم يكن هناك أدنى اهتمام من ايران بالشئون الاقتصادية للبحرين أو رفع مستوى شعبها الامر الذى أدى الى انفصال البحرين عن ايران أكثر من مرة مدة احتلال الاخيره لها أى من سنة ١٦٢٢ حتى ١٧٨٣ .

واكتشف البترول فى البحرين وزاد اهتمام ايران بها فاحتجت الحكومة الايرانية على بريطانيا فى ٢٣ يونيو سنة ١٩٣٠ لأن شيخ البحرين قد منح امتيازات الزيت دون موافقة ايران ، وورد فى صيغة الاحتجاج ما يأتى :ـ

أن حكومتى تحتج بشدة على هذا الامتياز وتعتبر نفسها حرة فى الادعاء والمطالبة بالتعويض عما قد ينشأ عن مثل هذه الامتيازات من أرباح وكذلك عما قد ينجم عنها من أضرار . . . وصرح قوام السلطنة رئيس وزراء ايران سنة ١٩٤٦ أن الضريبة المفروضة على الزيت فى ايران ستفرض على جميع ما ينتج من الزيت فى البحرين ويحمل الى ايران ، وحينما أشهر قانون تأميم النفط فى ايران سنة ١٩٥١ تساءل بعض أعضاء مجلس النواب الايرانى عما اذا كان القانون ينطبق على شركة نفط البحرين وطالبوا بعد نزع ملكية شركة النفط الانجلوايرانية أن ينطبق القانون على شركة كالتكس على أساس

أن جزائر البحرين تؤلف جزءا من الاراضى الايرانية (١)

وهـكذا يتضح من الشواهـد الماضيـة ان البحرين لم تسـتفد أدنى فائدة اقتصاديه من سيطرة ايران عليها بل أن ايران تدعى لنفسها حق الاستيلاء على عوائد النفط فى البحرين .

النتائج الاقتصادية المترتبة على تبعية البحرين لايران :ـ

أولا ـ النفـط ـ تكون من عـوائد النفط نسبة كـبيره من ميزانية البحرين والاحصائية الآتية توضح ذلك .

السنه	عوائد البترول بالروبيه	ميزانية الحكومة	النسبه المئويه
١٩٣٨	٣٠٠٠٠٠٠	٤٢٠٢٠٠٠	٤ر٧١ ٪
١٩٤٣	٢٦٠٠٠٠٠	٤٤٣٠٠٠٠	٪ ٥٩
١٩٤٨	٣٩٠٠٠٠٠	٨١٤٥٠٠٠	١ر٤٨ ٪
١٩٥٣	١٦٠٠٠٠٠٠	٢٨٠٠٠٠٠٠	١ر٥٧ ٪
١٩٥٨	٣٧٢٣٣٠٠٠	٥٢٩٣٠٠٠٠	٨ر٦٩ ٪
١٩٦١	٣٨٠٠٠٠٠٠	٥٤٦٠٠٠٠٠	٪ ٧٠

وهكذا تكون عوائد النفط نسبة تزيد على ٦٠٪ غالباً من ميزانية الاماره أى أن مصروفات الدوائر ومشروعات الحكومه تعتمد الى حد كبير على عوائد البترول فماذا لو سيطرت ايران على البحرين ؟

لن تزيد هـذه العوائد بل أغلب الظن أنها ستقـل ذلك أن أكـثر من ٨٠٪ من البـترول المـكرر فى معمل تـكرير سـتره (البحرين) من المملـكة العربية السعودية من أنابيب فى الخليج تحت المياه وللمملـكة العربية السعـودية معمل تكرير خاص بها ولـكن أمكانياته لا تتعادل مع كميـة البـترول المنتج فى

(١) مجيد خدورى ـ البحرين وايران

المملـكة العربية السعودية من ناحية ولا مع تكرير البحرين من ناحيـة أخرى واذا استعرضنا خطوط انابيب البترول فى الشرق الاوسط نلاحظ أنها تمتـد من دول عربية منتجـة للبترول الى دول عربية أخرى يصـدر منها البـترول ويكرر فيها ، فالبترول الذى تنتجه السعودية والعراق يصـفى فى صـيدا وبانياس وطرابلس ، وخط البـترول الذى كان يمتـد من كركوك الى حيفا حيث كان بها معمل للتـكرير توقف بمجرد استيلاء اليهود على فلسطـين ، لأن الدول العربية لاتسمح أن يستفيد من البترول المنتج فى أراضيها دولا معادية أو غـير صـديقة ، واستيلاء ايران على البحرين يضعها فى موقف عدائى صريح مـع المملـكة العربية السعودية ولا يستبعد أبداً ، بل أن ذلك هـو المحتمل وقوعـه أن توقف المملـكة العربية السعودية تصـدير البـترول من آبارهـا الى معمل تكرير البحريـن ، وقد فعلت السعودية ذلك أبان العـدوان الثـلاثى على مصر فتوقف العمل فى معمل التكرير شهوراً طويلة ، ذلك أن الدول المنتجة للبـترول لاتحصل على عوائد على البترول المـكرر خارج أراضيها ، بينما تستفيـد بـهذه العوائد الدول التى تقع فيها معامل التكرير ، فضلا عن حصـول البحرين على أنواع البترول المـكرر بأسعار أرخص للاستهلاك المحلى فهل ستتنازل المملـكة العربية السعودية عن ذلك لايران ؟ وهكذا تتضاءل قيمة ثانى معمل لتـكرير البترول فى الشرق الأوسط بعد عبدان وبالتالى تتحمل البحرين هذه الخسارة التى تؤثر حتما فى كل اقتصادياتها ومشروعاتها العمرانيه نظراً لأهمية عوائد البترول بالنسبة لميزانية الامارة كما يتضح من الاحصائية السابقة .

ولن تزيد حصة البحرين من شركة النفط فيها باستيلاء ايران عليها ، لأن هذا يقتضى المطالبة بزيادة العوائد أو بتأميم بترول البحرين ، والعـوائد التى

تحصل عليها ايران من شركات البترول فيها لاتزيد نسبتها عن العوائد التى تحصل عليها البحرين ، ولايعقل أن تلجأ ايران الى تأميم البترول بالبحرين وقد عجزت هى عن تأميمه فى بلادها وفاقد الشىء لا يعطيه ، وهكذا تكون البحرين قد خسرت كل شىء بل وسلمت عوائد بترولها الى الحكومه المركزية فى ايران .

وحقيقة أن نسبة ما تحصل عليه ايران من النفط كبيرة بالنسبة للبحرين ولكنها بالنسبة لعدد السكان واتساع رقعتها وكثرة مصروفاتها لا تعد كبيرة حتى يقال أن جزءا من عوائد نفط ايران ستستثمرة فى البحرين لأنه سبق الاشارة أن موارد الثروة والدخل فى البحرين أعلى نسبياً من ايران .

ثانياً ـ الجمارك

وتكون الجمارك المصدر الثانى للدخل فى البحرين اذ انها تصل الى حوالى ٢٠٪ من الميزانية العامة والجدول الآتى يوضح ذلك :ـ

السنه	الدخل من الجمارك بالروبيه	ميزانية الحكومة بالروبيه	النسبه المئويه
١٩٣٨	١٠٠٠٠٠٠	٤٢٠٢٠٠٠	٢٣ر٨ ٪
١٩٤٣	٦١٠٠٠٠	٤٤٣٠٠٠٠	١٤ ٪
١٩٤٨	٢٦٥٠٠٠٠	٨١٤٥٠٠٠	٣٢ ٪
١٩٥٣	٦٠٠٠٠٠٠	٢٨٠٠٠٠٠٠	٢١ر٣ ٪
١٩٥٨	١٠٥٠٠٠٠٠	٥٢٩٣٠٠٠٠	١٨ر٩ ٪
١٩٦١	١٢٠٠٠٠٠٠	٥٤٦٠٠٠٠٠	٢٢ر٢ ٪

والضريبة من الجمارك لاترجع أهميتها كمصدر للدخل الى الضريبة المفروضة على البضائع الواردة الى البحرين ، لأن هذه الضريبة منخفضة نسبياً ، فضلا عن أن شركة النفط وهى أكبر مستورد فى البحرين لما يلزمها من آلات ومعدات لا تدفع ضريبة جمركيه على بضائعها المستوردة ،ونفس الشىء بالنسبة الى ما تستورده القوات البريطانية بل أن لشركة الطيران الجوية البريطانيه B O A C لا تدفع هى الاخرى أية ضرائب جمركيه على وارداتها ! ! وانما ترجع أهمية الضرائب الجمركية الى تجارة العبور وهى ان كانت تجارة بسيطه لا تتعدى ٢٪ على بضائع الترانسيت ٤ر١٣٪ بالنسبة للبضائع التى تحمل وتفرغ مباشرة من السفن الى القوارب الراسيه فى البحرين دون أن تخزن أو ترسو فى البحرين الا أنه نظراً للرخاء الذى عم الدول المجاورة كالكويت والمملكة العربية السعوديه وقطر وزيادة ما تستورده من بضائع ، ارتفع الدخل من هذه الضريبه وأصبحت تكون المورد الثانى للدخل فى البحرين ، وهكذا يتضح أن البحرين ترتبط اقتصاديا بالمناطق العربيه المجاوره وأن رخاءهايستند الى رخاء هذه المناطق بعد انتاج البترول فيها بكميات وفيره ، ولذا ارتفع دخل البحرين من الجمارك بمعدل خمس أضعاف بين سنتى ١٩٤٦ و ١٩٥٦ ، وقد اهتمت البحرين بالتوسع المنتظر فى المستقبل فى هذه التجاره فأقامت ميناء للتجاره الحره ومهدت الأرصفه وأقامت المخازن عام ١٩٥٨ لتنشط هذه التجاره فماذا لو احتلت ايران البحرين ؟ أغلب الظن أن المملكة العربية السعودية والكويت ستنشىء موانى كبيره لاستقبال سفن البضائع وناقلات البترول الضخمه لتستغنى بذلك عن ميناء المنامه بالبحرين ، ولدى هذه الدول والامارات من الامكانيات مايمكنها من ذلك ، وأغلب الظن أنها لم تهتم بتوسيع موانيها مراعاه لاقتصاد جارتهم العربيه

البحرين أما اذا استولت ايران على البحرين فأن ضربة قاصمة ستوجه الى تجارة العبور وبالتالى الى المصدر الثانى للدخل فى البحرين .

وهكذا ينهار اقتصاد البحرين بانهيار عوائد النفط والضريبة الجمركية فيها فى حالة احتلال ايران لها ، بل أن البحرين كانت تشتهر دائماً من قديم الزمان باعتمادها على التجارة ، فالمشتغلون بالتجاره فيها يفوق عددهم الذين يعملون فى شركة النفط ، واذا كانت تجارة البحرين قديما تستند الى نقل البضائع من الهند الى دول الخليج فأنها تعتمد اليوم على تجارة العبور من جميع دول العالم الى الساحل العربى فقط فماذا يكون الحال لو سلختها ايران من دول الساحل العربىأن انهيارا كاملا سيصيب اقتصادها لاميزانية الحكومة فحسب بل والدخل القومي فيها .

ثالثا ـ الهجرة الى البحرين .

فتحت البحرين أبواب الهجرة اليها للايرانيين وشعوب الكومنولث حتى زاد عدد الاجانب من ٢٪ قبل سنة ١٩٣٠ الى ٢٠٪ سنة ١٩٥٠ ، واذا أضفنا الى ذلك أن كثيرا من الايرانيين سجلوا أنفسهم على أنهم بحرينيون اتضح ان عدد الاجانب فى البحرين لا يقل بحال من الاحوال عن ٣٠٪ أى حوالى ثلث عدد السكان واذا فرضت ايران سيادتها على البحرين فأن موجات من المهاجرين الايرانيين ستتدفق عليها لدوافع سياسية واقتصادية ، ذلك أن الحكومة الايرانية ستحاول جاهدة أن تعمل على تغليب العنصر الايرانى على العربى ـ تماما كما فعلت فى خوزستان بعد سنة ١٩٢٤ ثم لأن ظروف العمل فى البحرين أفضل منها فى ايران .

واذا رجعنا الى الاحصائيات المقارنة لكثافة السكان فى العالم العربى وهى التى توضح مدى ازدحام أو تخلخل السكان ، أو مدى علاقة عدد السكان بالمساحة لاتضح لنا أن البحرين بها أعلى نسبة لكثافة السكان فى العالم العربى بعد قطاع غزة ، والاحصائية الآتية توضح ذلك نقلا عن كتاب « أحوال السكان فى العالم العربى » للدكتور عزة النص . ص ٤٥ :

البلد	الكثافة السكانية بالكيلومتر المربع	البلد	الكثافة السكانية بالكيلومتر المربع
قطاع غزة	٤٨٥	مصر	٢١ر٤
جزر البحرين	٣٠٠ (١)	الأردن	١٣ر٨
فلسطين	٨٠	الكويت	١٢
لبنان	١٣٧	السعودية	٤ر٤
اليمن	٢٣	قطر	أقل من ١
مراكش	٢٣	ليبيا	« « ١

وليست البحرين بلداً صناعياً حتى يكون هناك مبرر لازدحام السكان بها ، كما أن معظم أراضيها قد أقفرت بعد أن هجر أهلها الزراعة ، وهكذا تكون البحرين تعانى فى الوقت الحاضر من ازدحام السكان ، فما بال الأمر لو احتلتها إيران وفتحت باب الهجرة اليها على مصراعيه .

وإذا كانت أهمية كثافة السكان ترجع الى مقارنتها بالمواد الطبيعية للثروة لقياس مستوى الدخل فان تبين أن موارد الثروة فى البحرين وهى البترول

(١) هذا العدد أقرب الى الصحة مما ذكره الدكتور عزه النص (١٨٧) لأن عدد سكان البحرين حوالى ١٤٣ر٠٠٠ نسمة ومساحة الجزر حوالى ٦٠٠ ك.م .

والجمارك من تجارة العبور ستكون مهددة بضربة قاصمة لو احتلتها إيران ، وبذلك يرتفع عدد السكان ارتفاعاً مفاجئاً بينما تنهار موارد الثروة انهياراً مفاجئاً أيضاً ، وتكون أكبر كارثة اقتصادية تحل بالبحرين فى تاريخها لا سيما أنه ليس فى باطن أرض البحرين من الثروة المعدنية - غير البترول - حتى يمكن استغلالها والاستناد اليها لتعويض الخسارة المترقبة ، كما أن زيادة السكان لا سيما حينما تكون زيادة طبيعية وغير طبيعية من الهجرة وإنما دائماً أنشط من زيادة الموارد الطبيعية أى استصلاح الأرض لو اتجه التفكير الى العودة الى الزراعة .

فاذا كانت هذه هى النتائج الاقتصادية التى ستحدث لو استولت إيران على البحرين ، فما الذى يبرر هذا الضم من الناحية الاقتصادية ؟

أن البحرين لا تعتمد فى وارداتها على إيران ، أن العملة الأجنبية التى تحصل عليها البحرين من عوائد النفط تنفقها فى استيراد ما يلزمها من سلع ضرورية وكمالية ، فالبحرين تستورد كل شىء .. أنها تستورد الأرز والقمح والدقيق والخضر والفواكه والقطن والذرة والمنسوجات والأحذية والملابس الجاهزة والأدوات الكهربائية والسيارات والأفلام السينمائية والفواكه المحفوظة والصابون والأدوية والبلاط والأسمنت ومواد البناء وآلات التصوير والأدوات المنزلية والورق والكتب والأسماك المحفوظة والأوانى والبويات وأدوات الزينة والعطور والآلات القاطعة والزجاج والسجاد والدراجات والكبريت والمواقد والمواد الكيماوية والأدوات المدرسية والأدوات الصحية والسجاير وأدوات الحفر الميكانيكية ومنتجات الألبان والزيوت وأنواع الشربات والحلوى ، وهى تستورد كل ذلك من ٥٠ دولة فى طليعتها الهند وبريطانيا والولايات المتحدة

وباكستان واليابان والملايو وبورما وألمانيا ، ويأتى ترتيب إيران بعد هذه الدول كلها لأنها لا تستورد منها إلا بعض الخضر والفاكهة والسجاد ، واقتصاد إيران ليس متكاملا مع اقتصاد البحرين حتى يغنيها عن الاستيراد من الدول الأخرى ويوفر عليها العملات الأجنبية التى تنقصها مقابل ما تستورده من سلع ، بل ستظل تنفق ما لديها من عملات صعبة ان بقيت المصادر التى تجلب لها هذه العملات على حالها دون انهيار .

وخلاصة القول إذن .. أن تبعية البحرين لايران لن يلحق بمصالح البحرين الاقتصادية ضرراً محققاً فحسب ، بل أنها ضربة قاصمة لاقتصاد البحرين وانهيار تام لدخلها القومي وميزانية حكومتها .

إن مجتمع البحرين يتبع الخليج العربى اقتصادياً ، بل أن شعب البحرين يكاد يعتمد اعتماداً كلياً على المناطق العربية اقتصادياً ، بل أن شعب البحرين يكاد يعتمد اعتماداً كلياً فى دخله على المناطق العربية المجاورة ، ولا يبهرنا انتاج البحرين من البترول فهو انتاج ضئيل لا يتعدى مليون ونصف مليون طن فحسب بل أن المصادر البترولية تشير الى أن احتياطى البحرين من البترول - أى كمية البترول المخزون فى باطن البحرين - لا يتعدى ٣٠ مليون طناً ، ولو صح هذا لكان معناه نفاد بترول البحرين فى مدة ٣٠ سنة على الأكثر أى قبل أن ينتهى عقد الامتياز سنة ١٩٩٥ فلا يتبقى للبحرين إلا معمل التكرير وتجارة العبور .

الفصل التاسع

سادساً - وجهة نظر الشعب - الشعور القومى

ما الذى يحدد الشعور القومى لأمة ما ؟.. ألا يستند الشعب - حينما يدلى برأيه فى الاستفتاء العام - الى أساس ثابت يمكن التعرف عليه بحيث تعتبر مظاهر التعبير عن قوميته متسقة مع هذا الأساس !.. هل يعقل مثلا - لو أجرى استفتاء فى البحرين - أن يطلب الشعب الانضمام الى دولة لا يشاركها فى اللغة ولا العادات أو التقاليد ولا الماضى المشترك ولا المصالح الموحدة ؟

إن التراث القومى هى القاعدة الثابتة التى ينبثق منه مظاهر تعبير الرأى العام عن إرادته الحرة ، ذلك أنه لا يمكن لأمة أن تنفصل تماماً عن ماضيها وتتبرأ منه لتلقى بنفسها فى أحضان أمة أخرى وتتقبل حضارة جديدة متباينة كل التباين مع حضارتها ومقومات شخصيتها وكيانها المستقل ، ولقد اتضح جلياً فى عرضنا للناحية الحضارية أن خصائص الحضارة فى البحرين تختلف كل الاختلاف عن خصائص حضارة فارس ولا تشترك معها فى شىء إلا فى عقيدة مذهبية بين بعض سكان البحرين ولا يكونون الأغلبية ، ولا يمكن أن تعتبر هذه قاعدة يستند اليها لتبرير دعوى إيران فى البحرين ، وليس أدل على ذلك من أن شيعة البحرين قد اتخذوا لهم نادياً يعبرون فيه عن نشاطهم الاجتماعى والثقافى والرياضى وربما السياسى أيضاً وأسموه « نادى العروبة » والشرط الأول للانضمام الى النادى - كما هو مبين فى لائحته - أن عضوية النادى مباحة لكل فرد عربى فقط .

حينما يعبر الشعب عن رأيه فى حرية مطلقة ودون ضغط أو تهديد ، فأن التراث الذى خلفه له الآباء والاجداد مدى آلاف السنين هو الذى يحدد له اتجاهاته ، ولا يتعارض هذا مع أية دعوى تقدمية أو اصلاحية لان التراث القومي هو شخصية الامة وكيانها وحينما تنقد الامة تراثها فقد أندثرت وأندثرت معها حضارتها ، وهذا هو ما يميز القبائل التى تسكن استراليا عن الشعب العربى ، وكلاهما تعرض للاستعمار البريطانى ، الأول فقد حضارته وانساق وراء الثقافة الانجليزية ففقدت استراليا مقوماتها الحضارية ، أما الشعب العربى فقد احتفظ بكل شىء رغم محاولات الضغط .

هذا فيما يتعلق بالماضى الذى يحدد الاتجاه الحاضر ، فماضى البحرين لم يرتبط بفارس وبالتالى فان حاضرها لا يمكن أن ينقطع فجأة عن ماضيها ليطلب الشعب فجأة مثل هذه الرابطة . ووجهة النظر الايرانية لا تنكر الرأى العام وقيمته فى هذه المشكلة ، إذ يقول الدكتور آدميات أنه لا يمكن أتخاذ اللغة أو العنصر أساساً للجنسية . . انما تستند الجنسية الى عقلية الشعب ونظرته الى الأمور وآماله وإتجاهاته الاجتماعية ووجدانه القومي ، ثم يذكر بعد ذلك حالة واحدة كمظهر لتعبير شعب البحرين عن إرادته ، وحتى هذه الحالة لم تسرد سرداً يطابق الواقع ، ذلك أن مظاهرات قامت سنة ١٩١٩ ضد بريطانيا على أثر محاولة المعتمد البريطانى تطبيق القوانين السارية فى الهند على البحرين بما فى ذلك قوانين القضاء ، فتدعى وجهة النظر الايرانية أنه تكون بالبحرين « حزب التحرير » وهو فرع للحزب الديموقراطى الذى كان قائماً فى ايران وأن طلبات قد أرسلت الى البرلمان الايرانى تطلب اجراء انتخابات فى البحرين حتى يكون لها ممثل فى البرلمان وأن هذه المعارضة للسياسة البريطانية قامت على أكتاف الايرانيين

والشيعة البحارنة الذين ينتسبون الى أصل إيرانى وأن هذه الحركة التحريرية لم يشارك فيها العرب وأن زعيم الحركة هو الشيخ عبد الوهاب الزيانى أكثر زعماء الشيعة نفوذاً فى البحرين (١) .

والرد على ذلك أن أعيان البحرين قد كونو مجلسا منهم اجتمع بحاكم البحرين أنذاك وهو الشيخ عيسى بن علي وطالبوا بوضع حد للتدخل البريطانى ووافقهم الشيخ على رأيهم بألا حق للانجليز فى التدخل فى الشئون الداخلية ولكن الانجليز أوعزوا الى الحاكم أنه يهدف الى خلعه كما أحالوا الحرية الوطنية ال فوضى مذهبية بين السنة والشيعة حتى انقلب الامر الى صراع دامى بين طائفتى الشعب ، حتى عجزت سلطات الامن فتدخل الانجليز وأجبروا الشيخ عيسى على التنازل عن الحكم لابنه الشيخ حمد عقابا له على تعضيده لزعماء البحرين ثم نفذ الانجليز القوانين التى أرادوا تطبيقها .

ولم يحدث أن تكون حزب للتحرير من الايرانيين بالبحرين تحت زعامة الشيخ عبد الوهاب الزيانى لسبب بسيط هو أن عبد الوهاب الزيانى من السنة وليس من الشيعة ومن العرب وليس من الفرس .

ولقد اتصلت بنجل الشيخ عبد الوهاب وهو عبد الرحمن وبحفيده راشد للاستفسار عن صحة الحادثة المنسوبة الى عميد أسرتهم سنة ١٩١٩ والذى تدعى المصادر الايرانية أنه ايرانى من الشيعة ، فأبدى كلاهما استغرابه لهذه الوقائع المحرفة ، فأسرتهم من المملكة العربية السعودية ومنتشرة فى الخليج العربى والشام والاقليم المصرى وتونس والمغرب ولكن ليس لهم أى فرع فى ايران وأن

(١) F. Adamyat - Thebahrain Islands - P. 19o

أسمهم يرجع الى بلدة الزيانة بالمملكة العربية السعودية وأنهم عرب خلص نزحوا الى البحرين فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر بعد أن استولى آل خليفة على البحرين ، وأن عبد الوهاب الزيانى كان مؤيدا من الشيخ عيسى بن على فى حركته القومية .

وبعد أن صحح راشد الزيانى هذه الوقائع المحرفة عن جده استدرك فذكر حادثة فردية وقعت فى سنه ١٩١٩ وهى حالة شجار بين احدى الحمالين الفرس كان يشتغل فى الفرضة (الميناء) وبين زميل له من العرب ، وتحزب الايرانيون الذين يعملون معه لزميلهم كما تحزب العرب لزميلهم ، فهل هذه الحادثة تعبر عن قومية شعب البحرين وطلب الانضمام الى فارس . ؟

واستدل الدكتور عباس فاروجى على أحداث أخرى وقعت بعد ذلك كصراع وقع سنة ١٩٢٢ بين أهالى قرية عالى وهم من الشيعة الايرانيين – على حد تعبيره – وبين أهالى قرية البديع من العرب السنة ، والواقع أن هذا الصراع قد تكرر مراراً لا باعتباره صراعا عنصريا وانما مذهبى لأن سكان عالى من الشيعة ولكنهم عرب والحقيقة والانصاف تدفعنا أن نذكر – نقلا عن بعض رواة السنة أنفسهم (١) – أن سكان عالى ومن جاورهم من سكان القرى كانوا يتعرضون لهجمات من قبيلة الدواسر التى كانت تسكن البديع وساحل قطر ، حتى تدخل حاكم البحرين وخير الدواسر بين الاستقرار أو الرحيل نهائيا وبذلك استتب الامن ، كانت أذن غزوات قبلية تعرض لها سكان القرى الشيعية ، ولم

(١) يذكر تقرير الأمن العام سنة ١٩٤٦ أن هجمات وقعت من قبيلة الدواسر بعد أن نزلوا عند قرية البديع على القرى الشيعية المجاورة وأهمها قرية عالى .

يكن لمثل هذه الحركات أى طابع يستدل منه على صراع بين الايرانيين والعرب.

وفى سنة ١٩٤٧ سافر شخص الى ايران كان يعمل كاتبا بسيطا بمؤسسة تجارية ومراسلا لاحدى صحف ايران وهو من الشيعة الايرانيين وطالب بدخول مجلس النواب الايرانى واعتباره عضوا فيه كممثل عن البحرين ، ولم يوافق المجلس لانه ليس منتخبا من شعب البحرين .

هذه هى الوقائع التى ذكرتها المصادر الايرانية لتتخذها حجة للتدليل على مظاهر تعبير شعب البحرين عن رغبته فى الانضمام الى ايران ، وهى أما وقائع محرفة وأما حوادث فردية لا يمكن أن تعبر تعبيرا سليما للرأى العام .

على أن مظهر تعبير الرأى العام فى البحرين عن قوميته العربيه لا حصر لها ولذا فان ما نسوقه هنا على سبيل المثال لا الحصر ، وهى مظاهر جماعية تعبر عن شعور قومى للشعب بأكمله وليست مجرد حوادث فردية .

وأول هذه المظاهر التى أسوقها أنقلها من كتاب الدكتور عباس فاروجى نفسه — وهو فارسى يمثل وجهة النظر الايرانية ، اذ يقول أن مظاهرات قامت فى البحرين سنة ١٩٣٨ وطالب المتظاهرون بتكوين مجلس وطنى للعدل والمعارف كما طالبوا بتأسيس نقابات العمال ومجلس تشريعى وطرد العمال غير الفنيين الاجانب من شركة النفط واحلال رعايا البحرين مكانهم . وقد قبضت السلطات البريطانية على بعضهم ونفت البعض الآخر ، وذهب آخرون الى البصرة كلاجئين حيث كونوا اتحاداً أسموه « اتحاد مساعدة عرب الخليج » *ssociation to help the Arabs of the Gulf.* ويهمنا من هذه الحادثة العبارة الاخيرة انهم لجأوا الى البصرة وأن الاتحاد تكون بأسم عرب الخليج .

التجاوب مع عرب فلسطين — ومن أهم مظاهر التعبير عن القومية العربية فى البحرين مشاركة شعب فلسطين شعوره سنة ١٩٤٨ وهذا ما ورد فى تقرير الحكومة سنة ١٩٤٨ «قرر ممثلوا النوادى مطالبة أصحاب السينمات زيادة ثمن التذكرة آنه واحدة لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين،وقد حدثت اضطرابات خطيرة لم يسبق لها مثيل فى البحرين فى العشرين سنة الاخيرة هذا ما يقرره المستشار البريطانى تشارلز بلكريف — اذ لم يكن مجرد تظاهر للاحتجاج على تقسيم فلسطين وانما تعدى الامر الى الهجوم على منازل اليهود ومحلاتهم — ولا يتعدى عدد اليهود ٢٠٠ كلهم تجار فى المنامة ، والقيت الحجارة على البنك الشرقى ، واشتركت تلميذات المدارس لأول مرة فى البحرين ، وقد اتلفت مساكن وممتلكات كثير من اليهود ونقل أربعون منهم الى المستشفى وتوفيت أمرأة يهودية » .

النوادى فى البحرين — نظرا لأنه لا توجد أحزاب فى البحرين حتى يعبر الشعب عن وجهة نظره ، فان النوادى التى تأسست قبل الحرب وأثنائها أنتشرت فى البحرين وأهمها — نادى البحرين — النادى الأهلى — نادى العروبة ، وأصبحت هى مجال التعبير عن الرأى العام ، وليست هذه نواد ثقافية واجتماعية ورياضية فحسب ، بل كان لها الى وقت قريب طابع سياسى لاسيما نادى البحرين الذى أوقفت الحكومة نشاطه ايقافا يكاد يكون تاما ، وجميع هذه النوادى عربية لا تسمح للعضوية فيها الا للعرب ومنها نادى العروبة الذى يعتبر نادى الشيعة .

وفى سنة ١٩٥٨ سمحت الحكومة للنوادى بمزاولة نشاطها الثقافى فقط

فتأسس اتحاد الأنديه فى البحرين الذى بدأ نشاطه الموسمى سنة ١٩٥٨ بدعوة الأستاذ محمد فؤاد جلال رئيس مؤتمر الخريجين العرب حيث ألقى محاضرتين عن القومية العربيـة أحداهما فى نادى البحرين والثانية فى نادى العروبة (الخاص بالشيعـة) .

الهيئـة الوطنيـة ـ معظم المطالب الخاصة بتحديد سلطة المستشار وإقامـة مجلس تشريعى ومجالس للدوائر الحكومية وتأسيس نقابات العمال تقدمت بها الهيئة الوطنية التى انتشر نفوذها بعد الحرب والتى يعتبر زعماؤهـا ممثلى الشعب حيث وجدت التأييد الكامل من كل الطبقات ما عدا الأسـرة الحاكمة التى كانت تنظر إلى زعمائها بكثير من الارتياب ، ومن أهم مطالب هذه الهيئة الوحدة العربية بل أن زعيمهـا عبد الرحمن الباكر قد أدلى بحديث الى الصحافة المصرية أثناء زيارته لمصر فى سبتمبر سنة ١٩٥٦ أن من مطالب الهيئة الاتحاد مع مصر ، وقد تعرض لذلك الصحفى البريطانى رودريك وين حين زار البحرين سنة ١٩٥٦ أذ تعرض لذكر الهيئة الوطنية وأعترف انها تمثل شعب البحرين ، وتسائل ما موقف بريطانيا الرسمى منها ؟ ثم رد على نفسه بأن حكومة صاحبة الجلالة لا بد أن تساند حاكم البحرين شخصيا لو تزعزع مركزه وساءت الامور الى حد خطير ، وأن المطلب الأساسى لهذه الهيئة الاتحاد العربى الذى يجب أن يبدأ باتحاد مشيخات الخليج ثم الاندماج مع المملكة السعودية والدول العربيه الاخرى (١) ولا يمكن أن يتهم الصحفى البريطانى بتأييده للهيئة الوطنية أو عروبة البحرين ، على عكس ذلك ، أنه تساءل فى حقد لماذا ينظر شعب البحرين الى مصر وهى دولة ليست عربية . . ؟

(١) Rodaric Owen - The Golden Bubble,

وفى سنة ١٩٥٥ شارك شعب البحرين فى مسألة تسليح الجيش العـربى (المصرى) حيث أقيمت المباريات فى كرة القدم وجمعت التبرعات وأقيمت مزايده على صورة الرئيس جمال عبد الناصر وصلت الى ٣٠٠٠ روبية .

وفى سنة ١٩٥٦ حينما تعرضت مصر للعدوان الثلاثى شارك شعب البحرين بالمظاهرات التى اشتركت فيها جميع طوائف الشعب وتعطلت الأعمال فى الدوائر الحكومية حوالى أسبوعين واقامت شركة النفط حراسة مشددة على الآبار والأنابيب ومعمل التكرير ومنعت الدخول الى عوالى مدينة الموظفين الأجانب ونقلت كل الأسر الانجليزية والاوربية التى كانت تسكن العاصمة الى داخل مدينة العوالى حيث ظلت تحت حراسة شديدة ، وتوقف العمل فى الشركة ومنع العمال من مزاولة أعمالهم خشية قيامهم بأعمال النسف مشاركة لمصر ، بل وأحرقت المساكن المملوكة للانجليز أو المؤجرة لهم فى كل من المنامة والمحرق وتدخلت السلطات البريطانية وقبضت على زعماء الهيئة الوطنية وأجريت لهم محاكمات صورية حيث حكم على بعضهم بالسجن والنفى ، ولا زال بعضهم ومنهم عبد الرحمن الباكر وعبد على العلويات وابراهيم فخرو وعبد العزيز الشملان معتقلا أو منفيا .

وحينما أقامت الشعوب العربية يوم الجزائر فى سنة ١٩٥٩ ، شارك شعب البحرين فيها ، وجمعت التبرعات وزايد السكان على صورة المجاهدة الجزائرية جميلة بوحريد ، ووصل مجموع التبرعات الى أكثر من نصف مليون روبية .

انتخابات مجلس المعارف سنة ١٩٥٦ ـ على أن الاستفتاء الصحيح لميول شعب البحرين العربية تتضح من مناصرته لممثلى الهيئة الوطنية وذلك فى انتخابات مجلس المعارف سنة ١٩٥٦ ، اذ نتيجة للضغط الشديد والالحاح الشعبى بضرورة

أقامـــة مجالس منتخبة فى الدوائر الحكومية ، أضطرت السلطات الحاكمة الى اجراء هذه الانتخابات الذين اشتركوا فى الانتخابات حوالى ٨٠٪ من الذكور البالغين من البحرينيين فوق سن ١٦ سنة ، وقـد بلغ عددهم حوالى ٢٣ر٥٠٠ فرداً وقد حصلت الهيئة على ٩٢٪ من أصوات الناخبين الأمر الذى ادى الى تدخل السلطات الحاكمة والغاء نتيجة الانتخابات وتعيين كل أعضاء المجالس(١).

والهيئة الوطنية هى التى تسعى الى الوحدة العربية ، وتجعل ذلك مبدأ من أهم المبادى التى ينادى بها زعماؤها .

هـذه بعض الامثلة لمظاهر تعبير الرأى العام فى البحرين عن عـروبته ، ذكرتها على سبيل المثال لا الحصر ، هـذا بالرغم من الضغط والكبت الذى يتعرض له الشعب لـكى لا يعبر عن مشاعره بحرية مطلقـة ، ويتضح منها أن شعب البحرين قد شارك بمشاعره وعواطفه ووجدانه مع شعوب الأمة العربية فى كل الاحداث الهامة ولم يفت فى عضده أو يضعف من عزيمتـه ثنائية المذهب فيه أو الضغط الاستعمارى عليه .

ومع أن الجمهورية العربية المتحدة لم تدع فى يـوم ما السياده على البحرين ـ كما هو الوضع فى ايران ـ فان الذى يطوف شوارع المنامة أو المحرق أو غيرها من المدن أو القرى يجد صورة الرئيس جمال عبد الناصر فى كثير من المحلات والمساكن ، أما المحلات التى تعلق فى واجهاتها صورة الشاه أو صورة محمد مصدق فمع قلتها فأصحابها أيرانيون وليسوا من سكان البلاد الأصليين ، وليس ادل عـلى ذلك من وجود هذه الظاهرة فى العاصمة فقط حيث يتركز فيها الاجانب تماما كما يلاحظ أن الهنود يعلقون صورة نهرو والباكستانيين صورة محمد على جنة.

(١) *Roderic Owen - The Golden Bubble.*

فاذا احتكم الى شعب البحرين ليدلى برأيه ـ بشرط أن تتوقف الهجرة غير المشروعة من إيران وبشرط أن يشترك فيها البحرينيون فقط الذين يثبت أقامتهم بالبحرين مدة طويلة أو ولادتهم بها هم وآباؤهم ، فانه لن يخامرنا أدنى شك فى أن سيعلن الشعب عن عروبته :

والدكتور آدميات يدرك هـذه الحقيقة ويعترف بهـا بدليل أنه يدعى أن محاولات من التعريب القسرى قد فرضت عـلى شعب البحرين بعد دخـول آل خليفة ، وهذا يتضمن الافـتراض أن شعب البحرين كان يتحدث الفارسية قبل دخول آل خليفه ، وهـذا ما لم يذكر فى أى مصدر من مصادر التاريخ القديم أو الوسيط ، أنه حتى فى عهود الاحتلال الفارسى للبحرين كان حكامها غالبا من العرب ولغتها عربية وشاركت البحرين فى الثقافـة العربيـة والأدب العربي وظهر منها شعراء عرب كطرفة بن العبد قبل الاسلام ، ما من مؤرخ من المؤرخين المسلمين كالطبرى والاصفهانى والاصمخرى وناصر خسرو والبلاذرى ادعى بأن شعب البحرين من الفرس ويتحدث اللغـة الفارسية ، وأما ما ذكره الدكتور آدميـات أن غالبية شعب البحـرين سنة ١٨٦٠ كان مـن الشيعة الايرانيين وأنهم كانوا يؤلفون ثلثى السكان فهذا ما لم يقم بينه عليه لانه لم تكن هناك إحصائيات رسمية .

وبينما يعتبر الدكتور آدميات ادخال الانظمـة فى البحرين كالجنسية وتسجيل الأراضى من محـاولات التعريب القسرى اعتبرها الدكتور فاروجى محاولات بريطانية لربط البحرين بعجلة الامبراطورية فى الهند ، ولعل هـذا هو الأقرب الى الصحة حيث طبقت فى البحرين القوانين المعمول بها فى الهند وأصبح المقيم البريطانى يتبع حاكم الهند البريطانى واستخدمت العملة الهندية (الروبية).

أن التشريعات التى تمت فى البحرين بعضها تفرضه المصالح البريطانية وبعضها الآخر تفرضه مقتضيات المدنية كالجنسية وتسجيل الأراضى ، وإذا لم تكن مطبقة من قبل ، فانها أيضا لم تكن مطبقة فى الدول العربية بأكلها حينما كان للامبراطورية العثمانية نفوذها على العالم العربى .

لم تفرض على البحرين أذا سياسة التعريب القسرى لا فى النواحى الثقافية ولا السياسية ولا الاقتصادية أما سياسيا واقتصاديا فالبحرين مرتبطة ببريطانيا ، وأما ثقافيا فقد كانت البحرين دائما عربية ، وأما التشريعات التى طبقت فاقتضتها السياسة البريطانية طالما أنها تفرض حمايتها على البحرين والسفارات والقنصليات البريطانية أصبحت مسئولة عن مصالح البحرين ورعاياها فى الخارج فاقتضى الأمر أن تتضح الجنسية البحرينية .

والاستناد الى الطائفية وشيعة البحرين لا يمنح إيران حقا فيها ، لأن الشيعة يتجهون الى الاماكن المقدسة فى إيران ولا يرتبطون بها سياسيا ، وإلا لحق للعراق بنفس المنطق أن تطالب بالبحرين ، ولحق لايطاليا أن تطالب بالنفوذ السياسى على كل الدول الكاثوليكية لان بها الفاتيكان ! !

وإذا كانت البحرين عربية دائما فلا مجال للحديث عن سياسة تسمى التعريب القسرى ، وبالتالى لا مجال للاستناد الى قواعد القانون الدولى التى لا تقر سياسة القهر والارغام لمسخ أو تغيير قومية شعب أو شخصية اقليم أن مجال تطبيق القانون الدولى فى السياسه التى كانت تتبعها فرنسا لمسخ شخصية الجزائر وقوميتها العربيه ، وفى السياسة التى تتبعها بريطانيا فى عدن بل ونفس السياسه التى تتبعها بريطانيا فى البحرين حينما تفتح أبواب الهجرة على مصراعيها للايرانيين وشعوب الكومنولث لتجعل من الاغلبية العربية فيها أقلية .

خاتمة

(١)

من كل ما تقدم أتضح فى جلاء لا يقبل الشك أن الأسس الجغرافية والتاريخية والحضارية والقانونية والاقتصادية فضلا عن الرأى العام فى البحرين يدحض دعوى إيران السيادة على البحرين ، وليست هذه الحقائق مجهولة لدى إيران أو الحكومة الرسمية فيها وان كانت تتجاهلها ، فما هى الدوافع الحقيقية أذن التى تكمن وراء مطالبة إيران ؟

مطالبة إيران بالبحرين وعقدة النقص الامبراطورى ـ (الدولة التى كانت أمبراطورية) .

يبدو أن الدول التى كانت امبراطوريات عظمى فى التاريخ ، يعاودها أو يعاود ملوكها على وجه أصح الحنين الى الماضى فيعمل حكامها أو ملوكها على الاحتفاظ بشىء كذكرى للماضى المجيد ، ان شاه ايران يعتبر نفسه سليل الاكاسرة الذين كانوا يوما ما أقوى ملوك العالم ، ولا زال ملك ايران نفسه يتمسك بلقب « شاهنشاه » أى ملك الملوك بل لا زال يتمسك بلقب « امبراطور » ، بالرغم من أنتهاء الامبراطورية الفارسية منذ مئات السنين ، وكما أن الثرى الذى يمتلك الضياع والعقارات والقصور والتحف والشهرة يتمسك باللقب حتى بعد أن تلغى الالقاب ، كذكرى لماضى المجد والثراء كذلك الحكام لا سيما الملوك حينما يفقدون ، أو يفقد أجدادهم ، الدول التى كانو

يبسطون نفوذهم عليها ، يعملون جاهدين على الاحتفاظ بمقاطعة أو ولاية لتكون لهم التراث أو الأثر الباقى من عهد الامبراطورية ، هكذا فعلت تركيا حينما نفضت يدها عن كل ممتلكاتها فى أوربا والشرق العربى ولكن عقدة النقص الحت على حكامها حتى بعد ثورتها فاستولت على لواء الاسكندرونه وسلخته من سوريا مع أن تركيا لا ينقصها الموانى المطلة على البحر ، ومع أن جبال طوروس هى الحدود الطبيعية بين تركيا وسوريا ، ومع أن شعب الاسكندرونة من العرب ، ولكنها ذكرى من عهد الامبراطوريه الخالى ، وفرنسا امبراطورية تحتضر ، بعد أن وطئت أراضيها أقدام الجنود الالمان ثلاث مرات فى أقل من قرن واحد (الحرب السبعينية والحربان العالميتان الاولى والثانية) ، وبعد أن تلقت أبشع الهزائم فى الهند الصينية ، ومع ذلك كله فلا زالت فرنسا تصر على أنها من الدول العظمى وظلت مده تتمسك بالجزائر وتعتبرها جزء من فرنسا ، أما مواطنو الجزائر العرب فهم فرنسيون مسلمون - مرة أخرى انها عقدة النقص عند الامبراطورية المحتضرة .

والملوك هم أشد الحكام حرصا على هذه الذكريات لاجدادهم ، وليس أدل على هذا من أن إيران احتفلت سنة ١٩٦٠ بذكرى مرور ٢٥٠٠ سنة على قيام الامبراطورية والنظام الامبراطورى فيها ، اشباعا لعقدة النقص وأرضاء لغرور الشاه الذى تلفت يمنة ويسرة فلم يجد من أثر لهذه الامبراطورية، فشخص ببصره عبر الخليج يطالب بالبحرين . أما لماذا اختار البحرين بالذات فلانها مجموعة من الجزر . . كما لو كان هذا يعنى أنها غير مملوكة لاحد، الم تكن من حجج ايران فى احدى مذكراتها لبريطانيا أن الخليج اسمه الخليج الفارسى فكل ما فيه تابع لفارس ؟ وألم تحتج أيضا أنه لا توجد دولة أخرى تنازع

إيران ملكية هذه الجزر ؟ إن مطالبة إيران البحرين هى عقدة النقص الامبراطورى لدى ملوك إيران حتى يستحقوا عن جدارة لقب « امبراطور » هذا اللقب الذى يتضمن بسط النفوذ والسيطرة على مناطق خارج الحدود الطبيعية للدولة والتسلط على شعب آخر يختلف فى الحضارة والتراث القومى ، هذا هو التفسير النفسى لاصرار ملوك ايران على المطالبة بالبحرين الامر الذى عبر عنه أحد سفراء بريطانيا فى إيران حينما قال أن هذه المطالبة تعتبر من الغرور الامبراطورى .

ومن الطريف أن شاه إيران الحالى يعقد مؤتمرا صحفيا كل شهر - حينما تتاح له الفرصة أن يكون فى بلده وفى كل مؤتمر يتساءل أحد الصحفيين عن البحرين ، أما الآن الصحفيين موعز لهم بالقاء مثل هذا السؤال وأما لأنهم من الذكاء بحيث يدركون ما يثيره فى الشاه غروره وكبرياءه فالأمر يستوى ، سليل الاكاسرة وحفيد الاباطرة يريد البحرين ذكرى للماضى التليد . ومن الذى يستطيع أن يخلص الشاه من عقدة النقص ، ويقنعه أن عهد الامبراطوريات قد ولى ، واننا فى القرن العشرين حيث تنهار فيه أعظم الامبراطوريات فى العالم ، وأن المبدأ الذى يسيطر على العالم يمنح الشعوب حق تقرير المصير .

وإذا كانت المطالبة بالبحرين من جانب الشاه يعبر عن الشعور بالعظمة أو عقدة الغرور الامبراطورى فأنها بالنسبة للحكومات الايرانية وسيلة للتزلف لدى الشاه أولا وللتغطية على كثير من المتاعب الداخلية التى تعانيها إيران ثانيا ، ولتضليل الرأى العام وأثارة الروح الفارسية القديمة فيه - روح الشعوبية - ثالثا وبايعاز من بريطانيا والولايات المتحدة حتى يستكن شعب البحرين وحكامه

فى أحضان الاستعمار البريطانى خوفا من الشبح الايرانى . . ولايمكن اغفال المصالح الاقتصادية التى ستجنيها ايران إذا قدر لها أن تستولى على البحرين حيث الذهب الاسود و اللؤلؤ ، الامر الذى له وزنه عند الحكام الايرانيين .

على أن الحقيقة التى يجب تسجيلها أن مطالبة ايران بالبحرين ليست من جانب الشاه أو حكومته فحسب وانما شاركت جميع الهيئات و الاحزاب فى ذلك بدليل أنه حينما عرض الامر على مجلس النواب الايرانى وافق الاعضـــاء على اختلاف ميولهم بأغلبية ساحقة على أحقية ايران فى البحرين ، أنها حقيقة جديره أن تتعرف على دوافعها إذ لا يعقل أن تتهم جميع الاحزاب بالشعوبية أو الميول التوسعية ، كما لايستساغ أن يتهم الشعب بالسعى لارضاء غرور الشـــاه أو أنه مضلل من قبل حكومته .

أما تفسير ذلك بالنسبة للهيئات الدينية — الشيعة طبعا — فأن هذه المطالبة استمرار للوضع القديم الذى كان سائداً فى عصر الدولة الصفوية ، حيث كان حكام هذه الدولة يحتلون البحرين لبسط حمايتهم على الشيعة وانقاذهم من سيطرة الخلافة العثمانية السنية ، ولقد انتهت الدولة العثمانية وانتهت القرون الوسطى حينما كانت الامبراطوريات تقوم على أسس مذهبية ولكن الهيئات الدينية فى ايران لازالت تفكر بنفس العقلية .

وأما بالنسبة للهيئات الوطنية — وأقصد الواعية منها — فأن مطالبتهم قائمة على أن البحرين قاعدة للاسطول البريطانى وهى قاعدة عدوانية بالنسبة لكل الدول الواقعة على الخليج ، تهدد بها بريطانيا كل الحركات التحررية المضاده لها سواء فى ايران أو عمان أو العراق ، ولقد كان الاسطول الرابض فى البحرين

يهدد إيران حينما شرعت حكومة مصدق فى تأميم البترول ، ويريد الوطنيون فى إيران التخلص من هذا التهديد الدائم لهم وهم محقون فى ذلك ، وهم يشكون فى مقدرة شعب البحرين بمفرده أن يتحرر من الاستعمار البريطانى ويطيح بهذه القاعدة العدوانية ، ويعتبرون أنهم لن يتخلصوا من ذلك إلا بانضمام البحرين لايران اذ لا يصبح هناك مجال أن تحتلها القوات البريطانية أو تتخذها قاعدة عدوانية ضدهم . واذا كانت الهيئات الوطنيـــة فى إيران محقة فى خوفها من تهديد الأسطول البريطانى لحقوقهم المشروعة .. وإذا كان الأسطول البريطانى لن يجد قاعدة أصلح من البحرين فى الخليج ، فان الوطنيين الايرانيين غير محقين فى مطالبتهم بالبحرين ، لقد كان أولى بهم أن يساندوا مطالب شعب البحرين المشروعة وحقه فى تقرير المصير .. فالأســـطول البريطانى يتخذ قبرص قاعدة عدوانية ضد شعوب الشرق الأوسط ، كما اتخذها قاعدة للهجوم على مصر إبان العدوان الثلاثى ، ولكن هذا لم يبرر لمصر أو الجمهورية العربيـــة المتحدة أن تطالب بها لتتخلص من التهديد البريطانى ، فقد ساندت الجمهورية العربية المتحدة شعب قبرص فى نضاله وطالبت له بحق تقرير المصير . أولى بالهيئات الوطنيـــة فى إيران إذن أن تتخذ نفس الموقف بدلا من المطالبة بالبحـــرين حيث يدفعون بذلك الحكام الى الارتماء فى أحضان الانجليز ليحتموا من إيران .

وقد يكون الشيوعيون فى إيران يطالبون بالبحرين لنفس الدوافع التى يطالب بها الوطنيون وقد يكون ذلك أيضاً للقضاء على مشروعات بريطانيا التى ترمي الى اتخاذ البحرين قاعدة ذرية ، وقد يكون تمكيناً للاتحاد السوفييتى من السيطرة على الخليج فيحقق حلم القياصره القديم وهو الوصول الى المياه الدافئة ولا يتم ذلك إلا بوصول الشيوعيين الى حكم إيران كما يأملون فى يوم ما .

وعلى أية حال .. فقد أجمعت الهيئات والأحـزاب الايرانية ـ من أقصى اليمين الى أقصى اليسار ـ على المطالبة بالبحـرين . وقد أوضـحنا فى غير لبس وأعوجاج هذه الدوافع فضلا عن أن هذا الاجماع لا يدل بالمرة على صحة دعوى إيران فى البحرين ولا يزيد من قوة الحجج الايرانيـة لأن الأمر يتعلق بشعب البحرين لا شعب إيران ، ومن حقه أن يترك له حق تقرير المصير .

وبعد أن كانت إيران توالى مطالبتها بالبحرين من بريطانيا دون أن تظهر فى محيط السياسة وجهة النظر العربية ، فان الوضع قد تغير منذ إنشـاء جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٤ ، من ذلك مثلا أن وزارة الخارجية الايرانية أرسلت كتاباً الى بعثات التمثيل الأجنبية المعتمدة لديها بشأن حظر هبـوط الطائرات فى البحرين وذلك لأن اتفاقية شـيكاغو للطيران المدنى الدولى تقضى بأن يكون هبوط الطائرات وصعودها فى مطارات جمركية ، ولما كانت البحـرين ـ من وجهة النظر الايرانية ـ جزءاً من إيران ، فانه لا يجوز للطائرات الأجنبية عند اجتيازها للحدود الايرانية أو الخروج منها أن تهبط فى مطار البحـرين على اعتبار أنه مطار دولى .

اطلعت اللجنة السياسية ـ لجان الدول العربيـة ـ على الكتاب الدورى لوزارة الخارجية الايرانية وقرر المجلس فى جلسته المنعقـدة فى ١٩٥٤/١١/٦ وذلك فى الدورة رقم ٢٢ القرار الآتى :ـ

« نظراً لأن البحرين بلد عربى لا تربطه بايران علاقة تبعيـة من أى نوع ، فقد أوصت اللجنة بأن ترد البعثات الدبلوماسـية العربية فى إيران التى تلقت المنشور المذكور بهذا المعنى ، وأعدت الأمانة العامة مشروع الرد وقد جاء فيه :

١) لا تنازع حكومة .. فى حق الحكومة الايرانية فى تنظيم الطيران فى

بلادها وفق أحكام القانون الدولى والمعاهدات المرعيـة ، ولـكن حكومة .. قد تلقت ببالغ الدهشة ما جاء فى مذكرة وزارة الخارجية الايرانية من أن البحـرين تعتبر جزءاً من الأراضى الايرانية وأنها منطقـة إيرانية داخليـة . فالبحرين بلد عربى غير خاضع لسيادة إيفران ولا تربطه بايران علاقة تبعية من أى نوع كان

ب) من أجل هذا تأسف حكومة .. لرفض الادعاء القائل بأن البحـرين تعتبر جزء من إيران ولا ترتب على هذا الادعاء أية نتائج قانونية أو عملية .

جـ) وأن حرص حكومة .. والحكومات العربية الأخرى على اسـتدامة علاقة المودة والصداقة (١) التى تربط ـ لحسن الحظ ـ العـالم العربي بإيران يجعلها واثقة من أن حكومة إيران تبادلها هـذا الحرص ، وتعتـبر رسالة وزارة الخارجية الايرانية غير ذات موضوع .

وهـكذا يتضح تضامن الدول العربيـة إزاء موقف إيران غير القـانونى تجاه البحرين ، كما يتضح حرص جامعة الدول العربية واهتمامها بهذا الموضوع .



(١) لم تحرص إيران على هذه العلاقة من المودة والصـداقة حين اعترفت باسرائيل وأقامت علاقات دبلوماسية واقتصادية معها .

(٢)

على أن مشكلة البحرين ليست قضية معروضة على المحاكم ، يحتكم فيهـا الطرفان المتنازعان الى ضمير القضاة ، والى الحق والعدالة الانسـانية ، إنها قضية سياسية قبل كل شيء ، وأعنى بهذا أنهـا دخلت فى طور الألاعيب السياسية ومؤامراتها لا من جانب بريطانيا أو شركات البترول فحسب ، بل من جانب إيران كذلك ، أنها تسعى الى الحصول على أهدافها بكافة الوسائل وشتى الأساليب ، ولم يعد الأمر أن تقارع إيران الحجة بالحجة وتغالبهم بالاقتناع وتدلل على أحقية العرب فيها ، إنما استفحل الأمر وتعقدت المشـكلة بعد أن قطعت إيران شوطاً بعيداً لتدعيم دعواها وبسط نفوذها .. وهذه بعض الأمثال التى اتبعها الايرانيون فى سبيل تحقيق هدفهم :

أولا ـ التسلل الايرانى بالجملة الى البحـرين :

بالرغم من أن المصادر الرسمية فى البحرين تذكر أن عدد الايرانيين حوالى ٧٠٠٠ نسمة ، فانها تعترف أن هذا العدد أقل من الواقع بكثير ، مع أن هـذه النسبة تعتبر كبيرة إذا قورنت بعدد السكان الذين لا يجاوزون ١٤٥٫٠٠٠ نسمة ولقد سبقت الاشارة الى أن كثيراً من الايرانيين يخفون جنسيتهم الحقيقيـة لاقرار وضعهم فى البحرين .

وتعترف التقارير السنوية لدائرة الهجرة والجوازات بهـذا التسلل الجماعى ، إذ ورد فى تقرير سنة ١٩٤١ أن طلبات كثيرة للايرانيين قدمت للحصول على الجنسية البحرينية ، وفى سنة ١٩٤٢ ورد فى التقرير ما يفيـد زيادة الهجرة غير

المشروعة و لعل أخطر ماورد فى تقارير سنوات الحرب العالمية الثانية ما ورد فى تقرير سنة ١٩٤٣ أن تسهيلات قدمت للايرانيين للعمل فى الشركـة ، وأن ١٠٠٠ ايرانى قد دخلوا فى ٤ شهور وان ذكر التقرير أنه بالرغم كونهم عمالا مهرة الا أن وجودهم غير مرغوب فيه ، وانه قدقبض على ٤٢ ايرانى تسللوا إلى البحرين ، ويعترف التقرير أن أكثر الذين يتسـللون لا يقبض عليهم ، وأن ٣٦ فـرداً أخذوا الجنسية البحرينية معظمهم ايرانيون ، وفى تقـرير سنة ١٩٤٤ ورد أنه سمح لـ ٣٧٢ إيرانى بدخول البحرين أثناء موسم الغوص ، وأن ١٩ فـرداً معظمهم ايرانيون حصلوا على الجنسية ، وفى تقرير سنة ١٩٤٥ ورد ما يفيد تسلل الايرانيين وأن البحرين تعتبر منطقة لكسب المال والثراء بسرعة ، بالنسبة للايرانيين ، وأن النواخذة (رؤساء السـفن) يشجعون عمليات التسـلل حيث يسهلون لهم السفر والعمل فى البحرين مقابل مبالغ يفرضونها على الراغبين .

ومن ذلك يتبين أن الهجرة الايرانية إلى البحرين كانت — ولا زالت — تلقى تساهلا بل تشجيعا من السلطات البريطانية وشركة البترول على أن هذه الهجرة اتسع نطاقها بعد الحرب ، ولم تصبح لمجرد العمل و إنما أصبحت تخفى وراءها أغراضا سياسية .

ولقد أصبح عدد الايرانيين نتيجة الهجرة الجماعية كبيراً بحيث يكاد يمسخ الشخصية العـربية للبحرين وبالرغم من كل محاولات التستر التى يتعمدونها وإظهار أنفسهم أنهم بحرينيو المولد والأصل فان الذى يتتبع الامر بدقة يتبين له أن عددهم لايقل بحال من الاحوال عن خمس عدد السكان ، وهذه النسبة التقريبية استنتجها من نسبة التلاميذ الايرانيين إلى مجموع التلاميذ فى المدرسـة الثانوية

التى تعتبر مجتمعا صغيراً يمثل مختلف الجنسيات فى البحرين ، ولا يشير التلاميذ الايرانيون أدنى إشاره إلا فى القليل النادر إلى أصلهم الايرانى أو أنهم يتخاطبون بالفارسية فى بيوتهم مع أهلهم و ذويهم .

ثانيا ـ الحصول على الجنسية البحرينية :

والخطوة التاليه التى يعمد اليها الايرانيون بعد وصولهم الى البحرين هى الحصول على الجنسية البحرينية حتى يستطيعوا العودة بسهولة الى البحرين ان اضطرتهم الظروف للسفر منها وحتى يضمنوا الاقامة الدائمة وشراء الاراضى وبناء المساكن .

ولما كانت القوانين الخاصة التى تفرضها كل دولة تحاول المحافظة على شخصيتها القومية وتحدد من عدد الاجانب بها غير معروفة فى البحرين ، ولما كانت بطاقات تحقيق الشخصية وكذلك شهادات الميلاد أو أى أوراق رسمية يستند اليها عادة فى مسائل الجنسية غير موجودة أصلا فى البحرين ، أصبح مجال التلاعب للحصول على الجنسية كبيراً ، وأصبحت امكانيات الحصول على الجنسية سهلة ، حقيقة يفترض القانون الاقامة عشر سنوات للحصول على الجنسية ، ولكن التغلب على هذا الشرط يسير طالما لا تطالب الحكومة أى فرد بأية مستندات رسمية أو وثائق تثبت الاقامة ، أنه يكفى لمن يطلب جواز سفر بحرينى أو الحصول على الجنسية البحرينية أن يضمنه أو يزكى طلبه اثنان من التجار أو من أعيان البحرين ليعبر بصحة ماورد من بيانات وما أيسر هذا الضمان وأنا لا أقول ذلك تشكيكا فى ذمم الضامنين ولكن لأن الحقيقة المؤسفة هى أن الوعى بالخطورة المترتبة على طلب الجنسية أو جواز السفر غير متوفر لدى كثير من الناس ، فما أيسر

أن تجد شخصا يحمل جوازى سفر أحدهما بحرينى والآخر يثبت انتسابه الى جنسيه اخرى ، ولايجد أى فرد غضاضة فى ذلك ، بل لازلت أذكر أن أحد الطلبة الذين تخرجوا فى المدرسة الثانوية قد أهله مجموعه أن يطالب بأحقيته فى بعثة الى الخارج على نفقة معارف حكومة البحرين ، ولما كان الطالب معروفا جيداً لدى كل من ادارة المدرسة والمعارف بأنه إيرانى فقد رفضت دائرة المعارف طلبه ، فكان أن قدم جواز سفر بحرينى أثبت به حصوله على الجنسية مع انه يحمل جواز سفر ايرانى سبق ان غادر به ايران . . ومثل هذه الحالات كثيرة لاتدعو الى الاستغراب من المواطن البحرينى ولا المسئولين فى البحرين .

وحصول الايرانيين على الجنسية البحرينية لايمثل تهديداً خطيراً من ناحية ان هؤلاء قد اكتسبوا كل حقوق المواطن البحرينى من الاقامة والعمل وشراء الاراضى فحسب ، بل ان التهديد الاكبر حينما يترك لشعب البحرين حق تقرير المصير ، ألن يطلب كل هؤلاء الانضمام الى ايران ؟

ويقع جزء من مسئولية الهجرة الجماعية والاقامة والعمل من جانب الايرانيين فى البحرين على العرب أنفسهم ، أن عرب البحرين يستنكفون من القيام بالخدمات الشخصية كالعمل فى الفنادق أو المطاعم أو المقاهى أو قيادة السيارات الخاصة أو فتح صالونات الحلاقة أو مسح الاحذية أو غير ذلك من الحرف التى يعتبرونها مهينة فكان أن أصبحت هذه الحرف كلها فى يد الايرانيين أو غيرهم من الاجانب .

وكما كانت الهجرة الى فلسطين من الشباب اليهودى فى سن الجندية للاستناد اليهم وقت الحاجة ، كذلك الامر بالنسبة لكثير من الايرانيين ، والذين

يسكنون العاصمة قد يسمعون ليلا أو يرون جماعات من الشباب المستهتر الذى يقلد أبطال أفلام « رعاة البقر » ويرتدى القمصان الامريكية الزاهية ويتضح من حديثهم أنهم إيرانيون ، وأغلب الظن أن الشباب الايرانى المهاجر إلى البحرين مدرب على حمل السلاح بايعاز من الحكومة الايرانية للاستناد اليهم وقت الحاجة .

وأنا لا انزه العرب عن مزاولة المهن المخلة بالشرف والصق ذلك للايرانيين ، ولكن الحقيقة أن الاسر العربية لازالت متماسكة بحيث يصعب أن يشذ أفراد منهم مهما ساءت حالتهم المالية لمزاولة مهن تتنافى مع الاخلاق العامة ، فضلا عن أن القيم الخلقية التى يتمسك بها الفرد تكون عادة مرتبطة بالمجتمع الذى ينشأ فيه والارض التى يترعرع عليها ، فان ابتعد عن مجتمعه وغادر بلده أزاح عن كاهله هذه القيم واستخف بها لاسيما اذا كانت الهجرة بسبب العوز والحاجة حيث يصبح الثراء هو القيمة الوحيدة التى يسعى الفرد اليها .

وهكذا يتبع الايرانيون نفس وسائل اليهود فى فلسطين لنقل الملكية اليهم وزيادة عددهم فهل تصبح البحرين فلسطين ثانية ؟

ولابد أن أنوه أن الاسرة الحاكمة قد تنبهت الى خطر الهجرة الجماعية من إيران ففرضت دائرة الهجرة والجوازات بعض القيود على دخول البحرين والحصول على الجنسية ، فأصبح لايسمح مثلا باستقدام عمال من خارج البحرين من أية مؤسسة أو هيئة تجارية الا بعد أن تعلن دائرة العمل لمدة أسبوعين عن حاجة هذه المؤسسة الى عمال ، فاذا تبين أن لم يتقدم أحد سمح للمؤسسة باستقدام من تشاء ، كما أن غالبية طلبات الجنسية البحرينية أصبحت ترفض فى السنتين

الاخيرتين ، ولكن هل هذه الاجراءات كافية لاعادة الوضع الى نصابه والاطمئنان الى عروبة البحرين ؟ أشك فى ذلك مادامت لم تتخذ حتى الآن الاجراءات الاخرى للتأكد من الجنسية وتسجيل المواليد والتحقق من الشخصية ، وطالما لازال للسلطات البريطانية وشركة البترول من السلطة ما يكفل لها اتباع الوسائل لتحقيق مآربها المفروضة لمسخ عروبة البحرين فهل تستطيع دائرة الهجرة والجوازات أو دائرة العمل أو أية دائرة اخرى فى البحرين أن تفرض على شركة نفط البحرين أن تدفع اجوراً مماثلة لتلك التى تدفعها « ارامكو » حتى يعود البحرينيون الذين يعملون بالشركة الاخيرة ويفضلون العمل فى بلادهم ويحلون محل مئات الهنود والباكستانيين والايرانيين فى « بابكو » ؟

وهل يستطيع العرب « تعريب » السكرتارية العامة ودائرة الكهرباء ودوائر اخرى معظم موظفيها من الايرانيين والهنود وليس لهؤلاء من الكفاءة ماينقص البحرينيون حتى يستدعى الأمر إستبقاءهم ؟

ان الوضع خطير ويحتاج الى تغيير أعمق جذوراً وخطوات أبعد من التى اتخذت للمحافظة على عروبة البحرين .

ثالثاً ـ الشيعة البحرينيون المسافرون الى ايران :

ومن الوسائل التى تتبعها ايران لاثبات حق ملكيتها للبحرين والتدليل على تبعيتها لها تلك الاجراءات التى تتبعها مع الشيعة البحارنه المسافرين لزيارة الاماكن المقدسة فى ايران ، إذ لا تعترف ايران بجوازات سفرهم التى تثبت

جنسيتهم البحرينية ، إذ بمجرد وصولهم الى الموانى أو المطارات الايرانية تسحب منهم هذه الجوازات ولاتسـلم اليهم الا عند خروجهم من ايران وتستبدل بها أوراق رسمية يوقعها البحـارنة تثبت أن جنسيتهم ايرانيـة وأنهم انتقلوا من مديرية الى مديرية اخرى داخل حدود ايران على هذه الوثائق الرسمية توقيعات من آلاف من البحـرينيين تثبت أنهم ايرانيون ويقيمون بالبحـرين ، وحينما تستدعى الحاجة ستتقدم ايران بهذه الوثائق التى تثبت أن آلافا من البحـرينيين حاصلون على الجنسية الايرانية وأنهم يستوطنون البحرين لتثبيت تبعية الجزر لها بشهادة أهلها لاسيا الشيعة منهم ـ وباقراراتهم ، وقـد يعذر هؤلاء أن هذه التوقيعات قد اخذت قسراً عنهم لتمكينهم من دخول ايران وزيارة الاماكن المقدسة فى مشهد من ناحية ولعدم ادراكهم الخطورة المترتبة على هذه التوقيعات فى المستقبل من ناحية اخرى ، ولـكنها السياسة .

هذه أمثلة أذكرها لبعض وسائل ايران لتأكيد أحقيتها بالجزر وملكيتها لها ، لان الأمر لا يستند الى الرغبة فى احقاق الحق ، وانما الى بسـط النفوذ والسيطرة ، ولقد اتبعت ايران أقصـى ما تملك من وسائل فماذا فعل العرب ؟ وهل تصبح البحرين فلسطين ثانية ؟

أما وسائل العلاج فهى ليست خافية على شعب البحرين وحكامه ، أمامهم الدول الحديثة عربية وغير عربية وفيها القوانين التى تحافظ بها على كيانها والتشريعات الخاصة بالاقامة بالنسبة للاجانب والهجرة وعقوبات التسلل غير المشروع ، وتفرض جميع دول العالم على مؤسساتها وشركاتها نسبة معينة يكون فيها الموظفون والعمال من مواطنيها وهم يعلمون أنه لا توجد دولة فى العالم تكون القوة المسلحة الوحيدة

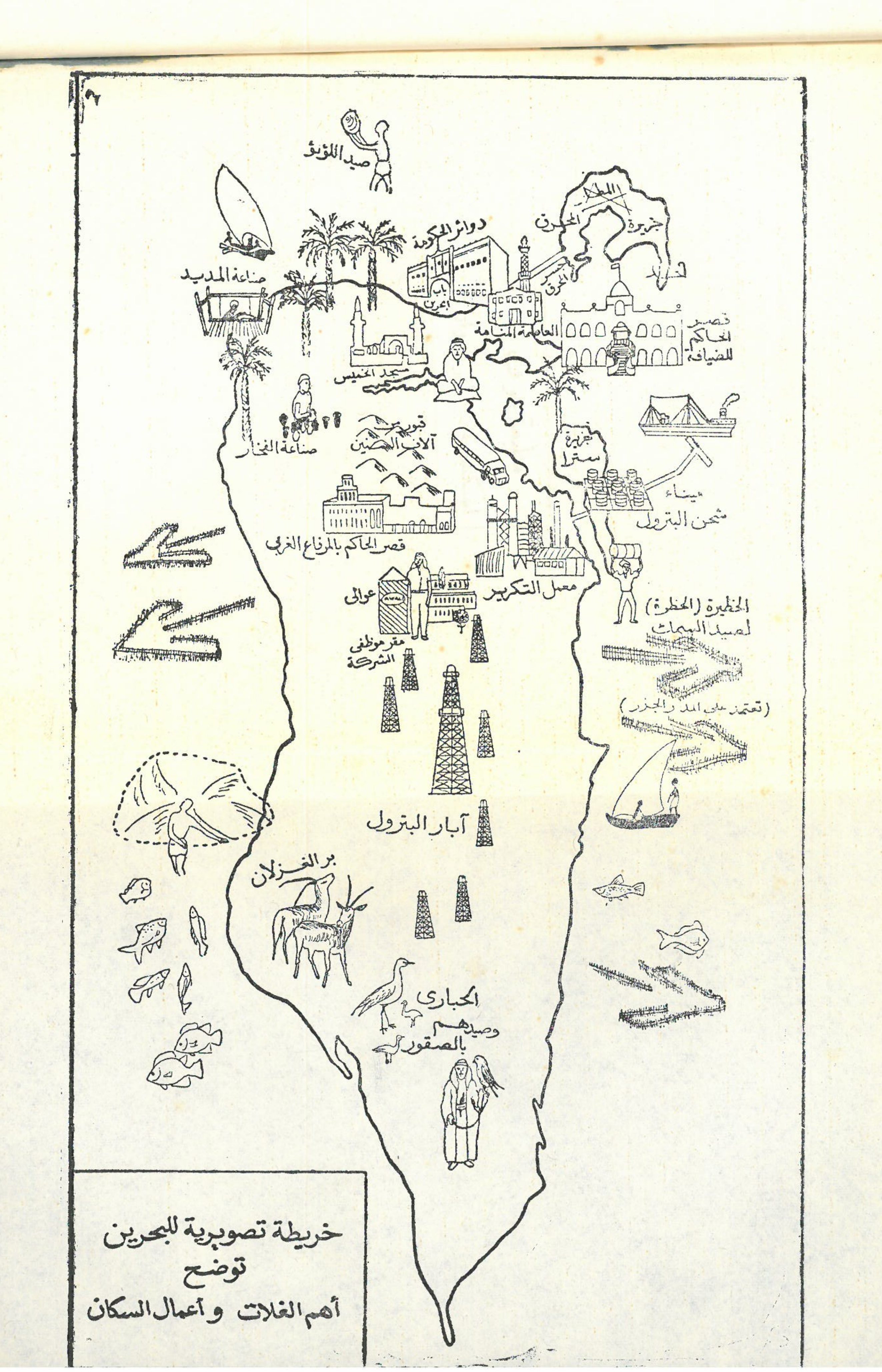
بهـا وهى قوة الشرطة ليست من أهلها كما هو الحـال فى البحـرين ، خليط من الجنسيات كـأنهم فرقة أجنبية أو جيش من المرتزقة .

أمام شعب البحـرين وحكامه العـرب الكثير مما يجب أن يفعلوا لعلاج الداء الذى استفحل والمشكلة التى تعقدت كى تحتفظ بقوميتها العربيـة وتسير فى ركب العروبة المتحرر .



فهرست الكتاب

مطبعة عوف
اسكندريه - كفر الدوار


صيد اللؤلؤ
جزيرة المحرق
المطار
دوائر الحكومة
باب البحرين
الجسر
العاصمة المنامة
قصر الحاكم للضيافة
مسجد الخميس
صناعة الفخار
جزيرة سترة
ميناء شحن البترول
قصر الحاكم بالرفاع الغربي
معمل التكرير
عوالي
مقر موظفي الشركة
الحظيرة (الحضرة) لصيد السمك
(تعتمد على المد والجزر)
آبار البترول
بر الغزلان
الحبارى وصيدهم بالصقور
خريطة تصويرية للبحرين
توضح
أهم الغلات وأعمال السكان

ملحق

عشر سنوات تقريبا قد مرت على مغادرتى البحرين كمدرس معار بها ، ولقد كانت قد تجمعت لى مادة هذا الكتاب أثناء مقامى بها ، ولقد طرأت تغيرات كثيرة فى هذه السنوات العشرة بحيث أصبحت الصورة التى حاولت أن أرسمها عن البحرين فى الباب الأول متخلفة إلى حد ما ، ومن ثم وجب أن يكون هناك استدراك أو ملحق للكتاب لتكون هذه الصورة أقرب الى الواقع فى عام ١٩٦٩

والتغيرات التى طرأت فى السنوات العشرة الأخيرة تدعو إلى التفاؤل إلى حد كبير ، إنها قد وضعت البحرين على الطريق الصحيح استقلالا وعروبة وتقدما ، إن المنطقة كلها على وشك أن تنال استقلالها التام وذلك بانسحاب القوات البريطانية فى خلال عام أو عامين ، واتحاد امارات الخليج على وشك أن يصبح حقيقة قائمة ، وترجو الشعوب العربية عامة وشعب الخليج خاصة ألا تعرقل نشأة هذا الاتحاد أية عقبات ، وأن تعلو المصلحة العامة على المصالح الخاصة حتى لا تكون هناك فرصة لدول متربصة كالولايات المتحدة أو إيران[١] أن تتدخل بدعوى ملء الفراغ الناشىء عن إنسحاب بريطانيا أو أية دعوى أخرى .

ولقد شرعت البحرين فى تكوين حرس وطنى ليكون بمثابة جيش يحمى استقلالها وعروبتها ، وتلك خطوة كبرى فى الطريق الصحيح ، ولقد أشرت فى الفصل الأخير من الكتاب إلى أنه ليس من الطبيعى أن تطلب دولة أو إمارة الاستقلال ولا يكون لها إلا مجرد قوة للشرطة معظم أفرادها من غير المواطنين.

---

(١) خرج الشاه أخيرا بعد مدة من السكوت عن المطالبة بالبحرين ليعلن إنه بالرغم من أن بريطانيا قد انتزعت البحرين من إيران منذ ١٥٠ سنة فإنه لن يلجأ الى احتلالها بالقوة عند انسحاب بريطانيا وأنه سيترك ذلك وفقا لمشيئة شعب البحرين لأن فلسفته لاتوافق على سياسة الضم بالقوة !! (مؤتمر صحفى فى يناير ١٩٦٩)



وليست التغيرات التى أعنيها وقفا على الجانبين السياسى والعسكرى ، بل ليس هذا إلا واجهة لتقدم ملموس فى شتى جوانب الحياة فى البحرين ، وإذا كان الاستقلال الاقتصادى هو التعبير الحقيقى عن الاستقلال [١] فقد خطت البحرين فى ذلك خطوات ملموسة ، وأصبح لهذا الاستقلال عدة مظاهر [٢] ، لعل أولها تداول الدينار كعملة للنقد بدلا من الروبية الهندية وذلك منذ أكتوبر سنة ١٩٦٥ [٢] ، وليس ارتباطه بالاسترلينى إلا تعبيرا عن مصالح اقتصادية متبادلة، ومن ثم فإن انخفاض قيمة الجنيه الاسترلينى عام ١٩٦٦ لم يتبعه انخفاض قيمة الدينار البحرينى بل ارتفعت قيمته من ١٥ شلنا الى ١٧/٦ شلنا [٣]

وإذا كان الاستعمار الاقتصادى يتمثل عادة فى إحتكار الصادرات والواردات، فإن أهم سلعة منتجة وهى البترول تحكمه بطبيعة الحال ظروف اقتصادية عالمية ، أما الواردات وإن كانت الاحصائيات تشير إلى أن بريطانيا لا زالت أكبر دولة موردة للبحرين حيث بلغت قيمة واردات البحرين منها ١٠ر٢٣٧ر٠٠٠ دينار سنة ١٩٦٧ فإن دولا صناعية منتجة لنفس السلع أصبحت تنافس بريطانيا مثل اليابان ٦ر٠٤٩ر٠٠٠ ، بل إن واردات البحرين ليست من الدول الغربية فحسب بل تعدتها إلى الكتلة الشرقية فقفزت واردات البحرين من الصين الشعبية من لا شىء حتى عام ١٩٦٤ إلى ما قيمته ١ر٨٤٦ر٠٠٠ دينار عام ١٩٦٧ فضلا عن سلع أخرى من الاتحاد السوفيتى وبولندا والمجر ورومانيا ويوغوسلافيا وبلغاريا وفنلندا [٤] .

(١) انشئت منذ أول يناير سنة ١٩٦٩ دائرة للخارجية لتنسيق الشئون الخارجية وتنظيم العلاقات الدولية بعد أن كانت معاهدات البحرين مع بريطانيا تمنعها من الاتصال بالدول الأخرى الا عن طريق السفارات والقنصليات البريطانية .

(٢) أنوه كذلك باستخدام البحرين طابع بريد خاص بها بدلا من طابع بريد المملكة اليزابث

(٣) المجموعة الاحصائية السنوية عام ١٩٦٧ ص ٥٩ .

(٤) نلاحظ انخفاض الواردات فى عام ١٩٦٧ عن عام ١٩٦٦ من معظم هذه الدول وقد يرجع ذلك الى اغلاق قناة السويس بعد معارك يونيو سنة ١٩٦٧

وإذا كان البترول يشكل بوصفه أهم سلعة منتجة أكبر مصدر للدخل القومى وإيرادات الإمارة، فذلك لايعنى بحال إهمال مصادر أخرى للدخل لتكون هذه مظهر استقلال اقتصادى من جهة وحتى لا تتعرض اقتصاديات البحرين لمخاطر التقلبات الدولية نتيجة الاعتماد فى التصدير أو الانتاج على سلعة واحدة ، ولقد كانت تجارة الترانسيت « العبور » تشكل دائما المصدر الثانى للدخل فى البحرين ، غير أن هذا الدخل قد تعرض للهبوط نتيجة توسع البلدان المجاورة فى إقامة موانى خاصة بها للشحن والتفريغ ، ولمواجهة هذه المنافسة قامت الحكومة بعد أن أنشأت ميناء « سلمان » للتغلب على عقبة رسو السفن الكبرى بعيدا عن الميناء لضحالة المياه بإقامة ميناء حرة لتجارة العبور حيث لاتتقاضى أية رسوم إلا مصاريف الخدمات المينائية على البضائع الواردة والمعاد شحنها إلى المناطق المجاورة ، وكان لعامل الخبرة المتاحة لشركات البحرين فى التجارة الخارجية أثره فى إستعادة تجارة عبور مكانتها كمصدر هام للدخل فضلا عن زيادة العمالة ، أما بالنسبة للدخل فقد ارتفعت قيمة الصادرات والبضائع المعاد تصديرها إلى جميع البلدان التى كان يخشى من منافسة موانيها على حركة تجارة العبور كالسعودية والكويت وقطر ودبى وأبو ظبى ومسقط من ١٠ر٨٢٨ر٠٠٠ دينار عام ١٩٥٩ إلى ١٤ر٦٩٠ر٠٠٠ دينار عام ١٩٦٧ ، وأما بالنسبة للعمالة فقد ارتفع عدد عمال الشحن والتفريغ من ١٤١ إلى ٤٣٧ عاملا فى نفس المدة [١] .

وليست الاعفاءات الجمركية وقفا على تجارة العبور وإنما امتدت إلى كل الصناعات المنشأة فى الميناء الأمر الذى أدى إلى قيام عدة صناعات هامة فى

(١) المجموعة الاحصائية السنوية ١٩٦٧ ص ٣٤؛ ٦٠ وعدد البحرينيين من عمال الشحن والتفريغ ٣٥ عام ١٩٥٩ فاصبح ١٥٠ عام ١٩٦٧ نفس المصدر ص ٣٢

سنوات قليلة ، لعل من أهمها الشركة البحريه لاصلاح وهندسة السفن ، وللشركة حوضان جافان أو زلاقان لاصلاح السفن التجارية التى تصل حمولتها إلى ١٠٫٠٠٠ طن وبعض أسهم الشركة مملوكة لمواطنى البحرين ، وقد اقتضى ذلك قيام شركة أخرى مشتركة (بريطانيا بحرينيه) لصنع الأدوات التى تتطلبها إصلاح السفن [1] .

كذلك تأسست شركة لصيد الأسماك فى عام ١٩٦٦ رأس مالها مليون دينار يمتلك ١٢٠٠ من مواطنى البحرين ٦٠٪ من أسهمها وتقوم بعملية تجفيف وتصدير الجمبرى (الروبيان) وتقوم شركة Ross Group of Grimpsy التى تمتلك ٤٠٪ من الأسهم بمهمة تسويقه فيما وراء البحار .

وكما أفادت البحرين من موقعها البحرى والملاحى فى إقامة صناعات فقد أفادت أيضا من كونها من الدول المنتجة للبترول إذ قامت بها صناعة البلاستيك معتمده فى موادها الخام على بعض مشتقات البترول .

وهناك صناعات أخرى إذا لم يكن العامل البحرى أو البترولى هو الحافز على قيامها فإنه عامل الموقع الجغرافى من جهة فضلا عن ثقة الاستثمارات الأجنبية من جهة أخرى ، فهناك مشروع يعد من أضخم مشروعات العالم العربى لصناعة الألمنيوم فضلا عن صناعات استهلاكية أخرى لعل من أهمها شركة صناعة الألبان - وهى شركة بحرينية دنماركية - وشركة الأسمنت .

وهكذا لم تصبح هذه الصناعات مظهر إستقلال اقتصادى فحسب بل ومظهرا للتخلص من مخاطر الاعتماد الكلى فى الانتاج على سلعة واحدة ، إنها إذا لم تكن معرضة

---

(١) J. Belgrave : Welcome to Bahrain P. 29 والشركة هى :
بالاشتراك مع يوسف كانو George Wimpey' De long Hersant

للتقلبات السياسية والاقتصادية الدولية فهى معرضة فى المستقبل إما لنفاد المخزون فى باطن الأرض منه أو منافسة قوى للطاقة المولدة وأهمها الذرة .

وإذا كانت هذه الصناعات تقوم وفقا للنظام الإقتصادى الحر ، وإن كانت الحكومة مساهمة فى بعض الشركات فإنه قد تأسس تابعا لدائرة المالية مكتب للتنمية يعمل به مستشارون اقتصاديون بعضهم بريطانيون لتشجيع استثمار رؤوس الأموال الأجنبية من جهة وللتنسيق بين هذه الاستثمارات من جهة أخرى .

وقد ترتب على تقدم الحركة الصناعية زيادة العمالة إذ ارتفع عدد العمال من ١٦٫٧١٣ عامل عام ١٩٥٩ إلى ٢٦٫٨٠٢ عامل عام ١٩٦٥ [1] دون إحتساب عمال شركة نفط البحرين « بابكو » .

ولا شك أنه قد ترتب على هذه الصناعات زيادة فى الدخل القومى وإن لم يمكن احتسابها مستقلة عن سائر مصادر الدخل لاسيما البترول الذى ارتفع الإنتاج منه إلى أكثر من الضعف فى عشر سنوات (من ١١٫٦٩١٫٤٦٢ برميل عام ١٩٥٧ إلى ٢٥٫٢٧٠٫٠٠٧ برميل عام ١٩٦٧ .

وقد انعكس هذا النشاط الإقتصادى فى الانتاج على الخدمات ، غير أن الحكومة هى التى تحمل على عاتقها الدور الرئيسى إن لم يكن الدور كله فيها ، وإذا كان الرخاء النسبى أو بالأحرى الارتفاع النسبى لحصيلة ايرادات الحكومة قد يسر لها أن تقدم الخدمات العامة فى شتى المجالات على أوسع نطاق فإنه لا يصح اغفال العامل الإنسانى فى ذلك ، والواقع أن أولى الأمر فى البحرين ربما كانوا

---

(١) المجموعة الاحصائية عام ١٩٦٧ ص ٣٤ يمثل هذان العددان مجموع عمال المعادن والميكانيكا والكهربائيين والأخشاب والبناء والشحن والتفريغ فضلا عن المذكورين تحت فئه عمال

من أقل أمراء أو حكام الإمارات والدول العربية المنتجة للبترول اسرافا فى حياتهم الخاصة، ومن ثم فهن اكثرهم توسعا واهتماما بتوفير الخدمات العامة، فلا تكاد تقل الخدمات فى مجالات التعليم والصحة والإسكان فى البحرين عنها فى الكويت مع أن مصادر دخل البحرين فى عشرين سنة لا تكاد تبلغ ايرادات الكويت فى بضعة شهور (١) .

وإذا كان التعليم من أهم مظاهر الخدمات العامة - ومعلوم أن التعليم فى كافة المستويات تتكفل به الحكومة - فإن الاحصائية الآتية تشير الى زيادة عدد المدارس بين عامى ٥٨/٥٩ ، ٦٧/٦٨ :

السنة	مدارس ابتدائية		مدارس اعدادية		مدارس ثانوية		صناعية	دينية	تعليم عالى « معلمين »
	بنين	بنات							
١٩٥٨/٥٩	٢٩	١٣	—	—(٢)	١	١	١	—	—
١٩٦٧/٦٨	٤٢	٢٦	٨	٨	٣	٣	١	١	١

وقد ترتب على ذلك زيادة عدد تلاميذ المدارس من ١٤ر٣١٦ عام ١٩٥٨ الى ٤٤ر٩٢٥ تلميذا عام ١٩٦٨ . ومع أن التعليم الابتدائى ليس اجباريا فإن المقارنة بين عدد من هم فى سن التلمذة فى هذه المرحلة (٦ - ١٢ سنة) وبين عدد التلاميذ تشير الى أن جميع الذكور فى هذه السن وقد بلغ عددهم حوالى ١٨ر٥٠٠ فى عام ١٩٦٥ ملتحقون بالمدارس فعلا ، أما بالنسبة للإناث ويبلغ

(١) اعنى بذلك تقدير دور حكام البحرين دون تعريض أو انقاص من دور حكام الكويت فى مجال الخدمات العامة .

(٢) معلوم أن مراحل التعليم سنة ١٩٥٩ كانت ابتدائية وثانوية ولم يكن تقسيم المراحل الى ابتدائية واعدادية وثانوية قد طبق بعد .

عددهن حوالى ١٧ر٥٠٠ فإن الملتحقات بالمدارس هن ١٢ر٢٧٣ (١) تلميذة ، وتشير الإحصائيات كذلك إلى أن ما يقرب من ٨٠ ٪ ممن هم فى سن التلمذة من الذكور (من ٦ - ١٨) ملتحقون بالمدارس فعلا إذ يبلغ عدد التلاميذ الذكور عام ١٩٦٥ ٢٤ر٠٠٠ بينما من هم فى هذه السن حوالى ٣٠ر٠٠٠ فردا ، فإن روعى فى الاعتبار أن هذه الارقام تشمل غير البحرينيين تبين أن الخدمات التعليمية حتى نهاية المرحلة الثانوية ميسرة لجميع من هم فى سن التلمذة ، ومن ثم فإن تكافؤ الفرص فى التعليم دون أدنى عقبات حقيقة واقعة فى البحرين ، فإن أضيف إلى ذلك ما تتحمله الحكومة من نفقات والبعثات الخارجية بالنسبة للتعليم العالى للمتفوقين ، فضلا عن وجود كلية للمعلمين والشروع فى انشاء مدرسة للزراعة وكلية للصناعة تبين أن الخدمة التعليمية تحسد البحرين عليها كثير من الشعوب العربية .

وفى البحرين نهضة ثقافية تتضح فى المحاضرات والندوات فى النوادى الثقافية وفى الأبحاث والمقالات الأدبية فى مجلاتها وأهمها « الأضواء » وهى مجلة اسبوعية مستقلة والجريدة الرسمية الأسبوعية التى تصدر عن دائرة الإعلام وكذلك « هنا البحرين » وتصدر عن نفس الدائرة كل شهر فضلا عن مجلات أخرى « كالحياة التجارية » التى تصدر عن الغرفة التجارية و « النجمة الاسبوعية » التى تصدر اسبوعية عن شركة النفط .

وتقاس الرعاية الصحية فى مجتمع ما عادة بثلاثة معايير : معدل الأطباء ،

(١) قارن بين جدولى ١٥ ، ٢٢ من المجموعة الاحصائية عام ١٩٦٧ مع احتساب الوسط الحسابى للتوزيع حسب فئات السن والعدد يشمل غير البحرينيين .

ومعدل الأسرة ومعدل وفيات الأطفال الرضع [١] ، وبلغ عدد الأطباء فى البحرين أكثر من ١٠٠ طبيب [٢] أى طبيب لكل ١٨٠٠ نسمة وهى نسبة تفوق مثيلاتها فى معظم الدول العربية ولا يكاد يفوقها فى ذلك إلا لبنان [١ : ١٢٠٠ تقريبا] وربما الكويت ، وأطباء البحرين يغطون معظم التخصصات وإن كان من الملاحظ قصور عددهم فى بعضها ففى طب الأسنان إثنان فقط .

أما عدد السراير فى المستشفيات المجانية فهو ٧٨٤ سريرا أى سريرا لكل ٢٢٥ نسمة وهى نسبة بدورها لا تفوقها إلا لبنان والكويت [٣] ، أما معدل وفيات الأطفال الرضع فيرجع أهميته كمعيار للخدمة الطبية أنه مظهر للرعاية بالنسبة للأمهات والأطفال معا وتنخفض هذه النسبة إلى حد كبير فى الدول المتقدمة فتصل إلى ١٨ لكل ١٠٠٠ من المواليد فى السويد بينما ترتفع فى بعض الدول العربية إلى أكثر ٢٥٠ فى الألف ، ولا نكاد نعرف هذا المعدل فى البحرين على وجه الدقة ، فإن التعداد قد أشار إلى هذا المعدل فى الشهر الأول للولادة لا فى السنة وقد بلغ ١١ فى الألف عام ١٩٦٧ [٤] ، هذا وقد بلغت نسبة المولودين بالمستشفيات ٩٨ ٪ من عدد المواليد عامة .

وبالبحرين تسعة مستشفيات حكومية ومصحان و ١٤ مستوصف و١٦ عيادة

---

(١) معدل الاطباء أى عدد الأطباء لكل ١٠٠٠ من السكان ومعدل الأسرة : أى عدد السراير فى المستشفيات المجانية لكل ١٠٠٠ من السكان ، ومعدل وفيات الأطفال الرضع أى عدد حالات وفيات الأطفال الرضع لكل ١٠٠٠ من المواليد خلال عام .

(٢) ٨٤ طبيبا بالمستشفيات الحكومية ، ١٥ فى عياداتهم الخاصة ، ١٧ بمستشفى بابكو

(٣) فى لبنان ١ : ١٥٠ ، أما الكويت فليس لدى تعداد عنه والعبارة على سبيل الظن .

(٤) المجموعة الاحصائية السنوية عام ١٩٦٧ من ص ٢١ — ٢٧

مدرسية و ٦ مراكز لرعاية الطفولة والأمومة كما أن بها مدرسة للتمريض يبلغ عدد طالباتها ٣٨ طالبة عام ١٩٦٦ .

هذا وجميع مدن البحرين وقراها مزودة بالكهرباء والمياه النقية .

والمظهر الثالث للخدمات العامة التى تضطلع بها الحكومة بعد التعليم والصحة هو الإسكان ، وأهم ما تنجزه الحكومة مدينة « عيسى » — نسبة إلى الحاكم : الشيخ عيسى بن سلمان — وقد أقيمت على مساحة تبلغ ٢½ ميل مربع وقد شرع فى إنشائها عام ١٩٦٣ وقد تم إنجاز المرحلة الأولى منه التى تكفى لإسكان ١٥٫٠٠٠ نسمة فى ٢٥٠٠ مسكن لمحدودى الدخل وتستوفى قيمته على أقساط على مدى ٢٠ عاما وتتكفل الحكومة بالمرافق العامة [١] ، وهناك مشروعات أخرى لدائرة الإسكان كتجديد بناء بعض القرى [عسكروجو] [٢]

هذه بعض مظاهر ماطرأ على البحرين من تغيير فى عشر سنوات وفقا لسياسة : الاقتصاد الحر فى الانتاج وتدخل الدولة فى الخدمات .

. . . . .

ولكن ماذا عن مشكلة الهجرة إلى البحرين لاسيما من الإيرانيين ، وهى المشكلة التى تشكل أخطر ما يهدد استقلال البحرين وعروبتها ، ومعلوم أن حكومة إيران لا تزال تصر على دعواها ، وقد كان موضوع البحرين عقبة فى سبيل العلاقات الودية بين السعودية وإيران .

ولست على معرفة كاملة بما قد أتبع حديثا من إجراءات لتقييد الهجرة إلى البحرين والحصول على الجنسية ، ولا تلقى الاحصائيات ضوءا كافيا على الموضوع

---

(١) دليل البحرين التجارى ص ٥٩ — ٦١

(٢) تناقص عدد المساكن المصنوعة من السعف من ١٩٧٨ الى ١٦٨٠ عام ١٩٦٥ .

فلقد كان عـدد الإيرانيين ٦٩٣٤ عام ١٩٥٠ انخفض إلى ٥٢٠٣ عام ١٩٥٩ ثم ارتفع فجأة إلى ٧٢٢٣ نسمة ، أما انخفاض العدد عام ١٩٥٩ فأغلب الظن أنه لا يعبر عن الواقع، وأن عددا من الإيرانيين قد قيـــدوا جنسياتهم فى بيانات التعداد على أنهم مواطنون ، ونأمل ألا يتجاوز العدد الفعـلى للإيرانيين العدد المذكـور فى تعداد ١٩٦٥ وقد تـكون إجـراءات محكمة قد اتخـــذت بهذا الشأن .

ويبدو من الناحية الأخرى تخفيف القيود على هجرة العرب ، فمن الملاحظ ارتفاع نسبة العمانيين والمسقطيين إلى ما يقرب من خمسة أمثـال [من ٢٤٦٦ عام ١٩٥٠ إلى ١٢ر٦٢٨ عام ١٩٦٥) وارتفاع نسبة اليمنيين إلى ١٥ مثلا فى نفس المدة [من ١٠٥ إلى ١٥٨٢] (١)

وإذا كانت شركة نفط البحرين منطقة جذب لمهاجرين من الإيرانيين والهنود والباكستانيين واشتغالهم بأعمال لا تحتاج إلى خبرة أو تخصص دقيق غير متوفر فى المواطنين، فإن الإحصاء الرسمى يشير إلى ارتفاع نسبة المشتغلين من البحرينيين من ٧٤ر٣ ٪ عام ١٩٦٣ إلى ٨٦ر١ ٪ عام ١٩٦٧ .

وإذا كنا نأمل أن تتشدد حكومة البحرين فى إجراءات الهجرة والإقامة والجنسية بالنسبة للعناصر غير العربية فليس ذلك عن نعرة عصبية ولكنها أطماع حكومة الشاة .

(١) تفسر هجرة اليمنيين بالمعارك بين الجمهوريين والملكيين منذ عام ١٩٦٢

تصويب الأخطاء

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
١	٤	الكثيرين	الكثيرون	١٥٤	١٢	ويبدوا	ويبدو
١٧	٢	كالعلاقات	أما العلاقات	١٥٤	١٤	فثار	فأثار
٤٨	١	اللبى	النبى	١٦١	١٠	نجم	نجد
٥٢	الأخير	تسعه عشر سنه	تسعة عشر عاما	١٦٤	٥	١٨٢٨	١٩٢٨
٦٠	٢	الجنابنى	الجنابى	١٩٠	٦	الثنائيه	الثنوية
٦٢	٤	استيلائهم	استيلاءهم	١٩١	١٦	فى الدولة	إلى الدول
٦٥	٦	المعزل	المغول	١٩٧	٨	قريبا	نسبيا
٨٨	٢	الطبيعه	البحار	٢٠٠	الأخير	المقدم	المقدس
٩٩	١٨	اعتراض	اعتراف	٢٠٢	١	الحياة	المياه
١٠٥	٥	Of proof there is not a shadow	there is not a shadow of proof	٢٠٤	٦	تراثا قوميا	تراث قومى
				٢٠٤	١٥	ابن	بن
١١٢	٢	ولائه	ولاءه	٢٠٤	الأخير	تخلف	تخلق
١١٧	قبل الأخير	الصوفية	الصنموية	٢٠٦	٦	الفارسى	البحرينى
١٢٤	الأخير	موقع	موقف	٢٠٩	٣	أن	أو
١٣٢	١٢	البريطانيين	البريطانيون	٢٠٩	١٦	لاقليم	كإقليم
١٣٦	٨	أعدائه	أعداؤه	٢١٥	١٥	الاستنفاد	الاستناد
١٤٦	١٦	تعويض	تعويضا	٢١٩	١٥	وحرج	وصرح
١٥٤	٧	١٩١٤	١٩١٩	٢١٩	١٧	أشير	أثير

تابع – تصويب الأخطاء

رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب	رقم الصفحة	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٢٢٣	١٥	خمس	خمسة	٢٣١	٦	احدى	أحد
٢٢٤	٩	العربى	العربي ؟	٢٣٢	٧	أما .. وأما	إما ... وإما
٢٢٥	قبل الأخير	بالمواد	بالموارد	٢٣٤	١٥	وتسائل	وتساءل
٢٢٥	الأخير	فان تبين	فانه يتبين	٢٤١	١١	أما الآن	إما لأن
٢٢٦	٦	وانما	ستكون	٢٤٥	٤	إيفران	إيران
٢٢٩	٤	تنقد	تفقد				